NADER SHAH

نادر شاه

دراسة نقدية مبنية على مصادر معاصرة

د. لورنس لوكهارت

ترجمة : محمد نجم السلامي



دونو

نادر شاه

انا نادر ملك ملوك الارض , انا من خضع له الملوك والسلاطين , انا من نذر حياته لخدمة بلاد فارس واعلاء شأنها , انا من فاقت خزائنه خزائن قارون , انا من استولى على كنوز الهند الاسطورية وجلس على عرش الطاووس , انا من قاد اعظم جيوش الارض , انا من حرر اراضي الفرس , انا الذي هزم الافغان وقهر العثمانيين وسحق الجيوش الجرارة لإمبراطورية مغول الهند واذل الاوزبك والخوارزميين , انا فاتح البلدان ومتوج الملوك وقاتل الابطال وظل الله في الارضين , انا شاه بلاد فارس وافغانستان والقوقاز, انا فاتح الهند وخوارزم وبخارى والسند وسمرقند عاصمة تيمور العظيم , انا من هرب منه الروس وخان القرم وملوك الكازاخ , انا الذي ارتعد مني ملك الصين ...

انا نادر



MOHAMAD ALI
Graphic Designer



ISBN 978-9922-9980-5-3
9 789922 998053



منشورات جسد
JASAD PUBLICATIONS

نادر شاه

دراسة نقدية مبنية على مصادر معاصرة

نادر شاه

دراسة نقدية مبنية على مصادر معاصرة

تأليف

د. لورنس لوكهارت

ترجمة : محمد نجم السلامي

منشورات جسد

JASAD PUBLICATIONS

تنويه : في قسم الملاحظات سيجد القارئ الكريم
بعض الملاحظات المسبوقة بعلامة (*) هنا نود
ان نشير ان تلك الملاحظات تم اضافتها من قبل
المترجم نقلا عن مصادر حديثة

مقدمة المترجم

لم يهتم الكثير من المؤلفين العرب بسيرة نادر شاه على اعتبار ان فترة حكم نادر مثلت ومضة في التاريخ سرعان ما تلاشت بعد موته ، اما مؤلفي الغرب فقد اولوا سيرة نادر شاه اهتماما خاصا ، فنجد عشرات الكتب التي تكلمت عن سيرة هذا الفاتح .

اعتبر نادر احد اعظم الملوك الذين حكموا بلاد فارس على مر العصور ، حيث ظهر في فترة اعتبرت من اشد الفترات الحرجة التي مرت على التاريخ الفارسي الحديث ، فقد سقطت اصفهان عاصمة الدولة الصفوية بيد الافغان ، اما الاتراك والروس فقد احتلوا الاجزاء الاخرى من بلاد فارس ، لكنه وبسبب براعته العسكرية وجرأته استطاع تحرير بلاد فارس من اعداء اقوياء ، فأنتصر على الافغان واخرجهم من الاراضي الفارسية ، ونجح بإخراج الاتراك العثمانيين ، وأجبر الروس على الانسحاب ، ثم غزى الاراضي التركية والحق الهزيمة بالعثمانيين في عقر دارهم ، بعد ذلك اعلن نفسه شاها ، ثم هاجم الافغان بعقر دارهم واحتل عاصمتهم ، بعدها توجه بحملة كان الغرض منها غزو الهند فانتصر على جيشهم الضخم المدجج بالأسلحة والفيلة ودخل عاصمتهم دلهي وغنم كنوز الهند الاسطورية ، ثم انطلق نحو السند وادخلها الطاعة ، بعد ذلك هاجم اسيا الوسطى فهزم التركمان والاوزبك قبل ان يعود الى الغرب ويشن ثانية حربا ظافرة على العثمانيين . وفي بداية اربعينيات القرن الثامن عشر ربما كان الجيش الذي بناه نادر اقوى قوة عسكرية في العالم ، وبسبب انتصاراته العظيمة وضع بمصاف الكسندر العظيم ، جنكيز خان وتيمور العظيم . وصدق مينورسكي حين قال " ان

ايران بحدودها الحالية لم تكن لتبقى لو لم يكن نادر ملكا على بلاد فارس " .

اما من الناحية المذهبية فأن نادر سعى للتوحيد بين المذاهب الاسلامية وحاول القضاء على الفتن التي عصفت بالمسلمين وأضعفت من قواهم ، لكن العثمانيين بقوا حجر عثرة في طريقه . وهنا لا يمكنني الجزم ، هل ان هدف نادر من اعلانه الوحدة الاسلامية كان ينبع من رغبة حقيقية صادقة غرضها توحيد العالم الاسلامي تحت راية واحدة ، ام انه اراد انتزاع اعتراف العثمانيين بالمذهب الجعفري ودمجه بالمذاهب السنية الاربعة لتحقيق هدفه بأن يكون سيد العالم الاسلامي بعد ان يوجه الضربة القاضية للدولة العثمانية في اسلامبول طبعا .

لقد تغيرت طباع نادر بعد غزوه لدلهي ، كما وتكالبت عليه الامراض ايضا ، واثقل كاهل شعبه بجمعه لضرائب طائلة ، اما الكنوز التي جلبها معه من الهند فقد خزنها في كلات ولم يستعملها لتحقيق رفاهية شعبه والتخفيف عنهم ، اما الحادثة التي اثرت سلبا على سلوك نادر ونفسيته وجعلته اكثر قسوة ووحشية في التعامل مع رعاياه هي تسميل عين ولده رضا قولي ، كل تلك الاسباب سرعت من قتله على يد ضباطه .

ختاما ، اهدي عملي هذا الى روح والدي .

" انا نادر ملك ملوك الارض ، انا من خضع له الملوك والسلاطين ، انا من نذر حياته لخدمة بلاد فارس واعلاء شأنها ، انا من فاقت خزائنه خزائن قارون ، انا من استولى على كنوز الهند الاسطورية وجلس على عرش الطاووس ، انا من قاد اعظم جيوش الارض ، انا من حرر اراضي الفرس ، انا الذي هزم الافغان وقهر العثمانيين وسحق الجيوش الجرارة لإمبراطورية مغول الهند واذل الاوزبك والخوارزميين ، انا فاتح البلدان ومتوج الملوك وقاتل الابطال وظل الله في الارضين ، انا شاه بلاد فارس وافغانستان والقوقاز ، انا فاتح الهند وخوارزم وبخارى والسند وسمرقند عاصمة تيمور العظيم ، انا من هرب منه الروس وخان القرم وملوك الكازاخ ، انا الذي ارتعد مني ملك الصين ، انا نادر " .

الفصل الاول

المقدمة

سقوط الدولة الصفوية

الأفغان ، الروس والعثمانيين يغزون فارس

ظهر من الشرق عدد من الغزاة العظام ، الذين اجتاحوا مساحات شاسعة من الارض وملؤها قتلا ، تدميرا وانتقاما . كان الابرز من بين هؤلاء الغزاة جنكيز خان ، تيمورلنك ونادر شاه . وجد عدد من نقاط التشابه بين سيرة جنكيز خان وتيمورلنك ، كما وظهر تشابه كبير بين سيرة الاخير ونادر . وبلا شك فأن نادر سار على خطى تيمورلنك عمدا ليتشبه به .

بالرغم من وحشية نادر وازهاقه الارواح وبأعداد كبيرة جدا ومع كل المعاناة الرهيبة التي تسبب بها لساكني فارس والبلدان المجاورة ، الا اننا لا ننكر عظمة هذا الشخص (١) . ان الصعود من صبي راعي الى شاه هو انجاز رائع بلا شك ، لكن الاعظم والاكثر بريقا منه ليس فقط تحرير بلاد فارس من اعداء اقوياء وحسب ، وانما رفع بلاده من مكانة متدنية الى مكانه تستحق الفخر والاحترام بكونها القوة الاولى في اسيا .

ومن اجل تمكين القارئ من تكوين فكرة عن اوضاع فارس في الوقت الذي ظهر به نادر ، فمن الضروري ان نصف فترة وجيزة من الاحداث التي وقعت في الربع الاول من القرن الثامن عشر .

ولربط الاحداث سنناقش في هذا الكتاب اسباب ضعف وانهيار الدولة الصفوية . كان السبب الرئيسي للكارثة التي حلت على الاسرة الصفوية هو فساد ملوكها . وسببها السياسة الخبيثة التي انتهجها الشاه عباس الاول لإبقاء وريث العرش والامراء الاخرين متحصنين في جناح الحريم ، حيث أبعدوا عن العالم الخارجي ، فتلقوا تعليما منقوصا واصبحوا بعيدين عن فنون القتال والسياسة وغيرها ؛ وبسبب ذلك اصبحوا دمى لدى حريم القصر والخصيان . فكان عندما يحين الوقت المناسب ويرتقي الوريث العرش ، نجده لا يتخذ قرارا دون ارشاد النبلاء والخصيان له . وكان من بين الاسباب الاخرى لتراجع الدولة الصفوية اهمال الجيش ،

الذي اصبح اقل كفاءة بمرور الوقت . في سنة ١٦٩٤ م اصبح المتصوف الزاهد سلطان حسين شاها ، ومثل حكمه بداية نهاية الدولة الصفوية . كان سلوكه في تباين شديد ، فتارة تراه رحيما عطوفا ، وتارة اخرى تراه وحشا كاسرا يتلذذ بسفك الدماء . كان منصرفا عن السلطة وكان ضعيف الارادة وبلا طموح . وباختصار ، كان شديد الميل للتعبد ومنصرفا للأمور الدينية اكثر من ميله لأمور الحكم والدولة (٢) .

في السنوات الاولى من حكم الشاه سلطان حسين حل السلام في ربوع الدولة الصفوية ، ولكن في سنة ١٦٩٩م ظهرت اولى علامات العاصفة القادمة . ففي تلك السنة نفذ رجال قبائل البلوش عدة غارات على مقاطعة كرمان . وبعد عامين ، حدث اضطراب في مقاطعة قندهار ، ولكن تم قمعه بقسوة من قبل الامير الجورجي جورجي الحادي عشر من كارتلي ، الذي كان معروفا عند الفرس باسم جورجين خان . بعد قمع الثورة ، بقى جورجين خان حاكما على مقاطعة قندهار فكانت حاميته تتكون من اعداد كبيرة من الجورجيين ، وبسبب قسوتهم المفرطة مع افراد قبيلة الغلزائي ادى ذلك الى حدوث استياء كبير من تواجدهم . قبل اكثر من قرن من الزمن ، كان الغلزائيون ، اضافة الى العبدليين (قبيلة افغانية كبيرة اخرى) ، قد هاجروا غربا وجنوب غرب من موطنهم الجبلي واستقروا على السهول الخصبة في قندهار وزميندافار ووديان ارغنداب وتارناك . ونتيجة لتنامي قوات العبدليين وقيامهم بعدة ثورات ، قرر الشاه عباس الاول نفي معظمهم الى مقاطعة هرات المجاورة ؛ ففرغت الساحة لقبيلة الغلزائي ليصبحوا اكثر قوة ونفوذ في مقاطعة قندهار . وفي بداية القرن ١٨ ، زادوا من اعدادهم ونفوذهم تحت قيادة زعيمهم الداهية مير ويس رئيس قبيلة هوتاكي .

وبسبب الاستياء من سلوك جورجين خان ، ثار الغلزائيون ، الا ان جورجين خان تمكن من هزيمتهم ، واوقع مير ويس في الاسر ، وأرسله تحت حراسة مشددة الى اصفهان . ولدى وصوله هناك ، لم يجد مير ويس اي صعوبة تذكر في خداع الشاه ، كما وكسب الحظوة والقبول لديه ونجح بزرع الكراهية بين الشاه وجورجين خان . فكان نتيجتها اطلاق

سراح مير ويس كما وسمح له لاحقا بالعودة الى قندهار . ومن فرصة سانحة ، استطاع مير ويس قتل جورجين خان كما وهاجم الحامية الفارسية الجورجية ، فهزم جنود الحامية هزيمة نكراء وقتل منهم الكثير ، اما الباقون فقد لاذوا بالفرار وبشق الانفس الى خارج المقاطعة . عندما وصلت الاخبار الى البلاط ، ارسلت قوة عسكرية بقيادة كيخسرو خان ، ابن شقيق جورجين ، لاستعادة سلطة الشاه في قندهار ومعاقبة المتمردين هناك . وبالرغم من نجاحاته الاولية في المعارك التي خاضها ضد قبيلة الغلزائي ، الا ان كيخسرو خان هزم وقتل اخيرا ، ولم يعد الى الديار سوى قلة قليلة من جيشه . قوات اخرى تم ارسالها لإخضاع مير ويس ، لكنها فشلت كسابقتها . بعد ان استقل بالحكم قرابة الست سنوات ، توفي مير ويس في ١٧١٥م . فخلفه اخيه عبد العزيز ، الذي كان محبا للسلام ، حيث رغب بالخضوع الى سلطة الشاه الا ان رغبته تلك قوبلت برفض شديد من قبل افراد القبيلة . وبسبب ذلك قام محمود ، الابن الاكبر لمير ويس ، وبتحريض الكثير من رجال قبيلة الغلزائي ، بقتل عمه في ١٧١٧م ، وسيطر على زعامة القبيلة بدلا عنه . محمود ، الذي لم يكن بمكر ودهاء والده ، الا انه سرعان ما اثبت انه قائد جرئ وحازم .

في سنة ١٧١٦م ، كان العبدليون اكثر عددا من الغلزائيين ، وقد شجعهم نجاح ثورة الغلزائيين من القيام بثورة ضد الحامية الفارسية الموجودة في هرات ، حيث تمكن زعيم العبدليين عبد الله خان سادوزاي وابنه اسد الله من الفرار من السجن (حيث وضعا في السجن بسبب تحريضهما على الفتنة بأمر من حاكم هرات) ، ونجحا بقيادة الثورة من جديد وتأجيج الوضع . وقد بذل وزراء الشاه عدة محاولات لإخضاع العبدليين ، الا ان محاولاتهم بائت بالفشل ، نتيجة لحالة الضعف التي كان يعيشها رجال البلاط الصفوي وانغماسهم باللهو والفساد وشيوع الرشى (٣) .

وحتى عندما اندلعت المعارك ونمى العداء بين الغلزائيين والعبدليين ، لم يستغل القادة والوزراء الفرصة في اعادة سيطرة الدولة الصفوية على تلك المقاطعات . ان الصراع بين القبيلتين لم يكن حاسما ؛ فبينما خسر الغلزائيين مدينة فراه ، انتصروا على العبدليين في ديلارم في معركة

خسر فيها اسد الله حياته . بعد ذلك خضع محمود الى سلطة الشاه ، فقبل الشاه ولاءه وعينه رسميا حاكما على قندهار . لكن سرعان ما تبين ان ولاء محمود كان مجرد خدعة . ففي سنة ١٧٢٠ م ، اغار محمود على مدينة كرمان ؛ الا ان القائد الصفوي لطف علي خان نجح بصد وهزيمة قوات محمود ، كان لطف علي خان الجنرال الشجاع الوحيد والكفؤ في خدمة الشاه . محمود ، وخلال تلك الغارة ، اكتشف تردي الاوضاع في بلاد فارس .

في هذه الاثناء حدثت تطورات خطيرة في اجزاء اخرى من الدولة الصفوية . في حين ان اولى العواصف المدمرة قد عصفت بفارس جهة الشرق ، الا انه في الشمال والغرب بدأت عواصف اخرى بالظهور .

في بداية القرن ١٨ ، استأنف ساكني الجبال من اللزجيين في داغستان ، جنبا الى جنب مع عشائر جار وتالا في وادي قانق ، على الجانب الجنوبي الغربي من السلسلة القوقازية ، استأنفوا غاراتهم على جورجيا و شيروان . قبل نصف قرن ، وعد الشاه عباس الثاني بمنح اعانة مالية سنوية الى القبائل اللزجية بشرط الحفاظ على السلام . ودفعت الاعانات المالية بانتظام ، حتى مجيء سلطان حسين ، فقام الوزراء والمسؤولون الفرس باختلاس اموال اللزجيين . سكان شيروان ، ذات الغالبية السنية ، فقد عانوا الامرين بسبب هجوم اللزجيين عليهم من جهة ومن جهة اخرى اضطهادهم على يد رجال الدين الشيعة المتعصبين . حيث اعدم علماء السنة في شيروان ، ومساجدهم فحولت الى اسطبلات ، اما كتبهم الدينية فقد اتلفت . ونتيجة لهذه المعاملة السيئة ، ناشد سنة شيروان السلطان العثماني للتدخل من اجل حمايتهم ، فهرب العديد منهم الى المقاطعات التركية ؛ اما اولئك الذين تواجدوا في شيروان ، فلم يكن لديهم ولاء لفارس ؛ لكنهم كانوا يستعدون لإعلان الثورة .

شكلت القوة المتنامية لروسيا ، بقيادة بيتر العظيم ، خطرا على فارس من جهة غير متوقعة . حيث قدمت بعثة ارتمي فوليانسكي المتوجهة الى اصفهان ، بالرغم من هدفها التجاري ، الكثير من المعلومات السياسية لبيتر ، فذكرت البعثة في تقريرها ان فارس تتجه الى الهاوية ؛ وذكر

ايضا بوجوب استبدال الشاه سلطان حسين بشاه اخر اكثر كفاءة ، والا فان خراب فارس امر حتمي . بيد ان بطرس الاكبر لم يتمكن في هذه المرحلة ١٧١٧ – ١٧١٨ م من اتخاذ خطوات فعالة للاستفادة من حالة التدهور في المقاطعات الفارسية ، بسبب ان حرب الشمال لا زالت مستعرة . ومع ذلك فقد هيء الارضية لمخططاته المستقبلية بأرساله مبعوثين الى داغستان ثم لاحقا الى جورجيا . في سنة ١٧١٩ م ، استطاع عادل جيراي ، الشامخال من غازي قموق من تاركهو ، تشجيع بيتر لمحاربة فارس واحتلال عدد من مقاطعاتها .

كان الاتراك مثل الروس ، يتابعون باهتمام بالغ ما يجري في فارس من تدهور للأوضاع . ولأن الاتراك خسروا الكثير من الاراضي في اوروبا نتيجة توقيعهم معاهدة باساروفجا سنة ١٧١٨ م ، فحولوا انظارهم ناحية الشرق . وبسبب اضطراب الاوضاع هناك ، رغب الاتراك بضم اراضي تابعة للدولة الصفوية حتى يعوضوا عن خسائرهم ناحية الغرب . لم ينسى الاتراك انه في الفترة ١٥٧٨ – ١٦٠٧ م كانوا هم المسيطرين على اذربيجان ، جورجيا وشيروان ، ورأوا ان الفرصة لازالت سانحة لإعادة السيطرة على تلك المقاطعات مجددا . ولغرض الحصول على معلومات تؤكد تردي الاوضاع هناك ، ارسل الباب العالي مبعوثا يدعى دوري افندي الى البلاط الصفوي . وصل دوري افندي الى وجهته في نهاية سنة ١٧٢٠ م ؛ وبدى واضحا ان وصوله ازعج الوزراء الفرس ، بسبب خوفهم من مطالبة الاتراك بضم عدد من المقاطعات التابعة للدولة الصفوية لصالح الدولة العثمانية . كان سيمون افراموف ، القنصل الروسي حاضرا في البلاط ، حيث وبدوره نصح المبعوث التركي للحذر في اقواله وتلميحاته (٤) . بعد ان قضى فترة الثلاثة اشهر في فارس ، عاد دوري افندي الى اسلامبول وذكر في تقريره عن الاوضاع هناك : " على الرغم من ازدهار بلاد فارس ، الا ان نهايتها باتت قريبة ؛ بسبب الاضطرابات التي عصفت بالبلاد نتيجة لوجود مسؤولين غير اكفاء لقيادة الدولة " .

ازداد تدهور الاوضاع في بلاد فارس بعد ان غادرها المبعوث التركي . ونتيجة للمؤامرة التي قام بها اعدائه ، قام الشاه بعزل وسجن وتسميل عين اعتماد الدولة (فتح علي خان داغستاني) ، كان من اكفأ رجالات الدولة لدى الشاه ، اما ابن شقيقه الجنرال لطف علي خان ، المعروف ببسالته ، فتم عزله وحرمانه من القيادة كما وتم تسريح قواته ؛ وبالتالي دمر الحصن العسكري الوحيد لفارس بصورة متعمدة .

اما الاوضاع في الخليج الفارسي فكانت تسير من سيء الى اسوء . ففي عام ١٧١٧ م او في وقت مبكر من السنة التالية قام الامام سلطان بن سيف الثاني ، حاكم مسقط ، الذي كان يملك اسطولا قويا ، بتجهيز حملة للسيطرة على جزيرة البحرين ، حيث استولى عليها دون اي صعوبة تذكر . وعلى ما يبدو فأن العمانيين لم يمكثوا طويلا في البحرين ، فعند انسحابهم من هناك استولى عليها الشيخ جبارة الطاهري ، وهو رئيس قبيلة عربية مهمة من الهولة . وبالرغم من تبعية الشيخ للحكومة الفارسية ، الا انه مارس السلطة بصورة مستقلة عن اصفهان . اما قبائل البلوش فزادوا من نشاطهم واصبحوا خطرين بشكل جنوني ، حيث قاموا بغارات على مقاطعتي كرمان ولار . وفي ١٧٢١ م ، قام ٤٠٠٠ فارس بلوشي بالهجوم على بندر عباس ؛ وبعد ان نهبوا المدينة ، حاول المتمردون اقتحام المصانع الانكليزية والهولندية الموجودة هناك ، الا انهم فشلوا وتعرضوا لخسائر فادحة .

اما في داخل بلاد فارس فاندلعت ثورات في لرستان وكردستان في سنة ١٧٢٠ م . وفي نفس السنة ، اعلن مالك محمود سيستاني ، حاكم تون ، في شمال شرق فارس ، العصيان والانشقاق عن سلطة الشاه . كان مالك محمود رجلا طموحا ينتمي الى عائلة كاياني في سيستان وأدعى انتماءه الى سلالة الصفارين (٥) .

في صيف ١٧٢١ م ، لم يتحمل سنة شيروان اضطهاد الشيعة لهم ، فبقيادة الداعية السني الحاج داود ، اعلنوا تمردهم . وأنضم الى المتمردين مجموعة قوية من غازي قموق ، بقيادة زعيمهم سورخاي خان ، والكثير من قاراقيتاق (عشيرة قوية من داغستان) بقيادة زعيمهم

احمد خان . حيث كان افراد غازي قموق والقاراقيتاق من اهل السنة ، اما رجال غازي قموق فلم يرغبوا بمساعدة اهل شيروان لانهم سنة وحسب ، وانما ارادوا الانتقام من الشاه لإصداره الاوامر بعزل وتسميل عين رفيقهم فتح علي خان داغستاني .

بلغ تعداد القوات المتحالفة الى ما يقارب ١٥ الف مقاتل ، حيث نجحوا بمحاصرة شماخي والاستيلاء عليها . وتبع ذلك مجازر رهيبة راح ضحيتها ٤٠٠٠ شيعي ؛ ثم قاموا بعد ذلك بنهب المدينة . بعض التجار الروس المتواجدين في شماخي ، على الرغم من هروبهم من المجزرة ، الا انهم فقدوا بضائع تقدر قيمتها بأكثر من ١٠٠ الف باوند . سجل في تقرير اعده فولينسكي ، حاكم استراخان في ذلك الوقت ، مجريات هذه الحادثة ثم بعث بذلك التقرير الى بيتر العظيم . ومن الاحداث المشؤمة الاخرى التي عصفت بفارس ، ابرام معاهدة نيستاد في اغسطس / اب من عام ١٧٢١ م ؛ والتي انهت الصراع الطويل بين روسيا والسويد ، حيث اتاحت لبيتر العظيم تحقيق احلامه التوسعية في الجنوب الشرقي .

اما الاتراك فقد وافقوا على طلب انضمام شيروان وجعلها تحت الحماية التركية كما وامروا بتعيين الحاج داود خانا على المقاطعة .

اصبحت الاوضاع حول فارس ، وداخل حدودها ، تنبئ بوجود كارثة قادمة ؛ فكان السؤال هنا من اي جهة ستهب العاصفة التي ستطيح بالدولة الصفوية ؟ اما اجابة هذا السؤال فكانت قندهار .

في وقت متأخر من عام ١٧٢١ م ، اتجه محمود حاكم قندهار مع جيشه لغزو فارس مرة اخرى . وفي هذه المرة لم يكن لطف علي خان متواجدا لصد زحفه ؛ فبعد ان استولى على كرمان ارسل جزءا من قواته لحصار شيراز ، اما محمود فسار مع بقية قواته للاستيلاء على يزد ، الا انه فشل في السيطرة عليها . ورغبة منه بعدم اضاعة الوقت في حصار تلك المدينة ، توجه مع قواته نحو اصفهان . في جولن اباد ، والتي تبعد ١٢ ميل شرق اصفهان ، استطاعت قوة صغيرة من الافغان الانتصار على جيش الدولة الصفوية كثير العدة والعدد . كانت هذه المعركة التي حدثت

بتاريخ ٨ مارس ١٧٢٢ م ، معركة حاسمة انهت تقريبا حكم السلالة الصفوية وتشبه الى حد كبير معركة القادسية التي انهت حكم الاسرة الساسانية . وبعد الاستيلاء على فرح اباد ، وهو المنتجع المفضل للشاه سلطان حسين ، واحتلال ضاحية جلفا الارمينية ، سعى محمود للاستيلاء على اصفهان بهجوم عام ، الا انه فشل فشلا ذريعا . لم يكن لدى الافغان مدفعية حصار ثقيلة لاختراق جدران اصفهان فلم يكن لديهم سوى مدافع الزانبورك (مدافع خفيفة محمولة على ظهر الابل) ؛ وبسبب عدم وجود مدافع ثقيلة ولصغر عدد قواته ، قرر محمود حصار المدينة (٦) .

هنا لا اود تسليط الضوء على ما احاط بسكان اصفهان من ويلات ونكبات جراء هذا الحصار ، الا إنني سأتطرق لحادثة واحدة قد يكون لها تأثير في الاحداث المستقبلية . بعد انقضاء فترة ما يقارب الثلاثة اشهر لم تظهر اي بارقة امل لوصول قوات الاغاثة ، لذلك قرر الشاه ووزرائه تعيين احد الامراء بمنصب ولي العهد ، ثم ارساله سرا الى اذربيجان متخطيا خطوط العدو لأجل جمع جيش مهمته إغاثة العاصمة . وقع الاختيار على الابن البكر للشاه ، سلطان محمود ميرزا ، حيث احضر من جناح الحريم ، ثم اقيم له حفل فخم لتنصيبه . الا ان الامير الشاب ، وبسبب نشأته في جناح الحريم ، كان مرعوبا ومتوترا من مراسم التنصيب تلك ومن تجمهر الناس حوله واهتمامهم الزائد به ؛ فما ان انتهت المراسم ، حتى اسرع بالهرب الى جناح الحريم ورفض الخروج مجددا . ونتيجة لذلك ، تم اختيار ثاني ابناء الشاه ، صافي ميرزا ، لشغل ذلك المنصب ، فبعد توليه المنصب لعدة ايام ثبت عدم كفاءته فعزل من منصبه . وقع الاختيار هذه المرة على ثالث ابناء الشاه ، طهماسب ميرزا ، ليكون وليا للعهد . كان يبلغ من العمر ١٨ عاما ، وبالطبع فأن طهماسب نشأ مثل اخوته الاخرين في مقصورة الحريم ، الا انه اظهر رباطة جأش حتى لا تظهر عليه علامات الخوف التي ظهرت على اخويه السابقين ، لذلك تم تأكيد المنصب له . في ٢٧ شعبان ١١٣٤ هجري الموافق (٢ يونيو ١٧٢٢ م) ، غادر طهماسب المدينة سرا برفقة ٢٠٠ رجل تبريزي ، واستطاعوا اجتياز خطوط العدو ونجحوا بالوصول الى قزوين . ولدى وصوله الى هناك ، وبدلا من القيام بتحشيد

القوات والتوجه لإغاثة العاصمة ، الا انه انغمس في اللهو والمجون وقام بهدر الكثير من الوقت . فلم يبذل اي جهد لإغاثة العاصمة والشاه .

في ٢٢ اكتوبر ١٧٢٢ م ، وصل سكان اصفهان المحاصرين الى اقصى درجات الصبر والتحمل بسبب الجوع وانتشار الامراض ؛ وفي ذلك اليوم ولغرض الاستسلام ، توجه الشاه ووزراءه الى المعسكر الافغاني في فرح اباد على ظهر الخيول الافغانية ، بسبب خلو المدينة من الخيول حيث استخدمت جميعها كغذاء لسد الجوع الحاصل هناك . افاد ممثلو شركة الهند الشرقية ان الشاه وعند خروجه من القصر " لم يكن يرتدي الحلي الملكية الفخمة ، وكان خروجه بدون ابهة ، حيث ارتدى ملابس سوداء بسيطة .. وكان يبدو عليه اثار الحزن الشديد وكذلك الحال بحاشيته ، اما الناس فكانوا يرقبونه بصمت وكأنهم في مراسم جنائزية " . ولدى وصوله الى محمود ، قام الشاه بخلع الشارة الملكية (الجيك) من عمامته ، وثبتها بيديه على عمامة الفاتح محمود . بعد ثلاثة ايام دخل محمود الى اصفهان فاتحا ، ثم ارتقى على العرش بصفة رسمية .

بعدما وصلت اخبار هذه الاحداث الى مسامع طهماسب في قزوين ، اعلن نفسه شاها بتاريخ ١٤ صفر ١١٣٥ الموافق ٢٤ نوفمبر ١٧٢٢ م . ولم يلقى هذا الحدث اي تأثير على الناس لسببين اولهما ان محمود سيطر على عاصمة الدولة الصفوية وخضعت له مناطق اكثر بكثير من تلك المناطق التي كانت تحت سيطرة طهماسب ، ثانيا تم منح التاج رسميا الى محمود من قبل الشاه السابق .

وبعد ان وصلت الاخبار الى محمود بأن طهماسب اعلن نفسه شاها ، امر بتجهيز قوة لمحاربته ، وبالفعل تمكنت هذه القوة الافغانية من هزيمة جيش طهماسب ، واحتلال قزوين ، الا ان طهماسب تمكن من الفرار والتوجه الى تبريز . وقد ادى السلوك الوحشي للأفغان في قزوين الى استفزاز الاهالي هناك ، فهاجموا الافغان وقتلوا اعدادا كبيرة منهم وهرب الباقون من المدينة باتجاه اصفهان . وعند وصولهم علم محمود بما جرى ، ولخشيته من اندلاع اعمال مماثلة في مناطق اخرى ، قام

بإعدام العديد من الامراء الصفويين ، وذبح ٣٠٠ من النبلاء والعديد من افراد الحرس الخاص بالشاه .

بينما كان الحصار قائما في اصفهان ، بدأ بيتر العظيم غزو فارس . بداية لم يخطط بيتر لاحتلال فارس حتى السنة المقبلة ١٧٢٣ م ، الا انه وبسبب تسارع الاحداث التي عصفت بفارس والقوقاز ، وبسبب تدخل الاتراك في شؤون شيروان ، قرر تجهيز حملة سريعة هدفها غزو فارس . كان احد اهم اهداف بيتر الرئيسية السيطرة على بحر قزوين وجعله تابعا لروسيا ؛ ولهذا السبب كان من الضروري منع اي قوة عظمى ، كتركيا مثلا ، من الوصول الى شواطئ بحر قزوين .

بعد ان وجه قوة كبيرة من الفرسان والمشاة ، ابحر بيتر من استراخان في يوليو ١٧٢٢ م ، ووصل بعد بضعة ايام الى اجراخان باي وتقع الى الشمال من تاركهو . سارت الحملة جنوبا من خلال تاركهو (هناك رحب الشامخال عادل جيراي ببيتر العظيم) الى تابارساران . حصلت هناك مواجهات بين الروس وقبيلة القراقيتاق بقيادة زعيمهم احمد خان الا ان الروس تمكنوا من هزيمتهم . وبسبب الزحف الروسي المرعب ، قام رجال غازي قموق والقراقيتاق بإرسال الرسائل الى السلطان العثماني يطلبون منه وضعهم تحت الحماية التركية . سيطر بيتر على دربند في ٣ سبتمبر ، لكنه قرر المضي قدما الى ابعد من ذلك . فبعد ان ترك حامية قوية في دربند ، عاد بيتر الى استراخان . ولدى وصوله الى تلك المدينة ، تلقى نداء استغاثة من اهالي جيلان يطلبون منه المساعدة ضد الافغان الغلزائيين ؛ وردا على ذلك ، ارسل بيتر كتيبتين من القوات الى انزلي ؛ وتم تعزيز هذه القوات بقوات اخرى تحت قيادة الجنرال ليفاشيف . وفي جورجيا نجح بيتر بضم كل من فاختانج السادس حاكم كارتلي واخيه كيخسرو خان الى صفه .

وكانت اخبار غزو بيتر لفارس ، بعد وصولها الى مسامع الاتراك ، سببا كافيا لإشعال فتيل الحرب الروسية - التركية . الا ان هذه الحرب لم تحصل ، بسبب الجهود التي قام بها نيبلويف ، المقيم الروسي في اسلامبول ، حيث اكد للأتراك مرارا وتكرارا على النوايا الحسنة التي

كان يكنها بيتر تجاه الباب العالي . في ربيع ١٧٢٣ م ، قرر الاتراك ، وفي خطوة احترازية لمنع التقدم الروسي في فارس ، غزو فارس نفسها . حيث اعلن الباب العالي الحرب على طهماسب ، واصدر علماء الدين الاتراك فتاوى تحث المؤمنين الاتراك على قتال اهل البدعة الفرس . وهكذا شن الاتراك هجومهم على الجزء الشمالي الغربي ؛ فساروا عبر جورجيا ، و استولوا على تفليس في يونيو . وعندما وصلت اخبار الغزو الى طهماسب ، وبناء على نصيحة افراموف ، ارسل طهماسب كبير وزراءه ، اسماعيل بيك ، الى روسيا لغرض التفاوض على معاهدة الحلف . وبينما كان المبعوث الفارسي في طريقه لروسيا ، استولى الجنرال الروسي ماتيوشكين على باكو . ومع ذلك اكمل اسماعيل بيك طريقه الى موسكو لبدء المفاوضات . وفي ٢٣ سبتمبر ١٧٢٣م ، ابرمت المعاهدة التي تضمنت ؛ تعهد روسيا بمساعدة طهماسب على اعادة الاستقرار في بلاده ومعاقبة المتمردين ، اما طهماسب بدوره ، ونتيجة لهذه المساعدة ، فتوجب عليه التنازل لصالح روسيا عن كل من دربند وباكو ، وما يجاورها وكذلك المقاطعات الساحلية الثلاث جيلان ، مازندران واستراباد . كما وتعهد الطرفان ان عدو اي طرف منهما هو عدو للطرف الاخر وصديق اي طرف منهما هو صديق للطرف الاخر . كما قام طهماسب وبنفس الوقت الذي اوفد فيه اسماعيل بيك الى روسيا ، بإرسال سفير الى اسلامبول . الباب العالي ابلغ المبعوث الفارسي بالاتي ، انه نظرا لاستيلاء الروس على دربند وباكو وقيام الافغان بإحتلال اصفهان ، فأن الدولة العثمانية سترسل قواتها للسيطرة على تبريز و ايروان قبل ان يحتلها اعداء فارس ؛ واذا ما تنازل طهماسب عن جورجيا واذربيجان للدولة العثمانية ، فان السلطان سوف يعترف به شاها ويمده بالمساعدة العسكرية . الا ان المبعوث الفارسي لم يكن مخولا بالموافقة على هذه الشروط .

ادى استيلاء روسيا على باكو الى حدوث ازمة خطيرة اخرى بين علاقة البلدين (الاتراك والروس) ، وزاد من حدة هذا العداء بعدما وصلت اخبار ابرام معاهدة ٢٣ سبتمبر الى مسامع الاتراك . الا ان شرارة الحرب اخمدت بسبب الجهود الجبارة للسفير الفرنسي البارع لدى الدولة

كان يكنها بيتر تجاه الباب العالي . في ربيع ١٧٢٣ م ، قرر الاتراك ، وفي خطوة احترازية لمنع التقدم الروسي في فارس ، غزو فارس نفسها . حيث اعلن الباب العالي الحرب على طهماسب ، واصدر علماء الدين الاتراك فتاوى تحث المؤمنين الاتراك على قتال اهل البدعة الفرس . وهكذا شن الاتراك هجومهم على الجزء الشمالي الغربي ؛ فساروا عبر جورجيا ، و استولوا على تفليس في يونيو . وعندما وصلت اخبار الغزو الى طهماسب ، وبناء على نصيحة افراموف ، ارسل طهماسب كبير وزراءه ، اسماعيل بيك ، الى روسيا لغرض التفاوض على معاهدة الحلف . وبينما كان المبعوث الفارسي في طريقه لروسيا ، استولى الجنرال الروسي ماتيوشكين على باكو . ومع ذلك اكمل اسماعيل بيك طريقه الى موسكو لبدء المفاوضات . وفي ٢٣ سبتمبر ١٧٢٣م ، ابرمت المعاهدة التي تضمنت ؛ تعهد روسيا بمساعدة طهماسب على اعادة الاستقرار في بلاده ومعاقبة المتمردين ، اما طهماسب بدوره ، ونتيجة لهذه المساعدة ، فتوجب عليه التنازل لصالح روسيا عن كل من دربند وباكو ، وما يجاورها وكذلك المقاطعات الساحلية الثلاث جيلان ، مازندران واستراباد . كما وتعهد الطرفان ان عدو اي طرف منهما هو عدو للطرف الاخر وصديق اي طرف منهما هو صديق للطرف الاخر . كما قام طهماسب وبنفس الوقت الذي اوفد فيه اسماعيل بيك الى روسيا ، بإرسال سفير الى اسلامبول . الباب العالي ابلغ المبعوث الفارسي بالاتي ، انه نظرا لاستيلاء الروس على دربند وباكو وقيام الافغان بإحتلال اصفهان ، فأن الدولة العثمانية سترسل قواتها للسيطرة على تبريز و ايروان قبل ان يحتلها اعداء فارس ؛ واذا ما تنازل طهماسب عن جورجيا واذربيجان للدولة العثمانية ، فان السلطان سوف يعترف به شاها ويمده بالمساعدة العسكرية . الا ان المبعوث الفارسي لم يكن مخولا بالموافقة على هذه الشروط .

ادى استيلاء روسيا على باكو الى حدوث ازمة خطيرة اخرى بين علاقة البلدين (الاتراك والروس) ، وزاد من حدة هذا العداء بعدما وصلت اخبار ابرام معاهدة ٢٣ سبتمبر الى مسامع الاتراك . الا ان شرارة الحرب اخمدت بسبب الجهود الجبارة للسفير الفرنسي البارع لدى الدولة

العثمانية ماركيز دي بوناك ، الذي استخدم كل الوسائل المتاحة لكبح جماح الاتراك من جهة ونيبلويف من الجهة الاخرى . كانت السياسة الفرنسية في ذلك الوقت تهدف الى منع الدولة العثمانية من محاربة قوة مقتدرة كروسيا حتى لا تستنزف قدراتها ، لأن الفرنسيين شعروا ان الدخول بحلف مع دولة قوية كتركيا سيمثل ورقة ضغط على الاعداء النمساويين في الغرب .

لم يكتف الاتراك باحتلال جورجيا وحسب ، بل تقدم جيشهم من جهة الجنوب لاحتلال فارس نفسها ، حيث استولى حسن باشا ، حاكم بغداد ، على كرمانشاه . وبسبب حلول فصل الشتاء انتظر هناك ، لكنه عزم على التقدم الى همدان بحلول فصل الربيع . الا ان الموت كان بالمرصاد للرجل العجوز حيث وافته المنية في وقت مبكر من عام ١٧٢٤ م ، اما خطته بشأن مسار الحملة فنفذها ابنه الداهية احمد باشا ، الذي كان اكثر مقدرة وبراعة من ابيه ، اصبح احمد باشا حاكما على بغداد خلفا لأبيه وقائدا للقوات التركية على تلك الجبهة .

خلال الاشهر الاولى من عام ١٧٢٤ م ، بذل دي بوناك جهودا ديبلوماسية جبارة لإحلال السلام بين تركيا وروسيا . وعلى الرغم من العقبات الهائلة التي واجهته ، الا انه استطاع النجاح في مهمته الى حد انه في ٢٤ يونيو ١٧٢٤ م ، وقعت الدولتان معاهدة لتقسيم جميع الاراضي في شمال فارس ومعظم مناطقها الغربية . كما اعترفت هذه المعاهدة بالمعاهدة سابقت الذكر التي ابرمها القيصر بطرس مع اسماعيل بيك سنة ١٧٢٣ م (والتي لم يصادق عليها طهماسب) ، كما اتفقت كل من تركيا وروسيا على الاعتراف بطهماسب شاها على بلاد فارس وتقديم المساعدة له لاستعادة الحكم على الأراضي المتبقية من فارس ، بشرط مصادقته على بنود هذه المعاهدة .

كانت مدينة خوي قد سقطت بيد الاتراك قبل ابرام هذه المعاهدة ؛ وبعد ان اظهر طهماسب رفضه المصادقة على بنود هذه المعاهدة ، واصل الاتراك من تقدمهم . توجه احمد باشا الى همدان ، واستطاع الاستيلاء عليها بالرغم من المقاومة الشرسة التي ابداها الاهالي هناك لمدة شهرين

كاملين . اما القوات التركية في الجزء الشمالي الغربي فقد استولت على نخجوان وايروان ، الا ان هجومهم على تبريز قد تم صده . وفي السنة اللاحقة (١٧٢٥ م) وبعد ان استولى الاتراك على كنجه ، قاموا بحملة ناجحة على تبريز . بعد سيطرة الاتراك على تبريز ، هرب طهماسب الى اردبيل ، الا انه وبسبب التقدم التركي نحو ذلك المكان اجبر على مواصلة هربه اتجاه قزوين ومن ثم الى طهران .

عندما كان الزحف الروسي بادئ الامر يسير بسرعة لغزو فارس ، كان الاتراك على العكس يتقدمون بحذر . لكن ، وبعدما زاد الاتراك من نشاطهم واصبحوا يحققون النجاح تلو الاخر باحتلال اجزاء واسعة من فارس ، اصاب الجيش الروسي الفتور . ويعود السبب في ذلك الى وفاة بطرس الاكبر في ٨ فبراير ١٧٢٥ م . وبموته حرمت روسيا من براعته وقوته في القيادة ، لذلك تخلت روسيا عن اطماعها التوسعية على حساب فارس ، وارادت الاحتفاظ بمكاسبها السابقة .

عندما كان الروس والاتراك مشغولين باحتلال فارس من الشمال والغرب ، كان محمود يوسع من غزواته جنوبا . بعد ذلك ظهر مدعي ينتمي الى قبيلة كاراني ادعى انه صافي ميرزا ، الابن الثاني للشاه السابق ، في ارض البختياريين قرب عام ١٧٢٤ م ، حيث جمع حوله عددا من الاتباع ، لكنه وبعد ثلاث سنوات هزم وقتل . من المحتمل ان تكون هذه الحادثة سببا لحصول مأساة مروعة ستقع في اصفهان . محمود ، ومن دون انتظار نتائج التحقيق ، وبعد سماعه شائعات تؤكد على هرب صافي ميرزا الحقيقي من الاسر ، امر في ٧ فبراير ١٧٢٥ م ، بذبح جميع ذكور الاسرة الصفوية من المتواجدين لديه باستثناء الشاه السابق واثنين من الامراء الفتيان .

كان محمود مصابا بمرض المناخوليا منذ فترة من الزمن ، واصبح يشك بمن حوله . اشرف بن عبد العزيز ، ابن عم محمود ، كان قائدا عسكريا مقتدرا وحظى بشعبية واسعة بين الجنود الافغان . فقام محمود ، ولخوفه من شعبية اشرف المتزايدة التي لربما ستؤدي الى حدوث تمرد ضده ، بزجه في السجن . بعد ذبحه للأمراء الصفويين ، اصيب محمود بالجنون

، اما من الناحية الجسدية فيقال انه اصيب بالجذام او الشلل . ادت حالة محمود المروعة تلك الى حدوث مؤامرة بين الافغان ، وفي النهاية قرروا الافراج عن اشرف وطالبوه بمسك زمام الحكم بدلا عن محمود . وافق اشرف ، وانتقم من قتلة ابيه وجلس على العرش بعد قطعه لرأس محمود في ٢٢ ابريل ١٧٢٥ م . كانت اولى اعماله بعد ارتقاءه العرش ان اعدم انصار محمود واتباعه من القادة وكبار الشخصيات . ويقال انه قدم التاج لسلطان حسين مع علمه التام بأن الشاه السابق سيرفضه . ثم سعى اشرف الى ايقاع طهماسب في الفخ من خلال دعوته للقائه بين قم وطهران (حيث كان طهماسب متواجدا هناك) واقترح ان يرافق كلاهما عدد قليل من الاتباع ؛ وبالطبع كان اشرف لا ينوي الالتزام بالمقترح الاخير . ولحسن حظ طهماسب ، فقد حذره بعض الموالين له في اصفهان من نوايا اشرف الحقيقية .

عندما احس اشرف بفشل خطته ، اتجه مع قوة قوية الى طهران . وفي منطقة شاه عبد العظيم ، والتي تبعد ٦ اميال الى الجنوب من طهران ، اخذت قوات طهماسب على حين غرة ، ثم سار اشرف بعد ذلك الى طهران ، ونجح بالاستيلاء عليها ، الا ان تقدمه لم يكن سريعا كفاية لمنع طهماسب من الهرب . اما الامير فنجح بالهرب الى مازندران برفقة عدد قليل من الاتباع . ويبدو انه هرب من طهران في ١٠ من ديسمبر ١٧٢٥ م .

بعد ان شق طهماسب طريقه خلال غابات مازندران لبعض الوقت ، وصل الى منطقة ساري ، حيث انضم اليه ٢٠٠٠ رجل بقيادة فتح علي خان قاجار من استراباد .

ان الجزء المتعلق بفتح علي خان للفترة بين ١٧٢٢ - ١٧٢٥ م هو مثار جدل . حيث ذكر المؤرخون المعاصرون للحكم القاجاري امثال ، عبد الرزاق ، رضا قولي خان هدايت ، محمد تقي المعروف بلسان الملك : ان فتح علي خان حاول مساعدة الشاه سلطان حسين اثناء حصار اصفهان ، الا انه اتهم زورا من قبل الوزراء الغيورين ، حيث اخبروا الشاه بأن نواياه الحقيقية كانت الاستيلاء على العرش ، لذلك فانه غادر

اصفهان مشمئزا من هكذا اتهام وعاد الى استراباد . هذه الرواية الغير صحيحة ، لا تؤيدها المصادر المعاصرة .

ويبدو انه عندما كان طهماسب في طهران في اواخر ١٧٢٥ م ، قام الامير او سكان مدينة الري بمناشدة فتح علي خان لتقديم المساعدة ضد الافغان . فاستجاب زعيم قاجار لهذه المناشدة ، وقاتل الاعداء في معركة غير حاسمة قرب ورامين ؛ ثم تقدم باتجاه طهران ، لكنه وصلها متأخرا جدا فلم يجد طهماسب هناك ليساعده ولم يمنع الغلزائيين من احتلال المدينة . انسحب بعد ذلك شرقا ، وانضم في نهاية المطاف الى طهماسب في ساري . وحسب رأي محمد محسن فأن فتح علي خان اعلن الثورة في شتاء ١٧٢٦ – ١٧٢٧ م ؛ وبعد ان قام بنهب دامغان ، توجه الى مازندران ودخلها ، حيث هزم هناك وحدة قتالية موالية لطهماسب . لكن بعد ذلك توجه الى ساري ، حيث ذهب هو وبعض زعماء قاجار الاخرين لمقابلة الامير (فكانت سيوفهم بإغمادها والمصاحف الشريفة بين ايديهم) ، واخبروا طهماسب " بأن جنرالاته لم يكونوا بالمستوى المطلوب لانهم كانوا متخاذلين ، فسلموا بلادهم للعدو على طبق من ذهب " . طلب فتح علي خان مسامحته عن سلوكه السابق ، وعرض خدماته هو ورجاله للالتحاق بصفوف طهماسب . وحقيقة الامر ان فتح علي لم يعلن الثورة ، لأنه كان يحكم منطقته بصورة مستقلة عن طهماسب ، بسبب بعدها عن الامير ولحالة البلاد المضطربة آنذاك .

لم يكن لدى فتح علي خان سوى ٢٠٠٠ من الاتباع ، اما مالك محمود سيستاني فكان اقوى بكثير (٧) (لأنه في عام ١٧٢٣ م ، استفاد من حالة الفوضى في خراسان ، واستطاع الاستيلاء على مشهد ونصب نفسه حاكما مستقلا هناك) . على الرغم من قلة اعداد قوات طهماسب ، الا انه وبصفته الابن الوحيد للشاه السابق المطالب بعرش اجداده ، جعله مركز جذب لجميع المواطنين المريدين للنهج الصفوي . كان فتح علي خان رجلا اكثر ذكاء واستبصارا بالأمور من طهماسب ، حيث ادرك وبلا شك الفائدة العظيمة من انضمامه الى الامير . بسبب قوة شخصيته ولتأثيره الكبير على الامير ، لذلك ادرك فتح علي خان بأنه سيكون

الحاكم الفعلي لكافة مؤسسات الدولة الصفوية اذا ما ارتقى الامير على عرش فارس . وبسبب فطنته لاحظ فتح علي خان تحسنا واضحا في احوال طهماسب يقابله تدهور واضح في احوال خصومه . في مارس ١٧٢٦ م ، وبسبب طموحه اللا محدود ، دخل اشرف بحرب ضد الاتراك . كان المستفيد الاكبر من اندلاع هذه الحرب هو طهماسب نفسه ، لأنه وبسبب انشغالهما عنه سيتوفر له المزيد من الوقت لتقوية جيشه ولجذب اكبر عدد من المريدين حوله ، كما وأن هذه الحرب ستؤدي الى أضعاف كلا الجانبين لا سيما الغلزائيين . لم يستطع اشرف تحمل خسارة العديد من الرجال ، لأنه كان يحكم بقوة السلاح شعبا فاقت اعداده اعداد الجيش الافغاني بكثير كما وان الفرس كانوا يكنون العداوة والكره للغلزائيين لسببين اولهما عنصري وثانيهما بسبب الاختلافات الدينية المذهبية . وعلاوة على ذلك ، وبسبب قيام اشرف بقتل محمود ، فقد نشبت عداوة بينه وبين حسين شقيق محمود ، الذي استفرد بالسلطة في قندهار ؛ وبسبب ما ذكر اعلاه ، فأن اشرف لم يتوقع وصول اي تعزيزات من ذلك الجزء (اي قندهار) . وكما ذكرنا سابقا ، اصبحت روسيا وخاصة بعد موت بيتر اقل عدائية تجاه فارس حيث قللت من تدخلاتها في الشأن الفارسي وبشكل ملحوظ ، وعلى الرغم من ابرام روسيا وتركيا معاهدة لتقسيم الدولة الصفوية ، الا ان الخوف وانعدام الثقة بين الجانبين كان من ابرز سمات العلاقة بين البلدين . اما العبدليين ، ونتيجة للانقسامات الداخلية بين صفوفهم فقد اصبحوا اقل خطورة من السابق كما وضعفت قوتهم ايضا ، ولم يكن مرجحا قيامهم بأي عمل عدائي اقلها لبعض الوقت . واخيرا ، كان هناك مالك محمود ، لكنه كان اقل خطورة من الاخرين سابقي الذكر ، كما وانه سيكون عاجزا عن مقاومة اي حراك شعبي واسع للمطالبة بعودة الحكم الصفوي .

انتقل طهماسب الى استراباد برفقة مؤيديه الجدد ، للحصول على تعزيزات ولتجهيز جيش قادر على مجابهة الاعداء . وقد منح طهماسب فتح علي خان لقب وكيل الدولة ، كما ومنح عددا من رؤساء قاجار مناصب رفيعة . وقد نجح فتح علي بأقناع طهماسب بضرورة التحرك

نحو قتال مالك محمود ، على امل جمع التعزيزات في الطريق ؛ ومع هذا الهدف ، توجه طهماسب و فتح علي الى مشهد عبر خابوشان .

اراد فتح علي في بداية حملته ، الاستفادة من حالة الانشقاق في صفوف اعداء بلاده لتحريرها . الا انه لم يحقق هدفه بسبب ظهور منافس له راح نجمه يتلألأ يوما بعد يوم كان اسمه نادر .

الحاكم الفعلي لكافة مؤسسات الدولة الصفوية اذا ما ارتقى الامير على عرش فارس . وبسبب فطنته لاحظ فتح علي خان تحسنا واضحا في احوال طهماسب يقابله تدهور واضح في احوال خصومه . في مارس ١٧٢٦ م ، وبسبب طموحه اللا محدود ، دخل اشرف بحرب ضد الاتراك . كان المستفيد الاكبر من اندلاع هذه الحرب هو طهماسب نفسه ، لأنه وبسبب انشغالهما عنه سيتوفر له المزيد من الوقت لتقوية جيشه ولجذب اكبر عدد من المريدين حوله ، كما وأن هذه الحرب ستؤدي الى أضعاف كلا الجانبين لا سيما الغلزائيين . لم يستطع اشرف تحمل خسارة العديد من الرجال ، لأنه كان يحكم بقوة السلاح شعبا فاقت اعداده اعداد الجيش الافغاني بكثير كما وان الفرس كانوا يكنون العداوة والكره للغلزائيين لسببين اولهما عنصري وثانيهما بسبب الاختلافات الدينية المذهبية . وعلاوة على ذلك ، وبسبب قيام اشرف بقتل محمود ، فقد نشبت عداوة بينه وبين حسين شقيق محمود ، الذي استفرد بالسلطة في قندهار ؛ وبسبب ما ذكر اعلاه ، فأن اشرف لم يتوقع وصول اي تعزيزات من ذلك الجزء (اي قندهار) . وكما ذكرنا سابقا ، اصبحت روسيا وخاصة بعد موت بيتر اقل عدائية تجاه فارس حيث قللت من تدخلاتها في الشأن الفارسي وبشكل ملحوظ ، وعلى الرغم من ابرام روسيا وتركيا معاهدة لتقسيم الدولة الصفوية ، الا ان الخوف وانعدام الثقة بين الجانبين كان من ابرز سمات العلاقة بين البلدين . اما العبدليين ، ونتيجة للانقسامات الداخلية بين صفوفهم فقد اصبحوا اقل خطورة من السابق كما وضعفت قوتهم ايضا ، ولم يكن مرجحا قيامهم بأي عمل عدائي اقلها لبعض الوقت . واخيرا ، كان هناك مالك محمود ، لكنه كان اقل خطورة من الاخرين سابقي الذكر ، كما وانه سيكون عاجزا عن مقاومة اي حراك شعبي واسع للمطالبة بعودة الحكم الصفوي .

انتقل طهماسب الى استراباد برفقة مؤيديه الجدد ، للحصول على تعزيزات ولتجهيز جيش قادر على مجابهة الاعداء . وقد منح طهماسب فتح علي خان لقب وكيل الدولة ، كما ومنح عددا من رؤساء قاجار مناصب رفيعة . وقد نجح فتح علي بأقناع طهماسب بضرورة التحرك

نحو قتال مالك محمود ، على امل جمع التعزيزات في الطريق ؛ ومع هذا الهدف ، توجه طهماسب و فتح علي الى مشهد عبر خابوشان .

اراد فتح علي في بداية حملته ، الاستفادة من حالة الانشقاق في صفوف اعداء بلاده لتحريرها . الا انه لم يحقق هدفه بسبب ظهور منافس له راح نجمه يتلألأ يوما بعد يوم كان اسمه نادر .

اصل نادر ونسبه وبداية حياته

من الصعب احيانا ، بل من المستحيل ، التحقق في اصل القبائل المتواجدة في فارس واسيا الوسطى ، حيث تكمن الصعوبة في معرفة اصل هذه القبائل اذا ما كانت تركية او مغولية . فهناك شك حول اصل قبيلة نادر ، افشار ، لكن الادلة التي تذكر انها من اصل تركي تبدو قوية الى حد معقول . وقد ذكر المؤرخ رشيد الدين فضل الله ان الافشار " قبيلة تركية تقطن في السهول " ، وذكر ان اوشار، مؤسس القبيلة ، كان مقاتلا في الجناح الايمن في جيش جده اوغوز ،الجد الاسطوري للأتراك . ذكر ابو الغازي أن كلمة اوشار (المشتقة منها كلمة افشار) تعني " الشخص الذي ينهي الامور فورا " .

ويعتقد ان الافشار تحركوا غربا من وسط اسيا بسبب زحف المغول في القرن ١٣ م ، وانهم استقروا اول الامر في اذربيجان ؛ ثم بعد ذلك انتشروا في فارس بشكل واسع . شكل الشاه اسماعيل الاول جيشه بشكل اساسي من قبيلة افشار وستة قبائل تركية (او تركو – مغولية) هي شاملو ، روملو ، استاجلو ، تكلو ، ذو القدر و قاجار . وكان احد قادة الشاه طهماسب الاول ، ويدعى خليل بيك افشار الذي كان زعيما لعشرة الاف عائلة من القبيلة ، حاكما لمقاطعة كوه كيلويه .

ذكر ميرزا مهدي أن فرع قريقلو من قبيلة افشار ، والذي انحدر منه نادر ، قد هاجر الى خراسان في عهد الشاه اسماعيل الاول (١٥٠٢ – ١٥٢٤ م) ، فكانوا يخيمون صيفا قرب بعض الينابيع المعروفة بمياب كوبكان ، والتي تقع الى الجنوب من سلسلة جبال الله اكبر . وقد ذكر سيد احمد اغا التبريزي أن الشاه عباس الاول امر بانتقال عشيرة قريقلو افشار واكراد تشاميشجازاك الى تلك المنطقة ، لغرض صد هجمات الاوزبك . ومع ذلك يبدو ان قبيلة افشار كانت متواجدة في خراسان في بداية القرن ١٦ م ، وذكر خواندامير ان شاه روخ بيك افشار ياجوجي ارسل من هرات في سنة (١٥١٤ – ١٥١٥ م) الى مقاطعة قندهار ، لأجل اخضاع المتمرد شجاع بيك .

كانت قرية كوبكان تقع في منطقة الرعي الصيفية للقبيلة وكانت اجواءها ملائمة في فصل الصيف ، اما في فصل الشتاء فكانت باردة جدا ، وبسبب ذلك ، عند حلول فصل الخريف ، تغادر قبيلة افشار فرع قريقلو الى منطقة دارا جاز الدافئة ، عابرين سلسلة جبال الله اكبر . في نوفمبر من عام ١٦٨٨ م ، بدأت هجرة القبيلة من كوبكان الى دارا جاز . كان من بين افراد القبيلة المهاجرة فلاح فقير يدعى امام قولي بيك وزوجته ؛ فبعد ان عبرا الجبال ووصلا الى قرية داستجرد في دارا جاز ، وضعت الزوجة مولودا اسمته نادر قولي بيك ، الذي سيعرف مستقبلا بسم نادر شاه . ذكر ميرزا مهدي ان موعد ولادة نادر هو ٢٨ محرم في ١١٠٠ هجري (٢٢ نوفمبر ١٦٨٨ م) . اما عبد الكريم الكشميري فذكر ان ولادته كانت بتاريخ ١٠٩٩ هجري ، وذكرت مصادر اخرى انه ولد بتاريخ ١١٠٢ هجري . ويبدو ان التاريخ الذي ذكره ميرزا مهدي هو الاكثر دقة ، الا ان قوله بأن نادر ولد في قلعة داستجرد هو بالتأكيد تلفيق غرضه التملق وتمجيد سيده . وعلى اي حال ، كان مولد نادر في خيمة بسيطة ؛ وما يؤكد ذلك ان نادر امر ، بعد عدة سنوات ، بتشييد نصب على الموقع القديم للخيمة حيث اطلق عليه اسم مولود خانه ، هذا النصب كان خارج قلعة داستجرد .

لا يعرف الا القليل عن امام قولي ، فألى جانب كونه رجل فقير لم يشغل اي منصب ذو اهمية . فقد كان إما راعيا ، مزارعا ، صانع جلود او راعيا للابل . وبدت المكانة المتواضعة لوالدي نادر واضحة من خلال الكلمات المنمقة لميرزا مهدي " ان الجوهرة القيمة تستمد جمالها من صفاءها وبريقها لا من المادة الخام التي وجدت عليها " . اما نادر نفسه ، وبالرغم من كونه دائم الفخر بدمائه التركية او التركمانية وادعاءه الانتماء الى تيمور ، فأنه لم يسعى لتعظيم مكانة والديه واسلافه . وكان دائم القول انه " ابن السيف " .

ان المصادر الفارسية والاوربية وفرت القليل من المعلومات عن حياة نادر المبكرة . فمن المفترض انه رافق والديه في هجرتهما السنوية بين كوبكان ودارا جاز ، وانه بمجرد ان اشتد ساعده ، عاون اباه في كسب

لقمة العيش الزهيدة . حيث تجاهل ميرزا مهدي هذه الفترة من حياة نادر واكتفى بذكر " وضع قدمه على سلم الرجولة " ، اي عندما بلغ سن ١٥ . ذكر هانوي ان الاوزبك شنوا غارة على خراسان في سنة ١٧٠٤ م ، كان حصيلتها قتل العديد من الاشخاص وأسر البعض منهم . وذكر انه كان من بين الاسرى ، نادر وامه ؛ اما نادر فنجح بالهرب من الاسر سنة ١٧٠٨م وامه فقد ماتت اسيرة . لم تذكر هذه الحادثة في اي مصدر فارسي ، وفي الحقيقة لا يمكن الجزم بصحة هذه الحادثة . صرح وليم جوجل ، ان والد نادر لم يكن رئيس عشيرة افشار وحسب ، بل كان قائدا لقلعة كلات ، وهي على شاكلة رواية طرد نادر من قبل عمه وانتزاع قيادة القلعة منه ، فأن هذه الروايات تعتبر بعيدة عن الحقيقة .

بعدما بلغ نادر مرحلة الشباب ، اتخذ خطوة جريئة ستقوده الى مراتب اعلى . على اعتبار انه غير راغب بمتابعة مهنة والده المتواضعة ، دخل في خدمة بابا علي بيك كوسا احمدلو الذي كان زعيما للافشار في منطقة ابيورد وحاكما على تلك المنطقة . وبسبب ذكاء نادر وشجاعته ، جذب انتباه سيده له فكافئه ليس فقط ان جعله قائد حرسه وحسب بل واصبح صهره ايضا .

ذكر المؤلف الهندي عبد الكريم كشميري بهذا الصدد ، ان بابا علي بيك تزوج ارملة امام قولي بيك ، زوجة اب نادر ، بعد وفاته . فبعد ان اعجب بمقدرة نادر وذكائه قام بتزويجه احدى بناته ، فمنح نادر بداية حقيقية لبزوغ نجمه .

في ٢٥ جمادي الاول ١١٣١ هجري المصادف (١٥ ابريل ١٧١٩ م) ، ولد رضا قولي ابن نادر البكر . وبعد سنوات قليلة توفيت زوجة نادر ؛ فتزوج من الابنة الاخرى لبابا علي بيك ، جوهر شاد ، التي انجبت له ولدين هما نصر الله وامام قولي . وحسب محمد كاظم من مرو ، ذكر أن نادر اول الامر سمى ابنه الثاني مرتضى قولي ، لكنه غير اسمه الى نصر الله بسبب دوره البارز في معركة كارنال ١٧٣٩م . ويبدو من اسماء ابناء نادر ان عائلة نادر ونادر نفسه عندما كان شابا كانوا يعتنقون المذهب الشيعي ؛ وهو مخالف لما تم التأكيد عليه دائما بأن نادر وعائلته

كانوا يعتنقون المذهب السني ، حيث لا يوجد دليل واضح يؤيد صحة اعتناق نادر للمذهب السني .

ان احداث السنوات القليلة المقبلة كان يلفها الغموض . حيث يبدو ان بابا علي بيك قد توفى سنة ١٧٢٣ م ، وترك القيادة وكل ما يملك لنادر ؛ الا ان جون مالكوم كان له رأي اخر ، حيث ذكر بأن نادر قام بقتل بابا علي بيك وهو بالتأكيد ادعاء غير صحيح لسبب واحد لان مثل هكذا عمل سينتج عنه نزاع عائلي وعداء . لكن الواقع يقول غير ذلك حيث دخل جميع ابناء بابا علي بيك الثلاثة في خدمة نادر ، وحصلوا لاحقا على مناصب بارزة .

وبسبب المعارضة القبلية ، لم يستطع نادر الاستمرار في المنصب الذي تركه له بابا علي بيك كزعيم لافشار ابيورد . فبعد ان تولى المنصب لفترة من الزمن ، ذهب الى مشهد ودخل في خدمة مالك محمود . نقل ميرزا مهدي حدثا مشكوك في صحته عن اعمال نادر في ذلك الوقت ، فذكر ، ان نادر ، وبعد ان تبين له حجم الاضطرابات التي يعاني منها سكان بلاد فارس ، حصل على الهام الهي بأنه سيكون المنقذ لشعب فارس . فاختار كلات لتكون مقر قيادته ، وهي قلعة قوية محصنة بصورة طبيعية دون تدخل البشر ، كما وجمع الافشار ، الكرد والقبائل الاخرى المجاورة بهدف تحرير فارس من الغزاة . الا انه وبعد فترة وجيزة تخلى الافشار والكرد عنه " بسبب وسوسة الشياطين لهم " . بعضهم انضم الى مالك محمود والبعض الاخر بقى متحفظا . ومع ذلك ، فأن ٣٠٠ -- ٤٠٠ عائلة من قبيلة جالاير بقيادة طهماسب خان وكيل ، انضموا الى نادر وبقوا مخلصين له . بعد ذلك ذهب نادر الى مشهد ودخل بعلاقة صلح مع مالك محمود بهدف خداعه والاطاحة به .

في مشهد تعرف نادر على اثنين من زعماء الافشار ، بداية لم ينسجما مع نادر ، الا انه لاحقا نجح بكسب ثقتهما واستطاع اقناعهما بمساعدته على اغتيال مالك محمود . وحصل الاتفاق على مشاركة كل من نادر ، وزعيمي افشار والجلائريون لتنفيذ مهمة الاغتيال تلك ، كان توقيت التنفيذ في يوم رياضة جيريت (احتفال يقام للفروسية) ، اما الخطة

فكانت تقضي بقيام نادر مسك لجام حصان مالك محمود عند مشاركته الرياضة . حيث اعتبرت اشارة للافشار والجلائريين لقتل مالك محمود وأتباعه . لكن الخطة فشلت ، لعدم تمكن نادر من مسك لجام الحصان . ويبدو ان مالك محمود لم يشك في شيء ، وعاد هو ونادر والاخرون الى مشهد . لم يكن مطمئنا لحليفيه الجديدين من زعماء افشار ، لذلك فقد دعاهما نادر الى الصيد وقام بقتلهما هناك . وخوفا من قصاص مالك محمود ، هرب الى ابيورد ، حيث سعى لزيادة عدد قواته لقتال مالك محمود .

بعض الفرسان ومنهم ناصر اغا ، حيث كان من الفرسان المعروفين الاشداء ، استجابوا لنادر ، فجهز نادر قوة بقيادته كان هدفها الأغارة على خراسان ونهبها . كانت القوة الوحيدة المعارضة لنادر هو مالك محمود وانصاره . فبعد ان رفض اكراد تشاميشجازاك ، من خابوشان ، دعوة مالك محمود لمساعدته على دحر قوات نادر ، قام مالك محمود بمهاجمتهم . ولتقديم الدعم سار نادر الى هناك ونجح بإجبار مالك محمود على الانسحاب ؛ وبسبب عدم امتلاكه سلاح المدفعية ، لم يتمكن نادر وحلفاءه من متابعة هذا النجاح من خلال تعقب العدو وضرب الحصار حول مشهد . بعد ذلك عمل نادر على اخضاع القبائل المعادية له في منطقة داراجاز وفي ابيورد .

بالرغم من عدم قدرة طهماسب على محاربة محمود الغلزائي والاطاحة به في اصفهان ، الا انه ارسل جنراله رضا قولي خان للهجوم على مالك محمود . ووفقا لميرزا مهدي ، فأن رضا قولي قد سمع ببراعة نادر كقائد عسكري ، ورغب في التعاون معه ، الا ان بعض اكراد خابوشان نصحوه بترك تلك الفكرة معللين السبب انه اذا ما نجح بحملته ضد مالك محمود ، فأن الفضل سيعود الى مشاركة نادر وبالتالي سينال نادر جميع المزايا المترتبة من هذا النصر . هجم رضا قولي مرتين على مالك محمود ، لكنه فشل . ونتيجة لفشله وهزيمته ، استبدل بجنرال صفوي اخر يدعى محمد خان تركمان . قرر مالك محمود ، ونتيجة لانتصاره على رضا قولي خان ، اضافة نيشابور الى مملكته ؛ وبعد محاولة فاشلة

من ابن اخيه ، استطاع مالك محمود الاستيلاء على نيشابور ، ولم يستطع نادر واخيه ابراهيم ، وبالرغم من مقاومتهم الشديدة ، منعه من الاستيلاء على نيشابور . وفي معركة اخرى ، انتصر مالك محمود على نادر ، ويقال ان نادر نجح في الوصول الى كلات برفقة اثنين من الرجال فقط . وصل محمد خان تركمان الى خراسان ، وبالتعاون مع نادر ، استطاع هزيمة مالك محمود خارج مشهد . لم يتمكن نادر من متابعة هذا النصر ، بسبب قيام التركمان في باغواده شمال شرق ابيورد بالثورة . فاستطاع نادر اخماد تمرد التركمان في باغواده ، وتوجه بعد ذلك الى مرو ، ثم الى سرخس حيث هزم اتباع مالك محمود هناك .

بعد ذلك ظهر عدو جديد لنادر وهو مقاتل عنيد اسمه اشور بيك بابالو ، كان من اقرباء نادر ، حيث دخل اشور بيك بحلف مع بعض من اكراد تشاميشجازاك . فقام نادر بمحاصرة اشور بيك في قلعته في قرغان ، واثناء حصاره حصل نادر على تعزيزات من حاكم خيوة شير غازي قدرت بحوالي ٥٠٠ شاب اوزبكي (١) . في وقت مبكر من عام ١٧٢٦ م ، ارسل طهماسب معير الممالك حسن علي بيك لجمع معلومات دقيقة عن نادر ، فبعد سماعه لتقارير تؤكد على براعة نادر العسكرية وشجاعته ، اعجب حسن علي بيك به كثيرا ، وقام نيابة عن طهماسب بتعيين نادر نائبا لحاكم ابيورد . وحسب راي ميرزا مهدي ، فعندما اراد حسن علي بيك العودة لطهماسب ، حثه نادر على اقناع الامير بالمجيء الى خراسان مع جيشه .

بعد حملته في مرو ، لإخماد الاضطرابات بين القاجار المحليين والتركمان ، توجه نادر مرة اخرى للقاء مالك محمود . وبالقرب من مشهد ، عاد حسن علي بيك من استراباد حاملا معه رسالة موجهة من طهماسب الى نادر مفادها انه لبى دعوة نادر بالتوجه اليه وانه يرغب بلقائه . وفورا غير نادر من مسيرته نحو مشهد وتوجه غربا باتجاه خابوشان .

في هذه الاثناء وبعد ان علم مالك محمود عن مغادرة طهماسب لاستراباد وتوجهه نحو خراسان ، فكر بمهاجمة قوات طهماسب وابادتها قبل ان يلتحق بهم نادر ، لكنه غير رأيه وعاد وتحصن في عاصمته مشهد .

بعد يوم او يومين وصل طهماسب وفتح علي خان الى خابوشان ، فسار نادر الى تلك المدينة يرافقه ٢٠٠٠ من قواته حيث كانوا من الاكراد والافشار .

العلاقة المبكرة بين نادر وطهماسب ، حصار مشهد والحملات الصغرى ١٧٢٦ – ١٧٢٩ م

ان مسألة التحاق نادر بالأمير كانت سببا في المعاناة الرهيبة التي سيتعرض لها طهماسب مستقبلا ، الا انها شكلت نقطة تحول عظيمة بالنسبة لنادر ، لأنه تحول من قائد اقليمي الى شخصية ذات اهمية قومية . وفي هذا الفصل سنرى كيف استفاد نادر من هذا الاتحاد ، وكيف اطاح بمنافسيه وتغلب على كل معارضيه ، وكيف ذاع صيت براعته العسكرية ، حيث عزز موقعه كأحد اشهر قادة طهماسب واهم مستشاريه . ولم يكن هذا الامر بالسهل لعدة اسباب اولها ، وجود منافس من العيار الثقيل كفتح علي خان قاجار ، الذي كان طموحه واهدافه شبيهة بطموح واهداف نادر . ثانيا ، ان نادر اكتشف من خلال مرافقته لطهماسب ، انه لا يمكن الوثوق به لأنه كان ذو شخصية متقلبة ، وكان مثل والده دمية بيد وزرائه . ثالثا ، ان اي شخص كان يطمح بالحصول على منصب رفيع لدى طهماسب كان ذلك سيؤدي الى تنامي العداء ضده من قبل الوزراء ، الذين وبالرغم من اختلافاتهم وغيرتهم من بعضهم البعض ، الا انهم سيتحدون لمنع اي شخص قوي ، كنادر او فتح علي خان ، من التقرب الى طهماسب الضعيف لينال القبول لديه ؛ كانوا يخشون ، وبدون سبب ، انه اذا ما نجح شخص بكسب الحظوة والقبول لدى سيدهم ، فأن فترة نفوذهم ستنتهي . كان نادر يدرك جيدا بأنه لا يمكن ان تتحقق اهدافه ما لم يجند ويدرب قوات نظامية تكون مخلصة له وحده ، بعيدا عن اعتماده على القوات القبلية ، حيث كانت هذه القوات لا يعتمد عليها لأن افرادها كانوا مخلصين لزعيم القبيلة اكثر من اخلاصهم لقائدهم ولأنهم كانوا سيرفضون تنفيذ الاوامر اذا ما تعارضت مع مصالحهم .

بعد توقف دام بضعة ايام في خابوشان ، غادر طهماسب برفقة قائدين قويين هما نادر وفتح علي خان حيث كانوا متوجهين الى مشهد في ٢٢ محرم ١١٣٩ هجري (١٩ سبتمبر ١٧٢٦ م) ؛ وبعد عشرة ايام قضوها في المسير ، عسكروا في منطقة ضريح خواجة ربيع ، التي تبعد ٣ اميال شمال مشهد . وخلال هذا الزحف ، ظهر تنافس حاد ، تطور في

وقت لاحق ، بين نادر وفتح علي خان ، الا ان نادر نجح في اقناع طهماسب بمنحه قيادة الجيش والهجوم على المدينة بدلا من فتح علي خان .

وكما فشل محمود بالاستيلاء على اصفهان بهجوم شامل سنة ١٧٢٢ م ، فشل نادر ايضا في الاستيلاء على مشهد . يعود ذلك الفشل لسببين مهمين اولهما ان تحصينات المدينة كانت قوية جدا حيث كانت مدعومة بحامية كبيرة ، اما السبب الثاني فكان قلة القوات المهاجمة وعدم امتلاكهم مدافع فعالة . وفي ظل هذه الظروف ، فضل نادر محاصرة المدينة .

خلال الحصار ، تنامى الخلاف بين نادر وفتح علي خان الى صراع حياة او موت ، وكان نهاية هذا الصراع يعتمد على رأي طهماسب بدعم من ؟ . ويبدو ان طهماسب اختار نادر ، بسبب انزعاج الامير من سلوك وتصرفات فتح علي خان . استفاد نادر من هذا الكره ، ووظفه لأقناع الامير بأن فتح علي خان كان قد تامر ضده وكان ينوي تسليمه لمالك محمود ، لذلك امر طهماسب بإعدام فتح علي خان في ١٤ صفر (١١ اكتوبر) . كان هناك تضارب في الآراء بشأن اعدام فتح علي خان ، حيث ذكر عبد الرزاق ان نادر استعمل الخديعة للتخلص من فتح علي وتسبب بقتله شهيدا ، اما ميرزا مهدي فذكر ان طهماسب كان منزعجا من فتح علي خان ، لأنه كان مثيرا للشك ، حتى قبل ظهور نادر على الساحة (١) . امر طهماسب بإعدام فتح علي خان ، لكن نادر اقنعه بسجنه فقط ؛ فوافق الامير ، لكنه امر بإعدامه في وقت لاحق دون علم نادر بذلك القرار . ويبدو ان ادعاء ميرزا مهدي سابق الذكر مشكوك في صحته ، لان فتح علي كان اكثر قوة من نادر ، لذلك فعل نادر المستحيل لأزاحته من الساحة ، ولو عاش فتح علي لشكل عامل خطر مستمر على نادر ، ولو كانت الكفة تميل لفتح علي وكسب ود طهماسب لحاول اقناع الامير وبشتى الطرق لإعدام نادر والتخلص منه .

بعد ان ازال منافسه من طريقه ، لم يجد نادر اي صعوبة لأقناع الامير المغفل بأن يسيطر على كل شيء تقريبا ؛ حيث قام بتعيين المقربين له في اماكن حساسة ومهمة . نال نادر منصب قورتشي باشي ، وحصل

على لقب طهماسب قولي (اي عبد طهماسب) خان ، اما كلب علي بيك وهو صهر نادر فعينه بمنصب ايشيك آقاسي .

اعطى نادر جل وقته من اجل حصار مشهد ، لكنه لم يوفق في شيء . مالك محمود ، وبعد ان رأى الانقسام في معسكر طهماسب ، بسبب اعدام فتح علي خان ، شن غارة على معسكر طهماسب . فحصلت معركة رهيبة بالقرب من خواجة ربيع ، ادت الى هزيمة مالك محمود وانسحابه الى داخل مدينة مشهد.

وبالرغم من عدم خروج مالك محمود مرة اخرى الى خارج تحصيناته ، الا ان نادر امتنع عن فكرة الاستيلاء على المدينة بهجوم شامل ، واعتمد على غدر بير محمد القائد الاعلى لقوات مالك محمود ، حيث تمكن نادر من الدخول الى مشهد في ليلة ١٦ ربيع الثاني (١٠ – ١١ ديسمبر ١٧٢٦ م) . حاول مالك محمود طرد قوات نادر الى خارج مشهد لكن محاولته بائت بالفشل ، فاستسلم لنادر ، وسلم تاج كياني الذي ارتداه قبل ٣ سنوات ، ثم انعزل في ضريح الامام الرضا .

اوفى نادر بوعده الذي قطعه على نفسه قبل حصار مشهد ، حيث اعطى اوامره لترميم ضريح الامام الرضا ، واعادة تذهيب القبة ، وانشاء منارة ثانية . ولا يعرف السبب الحقيقي لقيام نادر بمثل هكذا عمل ولا الغاية منه . قد يكون بسبب تعصبه المذهبي ، او انه اراد كسب ود الملالي والمجتهدين ، الذين كان لهم تأثير كبير في ذلك الوقت .

في مشهد ، لم يمض وقت طويل حتى ادرك نادر ان طهماسب لا يمكن الوثوق به لان الاخير كان دمية بيد وزراءه ، فكان من الممكن ان يغير موقفه تجاه نادر ويقتله بأي لحظة . صحيح ان نادر كسب ود طهماسب ، لكنه من ناحية اخرى كسب اعداء كثر من الوزراء ، الذين كانوا يكيدون له ويغتنمون اي خطأ منه غير مقصود ليسمموا عقل الامير ضده . وبحسب رأي محمد محسن ، فأن طهماسب كان لا يزال شابا وكان يثق بما يمليه عليه وزراءه بأقوال ليس لها اساس من الصحة . وعلاوة على ذلك ، لم يستطع نادر الوثوق بالعشائر الجامحة في ابيورد ، داراجاز ،

كلات وخابوشان ؛ فكان لا يثق الا ببعض الافشار والجلائريين بقيادة طهماسب خان وكيل .

عندما غادر طهماسب الى خابوشان وترك نادر في مشهد ، بدء الوزراء بتكثيف محاولاتهم للتآمر على نادر والحط من قدره لدى الامير ، كما وتامروا مع اكراد خابوشان ضد نادر ايضا . فقام الامير بإصدار اوامر الى حكام كل من مازندران ، استراباد وجيريلي للقدوم وتقديم المساعدة للتخلص من نادر الذي وصفه بالخائن . كما ويقال ان طهماسب سعى لان يكون مالك محمود في صفه .

ولدى وصول هذه الاخبار الخطيرة الى نادر ، ذهب مسرعا وحاصر خابوشان . وبعد ان هزم اكراد تشاميشجازاك وقره جورلو ، الذين ساندوا طهماسب ووزراءه ، حصل لقاء بين نادر والامير كان الغرض منه عقد اتفاق بينهما ، وبدوره وافق طهماسب على مرافقة نادر الى مشهد . عاد نادر الى مشهد واستقبل الامير باحتفالات صاخبة في يوم (٢١ مارس ١٧٢٧ م) حيث استمرت هذه الاحتفالات لما يقارب السبعة ايام .

بعد ذلك ثار الأكراد مجددا . حيث تم تعزيز قواتهم بتتار مرو وتركمان يامرلي . اجتاح هؤلاء المتمردين داراجاز ، وحاصروا ابراهيم خان شقيق نادر . نجح نادر ، الذي كان يرافقه طهماسب ، بفك الحصار عن ابراهيم خان ، واستوليا على خابوشان . ثم نجح نادر بسحق المتمردين في داراجاز، لكنه اضطر للعودة الى خابوشان لقمع تمرد جديد . ثم عاد بعد ذلك الى مشهد ، ولكنه عاد مسرعا لقمع ثورة اخرى في خابوشان ، ويقال ان هذا التمرد تم دعمه من قبل طهماسب . في هذه الاثناء ، ظهر تحالف بين اكراد شاديلو واكراد تشاميشجازاك و قره جورلو . كسر نادر وبسرعة هذا الحلف ، وتقدم الى نيشابور . وفي الوقت نفسه ، ثار تتار مرو مرة اخرى ، وبتحريض من مالك محمود . نجح نادر بقمع هذه الثورة ، وأمر بإعدام مالك محمود وابن اخيه مالك اسحاق .

واندلع تمرد في قاين حيث قام زعيم السيستانيين واسمه حسين سلطان ، الذي كان حليف مالك محمود ، بطرد الحاكم الذي عينه نادر هناك . في ١٧ ذي الحجة ١١٣٩ هجري (٥ اغسطس ١٧٢٧ م) ، غادر نادر و طهماسب مشهد متوجهين الى قاين وكان برفقتهما ٨٠٠ رجل ، سرعان ما اجبر حسين سلطان على الخضوع ؛ اما ابن وابن شقيق مالك محمود ، الذين كانا مع حسين سلطان ، فنجحا بالهروب الى اصفهان ، وهناك التحقا بأشرف .

ومن قاين سار نادر عبر اسفدين ، في منطقة زركوه ، ومادين اباد لتأديب افغان بهدادين . كانت المسيرة صيفا وكان الجو لاهبا ، اما المياه فكانت شحيحة ؛ وقرب مادين اباد غاصت المدافع في الرمال . سيطر نادر على بهدادين بهجوم عنيف ، وحاصر بعد ذلك سنجان التي رفضت الخضوع لنادر . وهناك نجا نادر من موت محقق بعدما انفجرت احدى مدافعه . في ١ اكتوبر ، سيطر على سنجان بهجوم شامل وامر بإعدام جميع السكان لانهم سابقا اعلنوا خضوعهم لنادر لكنهم بعد ذلك نكثوا بعهدهم وتمردوا . وصلت اخبار مفادها ان ٧٠٠٠ – ٨٠٠٠ مقاتل افغاني من العبدليين من هرات وصلوا الى نياز اباد ، لنجدة سكان سنجان . مرة اخرى استعد نادر للقائهم قرب سنجان . كان لا يخفى على احد ان قوات نادر كانت قليلة الخبرة كما وإن الهزائم التي تلقاها الفرس من الافغان تسببت بزرع الخوف والرهبة لديهم من لقاء الافغان ، ونتيجة للأسباب التي ذكرت اعلاه فان نادر لم يخاطر بجعلها معركة مفتوحة . لذلك ، وضع الجزء الاكبر من رجاله في خنادق ، بينما كان هو على رأس ٥٠٠ فارس ، حيث قاموا بسلسلة من الهجمات على الافغان . وأراد رجال نادر المتحصنين المشاركة في المعركة وبشدة ، الا ان نادر رفض طلبهم . وبعد اربعة ايام من القتال والمناوشات ، هرب الافغان باتجاه هرات . بقى نادر حذرا ولم يلاحق الافغان ، لان قواته كانت قليلة الخبرة ، لذلك امتنع عن ملاحقتهم وعاد الى مشهد . فلم يحن الوقت بعد لمواجهة حقيقية مع قوات العبدليين الهائلة .

بقت العلاقة متوترة بين نادر وطهماسب ، واستمر الوزراء باستغلال الفرص لزيادة حدة الخلاف بينهما . وقيل ان طهماسب امر نادر بالسير مباشرة نحو اصفهان لتحريرها ، الا ان نادر رفض طلبه هذا وبين انه يجب اخضاع العبدليين في هرات اولا ، الذين كانوا في متناول اليد .

وبعد عدة مباحثات حصل الاتفاق ، على ان يسير نادر من مشهد وطهماسب من نيشابور ، ويجتمعان في سلطان اباد ، ثم يتوجهان معا الى هرات . ومع ذلك تم اقناع طهماسب من قبل مستشاريه بعدم المشاركة في الحملة ، حيث اخبر نادر بأنه سيتوجه الى مازندران ، وطلب منه قيادة القوات ضد العبدليين . وافق نادر ، لكنه اكتشف ان اعداءه من الوزراء والنبلاء كانوا يحرضون الجيش على العصيان والتمرد ، لذلك تخلى عن تقدمه لهرات وعاد الى مشهد . بعد ذلك بوقت قصير ، اغار العبدليين على منطقة بيارجومند القريبة من شاهرود فاجبر نادر على الخروج مسرعا من مشهد ، على امل اعتراض الافغان . ولدى وصوله الى قدمغاه سمع ان طهماسب هاجم اتراك بوجاري ، الموالين لنادر . ارسل نادر خطابا لطهماسب يطلب منه ايقاف الهجوم على حلفاءه وان ينضم اليه في قتال العبدليين ؛ فكان رد طهماسب ان استدعى نادر الى سبزوار . وادراكا منه ان ازمة خطيرة اخذة بالتطور ، تخلى نادر عن مواجهة الافغان ، واستعد للذهاب الى سبزوار . اكتشف نادر ان طهماسب ارسل اوامر الى كل جزء في خراسان بعدم طاعة اوامر نادر . ولدى وصوله الى سبزوار ، وجد ان الابواب اغلقت في وجهه ؛ بعد ان انتظر عبثا فتح الابواب ، بدء بقصف المدينة ، فاستسلمت بعد وقت قصير. حين علم طهماسب ان القتال ليس بصالحه ولم تكن لديه اي فرصة اخرى ، لجأ الى اللين والحوار مع نادر واقسم على مد حبال الصداقة . وفي نفس الليلة غادر عدد من حراس الامير وجزء من حاشيته الى مازندران ، بمهمة اثارة التمرد في تلك المقاطعة . وبعد يومين ، اعتقل نادر الامير وارسله تحت حراسة مشددة الى مشهد . وبعد ان حاول عبثا هزيمة الافغان ، عاد نادر الى مشهد .

بعد فترة وجيزة ، وصلت لنادر معلومات مفادها ان التركمان الذين يسكنون السهل بين دورون واستراباد قاموا بغارة حول المناطق سابقة الذكر . دعا نادر اكراد تشاميشجازاك وقره جورلو للانضمام اليه وقمع المتمردين . الا ان الاكراد رفضوا الطاعة ، وهاجموا ابراهيم خان وهزموه . وفي الوقت نفسه ، وصل نادر الى الجبل المعروف باسم بلغان داغ ، حيث استطاع نادر بالقرب منه هزيمة التركمان . ولدى عودته ، علم نادر بعصيان الاكراد وهزيمة اخيه ابراهيم ، لذلك توجه الى ارضهم وقتل اعداد كبيرة منهم .

وبينما كانت العمليات جارية ، نجح احد اتباع طهماسب ، الذي يدعى محمد علي خان بن اسلان ، بالوصول الى بسطام ومقاطعتي استراباد و مازندران ، حيث نجح بالسيطرة على تلك المقاطعات ، وبدء بتوزيع المناصب والحكم بسم طهماسب . اندلعت اضطرابات خطيرة في تلك المقاطعتين . نادر وعلى الفور غادر الى استراباد ، لكنه انعطف شمالا الى كفشجري ، عبر نهر اترك ، وسحق بعض من متمردي تركمان ياموت . ثم توجه بعد ذلك الى استراباد ، حيث انضم اليه طهماسب هناك . سار نادر الى مازندران برفقة طهماسب ، وسرعان ما عاد النظام الى المقاطعة ؛ كما وتم اعدام ذو الفقار قائد التمرد ضد نادر . وبعد ان اتخذ اجراءات لتأمين الطرق وتطهيرها من مازندران الى طهران ومنطقة خار ، التي كانت بأيدي الغلزائيين ، ارسل نادر مبعوثا ، بسم طهماسب ، الى البلاط الروسي ، يطالبهم باستعادة جيلان .

تاركا طهماسب في ساري ، غادر نادر الى مشهد في فبراير او بداية مارس ١٧٢٩؛ وبعد النوروز بدء نادر بالتحضير لحملته ضد العبدليين .

ان هدف نادر الرامي الى تدمير العبدليين والسيطرة على هرات قبل محاولة استعادة اصفهان هو دليل على فهمه السليم للوضع . وبالرغم من ان العبدليين لم يقوموا بأي هجوم واسع النطاق على خراسان ولعدة سنوات مضت ، نتيجة الانقسامات الداخلية فيما بينهم ، الا انهم دائما ما يمثلون خطرا مستمرا . ونظرا لبراعتهم في القتال وموقعهم القريب من خراسان ، كان نادر يخشى انه اذا ما غاب هو وطهماسب وجيشهما

عن خراسان لفترة من الزمن فلربما يوحد العبدليين صفوفهم وينسوا خلافاتهم ويقوموا بشن هجوم كاسح للسيطرة على مشهد ، وبالتالي سيضربون مركز قوة طهماسب . ومن السهل استنتاج ان غالبية الاكراد والقبائل المنتشرة في شمال شرق خراسان ، وبسبب مواقفهم المتذبذبة ، لا يمكن الاعتماد عليهم وانهم سينكثون بولائهم او سيتحالفون مع الغزاة اذا ما تطلب الامر .

في السنوات العشر الماضية عانى العبدليين من تقلبات عديدة . حيث نجحوا في التخلص من العبودية الفارسية وهزموا الحملات العقابية التي ارسلها الشاه ضدهم ؛ كما انهم ، قاتلوا الغلزائيين وصمدوا امامهم . غير ان شؤونهم الداخلية كانت مضطربة . ففي ١٧١٨ م ، قتل عبد الله خان سادوزاي على يد منافس ينتمي لنفس العشيرة يدعى محمد زمان خان ، ولكن بعد فترة زمنية تم تجريده من السلطة لصالح محمد خان افغان . قام القائد الجديد بحملة للاستيلاء على مشهد وفعلا حاصرها لمدة اربعة اشهر خلال شتاء ١٧٢٢ – ١٧٢٣ م ، لكنه فشل في الاستيلاء عليها . عاد الى هرات بدون مكاسب ، فتم عزله وتنصيب ذو الفقار بديلا عنه ، وهو الابن البكر لمحمد زمان خان ، وكان له اخ صغير يدعى احمد سيعرف مستقبلا بأحمد شاه دراني . وفي ١١٣٧ هجري (١٧٢٥ – ١٧٢٦ م) ، قام رحمن ، ابن المقتول عبد الله خان سادوزاي ، بالانتقام لمقتل والده حيث هاجم ذو الفقار . وقد انتهت هذه الحرب الاهلية بقيام العبدليين بإرسال ذو الفقار الى باخرز ونفي رحمن الى قندهار . ثم انتخب الله يار خان كزعيم ، وهو شقيق محمد خان افغان ، ولكن سرعان ما اعترض ذو الفقار على تنصيبه .

وبعد ان سمع العبدليون عن هجوم نادر الوشيك ضدهم ، نسوا خلافاتهم ووحدوا قواتهم ، فأصبح الله يار خان حاكما على هرات وذو الفقار حاكما على فراه .

بعد ان انهى نادر استعداداته ، غادر مشهد برفقة طهماسب في ٤ شوال ١١٤١ هجري (٣ مايو ١٧٢٩ م) ، سار جنوبا ، عبر جام ، فرامان

اباد وكاريز . وفي نفس الوقت ، تقدم العبدليون ، بقيادة الله يار خان ، نحو الشمال الغربي لهرات .

حدثت معركة بين الفرس والعبدليين في قلعة كافر ، حيث كان العبدليون تحت قيادة محمد زمان خان ، الذي هزم سابقا الجنرال الصفوي صافي قولي خان قبل عشر سنوات .

اتبع نادر نفس سياسته الحذرة سابقة الذكر ؛ مما ادى الى كبح جماح قواته ، حيث احاط المشاة بالمدفعية ، ونشر مجموعة من الفرسان على الجناح . هجم العبدليون بادي الامر بشراسة . وبسبب ذلك ، دب الارتباك والذعر في صفوف المشاة الفرس ، لكن نادر قاد الفرسان ودخل الى ارض المعركة ، حيث هاجم بعنف وتمكن من صد العبدليين ، صرع نادر احد قادة الاعداء بنفسه .واصيب نادر بطعنة رمح بقدمه اليمنى (٢) . حل الليل ، وعاد الى مواقعهم كلا الجيشين .

وفي اليوم التالي انسحب العبدليون الى هاري رود ، وتم ملاحقتهم من قبل قوات نادر .

حصلت معركة اخرى في كوسويا ، وبعد قتال عنيف ، عانى العبدليون فيه من خسائر كبيرة ، انسحبوا مسرعين الى هرات ، تاركين خلفهم المدافع والخيام والامتعة .

توجه نادر وقواته صوب هرات عبر تربول . فنجح الله يار خان بإعادة تنظيم قواته ، وتحرك من هرات لصد تقدم الفرس . التقى الجيشان بالقرب من رباط بريان ، وهي قرية تبعد اميال قليلة غرب هرات . حصل الاشتباك بين الجيشين من الصباح الباكر وحتى انتصاف النهار ، بعد ذلك انسحب العبدليون ، مخلفين وراءهم ١٠٠٠ قتيل في الميدان . وحصلت عاصفة ترابية ، حالت دون استمرار القتال ليومين متواصلين . وفي اليوم الثالث ، وصل رسول من الله يار خان الى المخيم الفارسي حاملا معه مقترحا للسلام ، لكن نادر رفض الاستماع الى هذه المقترحات واشترط حضور الله يار خان شخصيا يرافقه زعماء العبدليين الى المعسكر الفارسي لمناقشة شروط السلام معهم . اراد الله يار خان

الامتثال لطلب نادر ، لكنه تخلى عن الفكرة واستأنف القتال بعد وصول معلومات له تفيد بقدوم ذو الفقار لنجدته .

ارسل نادر مجموعة من قواته لاعتراض ذو الفقار وعسكر مع معظم قواته في شكيبان . استطاع ذو الفقار تفادي القوات التي ارسلها نادر ضده ، وقام بالاختباء ومراقبة قوات نادر قرب شكيبان ؛ عندما بدء الله يار خان هجومه على قوات نادر من الجهة الشرقية ، قام ذو الفقار ورجاله بالهجوم على المعسكر الفارسي ونهبوه . فقام نادر بارسال قوة لصد ذو الفقار وطرده من المعسكر ، وقاتل مع ما تبقى من جيشه قوات الله يار خان وفعلا تمكن نادر من صدهم . وفي اليوم التالي ، استؤنف القتال مرة اخرى وهزم الله يار خان ايضا . بعد ذلك ارسل زعيم العبدليين رسولا يحمل مقترحا للسلام ، الا ان نادر بقى مصرا على موقفه ورد بنفس الاجابة سابقة الذكر . قدم بعض من زعماء العبدليين شخصيا الى خيمة نادر، واعلنوا خضوعهم له ؛ ولم يكتفوا بذلك بل رغب العبدليون بتقديم يد العون للفرس في مواجهة الغلزائيين . على الرغم من معارضة طهماسب ووزراءه لعرض العبدليين هذا ، الا ان نادر قرر قبوله . وفي اليوم التالي جاء عدد كبير من زعماء العبدليين الى المعسكر الفارسي جالبين معهم العديد من الهدايا ، فتم مكافئتهم بمعاطف شرف . عدد من الزعماء البارزين دخلوا في خدمة طهماسب ، وتم تعيين الله يار خان حاكما على هرات بصورة رسمية . سار نادر وطهماسب الى مشهد ودخلاها في ٤ ذو الحجة (١ يوليو) ، بعد غياب استمر شهرين .

صحيح ان هذه الحملة لم تكبح جماح العبدليين بصورة نهائية ولم تمنعهم من القيام بثورات مستقبلية ، لكنها قد بينت حقيقة مفادها ان الافغان يمكن هزيمتهم ، وان الفرس ، اذا ما تم تدريبهم بصورة جيدة ووضعوا تحت تصرف قادة شجعان فانهم قادرين على هزيمة الافغان . الجيش الفارسي ، وبعد سنوات عديدة من الاهمال وقلة في التدريب و الانضباط ، اثبتوا انهم قادرين على الانتصار ، كما واسترجعوا ثقتهم بأنفسهم و بقيادتهم .

طرد الغلزائيين

بعد ان تمكن نادر من كبح جماح العبدليين وتأمين جبهتهم ، اقلها في الوقت الراهن ، استعد نادر وجيشه لتحقيق الهدف الاكبر وهو طرد الغلزائيين من بلاد فارس واعادة تنصيب طهماسب شاها للبلاد .

ذكرنا سابقا ، انه وبسبب غرور اشرف وثقته الزائدة بنفسه ، فقد دخل بحرب ضد الاتراك من جهة وضد روسيا من جهة اخرى ، ولكن لم تحدث مواجهة ميدانية فعلية على نطاق واسع بين الغلزائيين والروس (١) . وعلى الرغم من تفوق الاتراك على الغلزائيين في العدد والعدة ، الا ان الاتراك هزموا بالمعركة ، وبسبب عدم قدرة اشرف على مواصلة عداءه لدولة قوية كتركيا ، لذلك اذعن لمطالب الاتراك وخسر الكثير من المقاطعات لصالحهم . واثبت هذا الصراع ، انه وبالرغم من براعة الغلزائيين العسكرية وشراستهم في المعارك ، الا انهم غير قادرين على مواجهة دولة قوية كتركيا ، تملك جيشا عظيم العدد ومجهز تجهيزا جيدا . وكما اشير سابقا ، فان اشرف ، وبسبب تنامي الخلاف مع ابن عمه حسين حاكم قندهار ، لم يتوقع وصول تعزيزات من ذلك المكان .

كان ضحية الحرب التركية الافغانية الشاه السابق سلطان حسين . ففي اواخر ١٧٢٦ م ، عندما كان احمد باشا ، حاكم بغداد ، قائدا للقوات التركية ، وأثناء سيره ضد الغلزائيين ، بعث برسالة الى اشرف مفادها " ان الافغان بربريون ولا يستحقون حكم مملكة متحضرة ، وانه سوف يعيد الشاه سلطان حسين مرة اخرى لعرش فارس " . وعلى الفور ارسل اشرف امرا الى اصفهان بقطع رأس الشاه السابق وجلبه الى المعسكر . نفذ الامر ، وارسل اشرف راس الشاه السابق الى الباشا (٢) .

في مايو ويونيو من عام ١٧٢٩ م ، سرت شائعات في اصفهان مفادها ان حسين حاكم قندهار كان يجهز لحملة ضد اشرف . كما ووصلت اخبار انتصار نادر وطهماسب على العبدليين ، وانهما عازمان على التقدم نحو اصفهان لتحريرها من الافغان . ارسل اشرف تعزيزات الى الحامية الافغانية في قزوين ، ثم في ١٣ اغسطس ، توجه اشرف بنفسه

الى طهران يصحبه جيش هائل عمل على تحشيده وجهزه بالمدفعية . وعندما علم نادر بأخبار زحف اشرف ناحية الشمال ، انطلق مسرعا لمواجهة الافغان . ذكر محمد محسن ، " انه قبل مغادرة الجيش لمشهد ، حصل اتفاق بين نادر وطهماسب ، وتعهد طهماسب انه اذا ما استطاع نادر هزيمة اشرف والدخول الى اصفهان وطردهم من فارس ، فانه سيمنحه اقطاعية مقاطعات خراسان ، كرمان ومازندران " . لم يذكر ميرزا مهدي هذا الاتفاق ، لكن على ما يبدو ان الاتفاق حصل فعلا .

في ١٨ صفر ١١٤٢ المصادف ١٢ سبتمبر ١٧٢٩ م ، غادر نادر مشهد برفقة طهماسب وسارا عبر نيشابور وسبزوار لفك حصار سمنان ، التي كان يحاصرها اشرف . اما اشرف من جانبه ، فترك بعضا من قواته لمواصلة الحصار ، وتوجه شرقا للقاء نادر .

حاول الحرس المتقدم الافغاني ، بقيادة محمد سيدال خان ، الاستحواذ على مدفعية نادر في منطقة بستام ، لكنهم فشلوا . فتوجه سيدال الى مهماندوست ، التي تبعد ١١ ميل عن دامغان ، حيث التحق بجيش اشرف الرئيسي .

واصل نادر تقدمه حتى وصل الى نهر صغير في مهماندوست ، يقع الى الشرق من قرية مهماندوست . وفي هذه البقعة ، في صباح يوم ٦ ربيع الاول (٢٩ سبتمبر) ، حصلت المعركة ، شكل نادر رجاله كقوة واحدة ، واحاطهم بالمسكيتر (حملة البنادق) والمدفعية ، واصدر نادر اوامر صارمة بعدم التقدم واطلاق النار الا بأمر مباشر منه . الافغان وكما جرت العادة ، انقسموا الى ثلاثة اقسام . هاجم الافغان المركز الفارسي ثم هاجموا الاجنحة . انتظر نادر حتى يصبح الافغان في مرمى بنادق المسكيت ليعطي اوامره بأطلاق النار . على الرغم من سقوط العديد من الافغان جرحى وصرعى ، الا ان البقية استمروا في الهجوم ، لكنهم تفاجأوا ليس بقيام الفرس بصد هجومهم العنيف وحسب ، انما انقلب الموقف واصبح الفرس هم المهاجمين . تسببت المدفعية الفارسية بخراب هائل ، حيث الحقت خسائر فادحة في ارواح الافغان كما ودمرت مدافعهم الخفيفة (زانبورك) . قتل حامل راية اشرف بإطلاقة مدفع ،

فانكسر الافغان وهربوا . ويقال ان الفرس ، ارادوا اللحاق بالعدو ، الا ان نادر رفض ، لخوفه من وجود كمين و لشعوره بعدم امتلاك الجيش الفارسي الخبرة الكافية الى الان .

لم يذكر لا ميرزا مهدي ولا محمد محسن عن اعداد الجيشين المتصارعين ولا عن اعداد الخسائر . فذكر اوثر ان الافغان قدرت اعدادهم بحوالي ٥٠ الف ، ويبدو انه رقم مبالغ به ، اما هانوي قدر اعداد الفرس بحوالي ٢٥ الف . كوكل ذكر ان خسائر الافغان بلغت ١٢ الف اما خسائر الفرس فبلغت ٤ الاف (٣) .

هنا لابد من الاشادة بدور نادر ليس فقط لبراعته العسكرية وشجاعته خلال المعركة وحسب ، وانما اشرافه المباشر بشخصه على تدريب قواته بصورة دقيقة وناجحة والانضباط الشديد لقواته في تنفيذ اوامره . فبدل من الهروب من ملاقاة الافغان ، استطاع الجيش الفارسي صد الافغان والانتصار عليهم واثبتوا لخصومهم انهم ند قوي . اما نادر فشبه بكرومويل والقادة العظام الاخرين ، فألى جانب ايمانه العالي بقدرته على القيادة وثقته بنفسه ، فاز نادر بثقة قادة الجيش والجنود حيث استطاع ان يزرع في قلوبهم الايمان والثقة بأنفسهم .

بعد فترة من الراحة ، تقدم نادر وطهماسب الى دامغان ، حيث ارسل مبعوث الى اسلامبول للمطالبة بإرجاع جميع المقاطعات التي تم احتلالها من قبل الاتراك ؛ لكن المبعوث توفي في تبريز . من دامغان واصل الجيش مسيرته غربا ؛ وفي الطريق وقع خلاف بين نادر وطهماسب لان نادر اراد اخبار طهماسب ببعض الحقائق التي اثارت استياءه فرفض لبعض الوقت مواصلة المسير مع نادر . في هذه الاثناء ، تراجع اشرف باتجاه ورامين وارسلت له تعزيزات من طهران ؛ وفي ممر ضيق في وادي خار اعد اشرف كمينا محكما لإيقاع الفرس . نادر ، وبعد تلقيه تحذيرات من وجود كمين من قبل قوة استطلاعية ، ارسل وحدات قوية من المسكيت للهجوم على جناحي العدو ، بينما نادر هاجم مباشرة ضدهم . وكانت هذه التكتيكات ناجحة تماما ؛ ومرة اخرى هزم الافغان ، وهربوا باتجاه اصفهان تاركين خلفهم مدافعهم وامتعتهم .

فانكسر الافغان وهربوا . ويقال ان الفرس ، ارادوا اللحاق بالعدو ، الا ان نادر رفض ، لخوفه من وجود كمين و لشعوره بعدم امتلاك الجيش الفارسي الخبرة الكافية الى الان .

لم يذكر لا ميرزا مهدي ولا محمد محسن عن اعداد الجيشين المتصارعين ولا عن اعداد الخسائر . فذكر اوثر ان الافغان قدرت اعدادهم بحوالي ٥٠ الف ، ويبدو انه رقم مبالغ به ، اما هانوي قدر اعداد الفرس بحوالي ٢٥ الف . كوكل ذكر ان خسائر الافغان بلغت ١٢ الف اما خسائر الفرس فبلغت ٤ الاف (٣) .

هنا لابد من الاشادة بدور نادر ليس فقط لبراعته العسكرية وشجاعته خلال المعركة وحسب ، وانما اشرافه المباشر بشخصه على تدريب قواته بصورة دقيقة وناجحة والانضباط الشديد لقواته في تنفيذ اوامره . فبدل من الهروب من ملاقاة الافغان ، استطاع الجيش الفارسي صد الافغان والانتصار عليهم واثبتوا لخصومهم انهم ند قوي . اما نادر فشبه بكروميل والقادة العظام الاخرين ، فألى جانب ايمانه العالي بقدرته على القيادة وثقته بنفسه ، فاز نادر بثقة قادة الجيش والجنود حيث استطاع ان يزرع في قلوبهم الايمان والثقة بأنفسهم .

بعد فترة من الراحة ، تقدم نادر وطهماسب الى دامغان ، حيث ارسل مبعوث الى اسلامبول للمطالبة بإرجاع جميع المقاطعات التي تم احتلالها من قبل الاتراك ؛ لكن المبعوث توفي في تبريز . من دامغان واصل الجيش مسيرته غربا ؛ وفي الطريق وقع خلاف بين نادر وطهماسب لان نادر اراد اخبار طهماسب ببعض الحقائق التي اثارت استياءه فرفض لبعض الوقت مواصلة المسير مع نادر . في هذه الاثناء ، تراجع اشرف باتجاه ورامين وارسلت له تعزيزات من طهران ؛ وفي ممر ضيق في وادي خار اعد اشرف كمينا محكما لإيقاع الفرس . نادر ، وبعد تلقيه تحذيرات من وجود كمين من قبل قوة استطلاعية ، ارسل وحدات قوية من المسكيت للهجوم على جناحي العدو ، بينما نادر هاجم مباشرة ضدهم . وكانت هذه التكتيكات ناجحة تماما ؛ ومرة اخرى هزم الافغان ، وهربوا باتجاه اصفهان تاركين خلفهم مدافعهم وامتعتهم .

وقبل ان يتقدم اكثر ، اقنع نادر طهماسب بالذهاب الى طهران التي اجلاها الافغان ، وكما ذكر ميرزا مهدي ، " لحل الامور العالقة التي تخص المملكة هناك " . لكن نادر ، كان يمني النفس بإبعاد الامير عن طريقه ، لكي يكون حرا في قراراته .

بعد ان وصل اشرف الى اصفهان ، بعد تعرضه لسلسلة من الهزائم ، اعدم ما لا يقل عن ٣ الاف من العلماء والشخصيات البارزة ، بينما قام رجاله بنهب وحرق البازارات . وخوفا من قيام موظفو شركة الهند الشرقية الانكليزية والهولندية باللجوء الى نادر ، قام اشرف بسلبهم واودعهم السجن ، مكثوا هناك مدة ١٧ يوما ؛ قبل ان يهربوا بمساعدة حراس السجن حيث نجحوا برشوتهم .

استجاب احمد باشا حاكم بغداد لنداء اشرف ، وارسل له بعض القوات ، وقيل بعض المدافع (٤) . سار اشرف الى قرية مورجا خورت وعسكر بالقرب من هناك .

بعد ان تخلص نادر من طهماسب ، سار باتجاه اصفهان عبر نطنز ، وكان على بعد اميال قليلة شرق مورجا خورت حيث سبقته قوات اشرف بالوصول الى هناك . لم يغامر نادر بالهجوم على الافغان ، واستخدم نادر الحيلة من خلال توجهه الى اصفهان والسير جنب العدو على امل سحب الاعداء وجرهم الى خارج تحصيناتهم . وفعلا نجحت الخدعة ، وتقدم اشرف الى الهجوم . وقام اشرف بتقليد تكتيك نادر في مهماندوست ، حيث جمع قواته بقوة واحدة ، ونشر المدافع على الاجنحة . استدار الفرس لمواجهة الافغان القادمين ، وحصل الهجوم بين الطرفين ، حيث كان المسكيتر الفرس في مقدمة الجيش . كان الهجوم الفارسي فعالا حيث ابطلوا فاعلية اغلب مدافع الافغان واستولى الفرس على العديد من تلك المدافع ؛ بعد ذلك حصل التحام عنيف بين الجيشين كانت الغلبة فيه للفرس ، وبالرغم من الهجمات العنيفة التي قام بها الافغان على جناح ومؤخرة الجيش الفارسي الا ان هجومهم لم يؤثر على الفرس . ثم ضغط الفرس على الافغان واستولوا على المدافع الباقية ووقع الكثير من الافغان

اسرى ، كان من بينهم اتراك . ويقال ان نادر عامل الاتراك معاملة انسانية وعالج الجرحى منهم وأطلق سراحهم .

وصل اشرف الى اصفهان مساءا ، وعلى الفور رتب التحضيرات اللازمة لهروبه . ثم جمع كل الحيوانات المتاحة لنقل النساء ، الاطفال والكنوز ، وانطلق نحو شيراز حيث وصلها بعد ٣ ايام في ١٣ نوفمبر .

ولدى علم الافغان بإنباء الهزيمة التي مني بها جيشهم هربوا من اصفهان ، فتوجه نادر من مورجا خورت ودخل المدينة في ١٦ نوفمبر . واول عمل قام به نادر ان ارسل رسالة الى طهماسب تخبره بنجاحه في دخول اصفهان ودعاه للقدوم الى هناك .

غادر طهماسب طهران ، ودخل الى اصفهان في ٨ جمادي الاول (٢٩ نوفمبر) ، بعدما قارب السبع سنوات ونصف منذ هربه من اصفهان ايام الحصار . يذكر هانوي ان فرحة طهماسب بدخوله اصفهان انقلبت الى حزن وغم شديد بعدما شاهد قصر والده " الذي كان عبارة عن جدران خاوية " ، وبعد دخوله مقصورة الحريم ، عانقته امرأة مسنة بفرح كبير ؛ ليتفاجأ ان هذه العجوز كانت والدته ، لعلمه ان اشرف قد اخذ معه جميع اخواته وكل نساء العائلة الصفوية اسرى لديه اثناء هربه من اصفهان . وقد تنكرت هذه السيدة بهيئة خادمة ، بعدما غزى الافغان اصفهان ، وكانت تزاول جميع الاعمال الشاقة التي كانت تفرض على الخدم لكي لا يكتشف امرها .

كانت اصفهان في الواقع مدينة اشباح ؛ حيث عانت كثيرا خلال حصار ١٧٢٢ م ، وتم قتل العديد من السكان الذين نجوا من محنة الحصار بمذابح لاحقة . وذكر الشيخ حزين ، بعدما وصول الى اصفهان بفترة وجيزة بعيد تحريرها " تلك المدينة العظيمة اصبحت في حالة خراب تام وقد هجرها سكانها ونادرا ما وجدت بها احد من اصدقائي او معارفي ".

عندما وصل طهماسب ، اخبره نادر برغبته ترك اصفهان والذهاب بصحبة رجاله الى خراسان بعد الانتهاء من مراسم تتويج طهماسب . ويبدو واضحا ، ان نادر لم يرغب فعلا بتنفيذ هذا الامر . لأنه كان يعلم

جيدا ، انه وبالرغم من كره طهماسب له وخوفه منه ، الا انه كان غير قادر عن الاستغناء عنه حتى يتم طرد الغلزائيين ،الاتراك والروس من ارض فارس . الح عليه طهماسب ، وكما هو متوقع ، بالبقاء ، وفي اليوم التالي ، جدد طهماسب طلبه ببقاء نادر وعدم ذهابه الى خراسان ، وبحضور جميع قادة الجيش . وبعد مناقشات طويلة ، غير نادر رأيه ، واعلن بقاءه .

كان استرداد اصفهان وعودة طهماسب الى عرش والده هي احداث ذات اهمية كبيرة . وعلى الرغم انه ما يزال هناك الكثير لعمله قبل القيام بحملة لطرد جميع الغزاة من الاراضي الفارسية ، فان هذه الاحداث تبشر بالخير مستقبلا ، حيث استعاد الفرس ثقتهم بأنفسهم ؛ وكذلك تم احياء شعور الاعتزاز بالأرض . ومع ذلك ، فأن من نال السلطة والقوة والنفوذ هو نادر ، وليس طهماسب .

ومن ناحية اخرى كان استعادة العاصمة حدثا مهما ، لأنه اتاح لنادر و للمرة الاولى الاتصال المباشر مع الاوربيون . في ذلك الوقت ، كان التواجد الاوربي في اصفهان عبارة عن القنصل الفرنسي شوفالييه دي غاردن ، الذي خلف شقيقه سيور دي غاردن ، قبل السنتين ونصف ، و وليام كوكل ، ممثل شركة الهند الشرقية الانكليزية ، ومساعده ، جون جيكي ، وممثل شركة الهند الشرقية الهولندية ومساعديه ، وعدد من الكهنة والمبشرين ، ومعظمهم من فرنسا .

خلال الاسابيع الست التي قضاها نادر في اصفهان التقى بكوكل وجون جيكي في عدة مناسبات ، عاملهما نادر بادئ الامر باحترام شديد . ووعدهما بمنح الشركة تعويضا عن كافة الخسائر التي لحقت بها نتيجة الضرر الذي سببه الافغان ، واعطى نادر رسالة الى كوكل لإيصالها الى جون هورن ، وهو الوكيل على منطقة كامبرون ، الذي طالبه نادر باتخاذ كافة التدابير لمنع الافغان من الهرب ، وان يشغل منصب الحاكم على تلك المنطقة ومنصب شاه بندر ايضا ، الى ان يتم لاحقا شغل هذين المنصبين من قبل الفرس . طهماسب ايضا عامل كوكل وجيكي بلطف كبير ؛ كما ووعدهما بمنحهما التعويضات .

كوكل ولتعزيز اواصر الصداقة اهدى لكل من الشاه ونادر هدايا قيمة . الهولنديون بدورهم ، وحتى لا يتفوق عليهم الانكليز ، منحا الشاه ونادر هدايا اكثر قيمة وكلفة من نضيرتها الانكليزية . لكن فيما بعد حصلت تطورات سيئة ، عانت منها الشركتين معا الانكليزية والهولندية . وعلى الرغم من ان العلاقات بين الشركتين كانت ممتازة ، الا انه في بعض الاوقات حدثت نزاعات جدية وخطيرة بين الشركتين . فحسب تقارير شركة الهند الشرقية الانكليزية ، قام نظرائهم الهولنديون ، بكيل الاتهامات لهم ، حيث اخبروا نادر ان الانكليز قدموا مساعدات سرية للأفغان ؛ اما الانكليز فردوا بتهم مماثلة . اما نادر فيبدو انه صدق الهولنديين ، فارسل المحصلين وهم جامعي الضرائب الى الشركة الانكليزية لمطالبتهم بدفع تعويض قدره ٣ الاف تومان (٧ الاف جنيه استرليني) ، تدفع الشركة الف تومان بادئ الامر ويقسط بقية المبلغ لاحقا . كوكل وجيكي رفضا منحهم اي مبلغ ، وخوفا من العقوبة طالبا بتخفيض المبلغ . اخيرا ، وافق نادر على قبول ٣٠٠ تومان ؛ وعندما جمع المحصلون المال استولوا على جميع الخيول التابعة للشركة . وبسبب هذا التصرف ، قرر كل من كوكل و جيكي ترك اصفهان ؛ لكنهما قررا قبل ذلك الاحتجاج امام نادر شخصيا ، الا ان نادر غادر الى شيراز قبل تمكنهما من لقاءه . وبعد رحيله اشتكيا للشاه عن سوء المعاملة تلك ؛ حيث استقبلهما شخصيا واكد لهما انه سيتم تعويضهما ليس فقط عن خسائر الشركة المالية وحسب انما سيتم تعويضهما ايضا عن خسائر الشركة اثناء الغزو الافغاني . وبعد هذا اللقاء ، قرر كل من كوكل وجيكي البقاء في اصفهان حتى معرفة صدق هذه الوعود .

قام الشاه ، الذي كان ودودا للغاية في تعامله مع كوكل وجيكي ، يصحبه عددا من وزراءه بزيارة مقر شركة الهند الشرقية الانكليزية ، حيث تم استقباله بحفاوة كبيرة مع عرض مبهر للألعاب النارية .

على الرغم ان طهماسب جلس على عرش اجداده ، لكنه ادرك انه اصبح شاه بالاسم فقط . حيث منعه نادر في بعض المرات من تعيين الوزراء او الموظفين ، بحجة ان الاموال التي تدفع لهؤلاء كمرتبات ستعود بالنفع اذا

ما تم انفاقها على الجيش والجند . واظهر نادر دليلا اضافيا عن طموحه الا محدود عندما قام بالزواج من راضية بيجوم ، وهي احدى اخوات الشاه طهماسب ، دون الحصول على اذن مسبق من الشاه . حصل نادر على موافقة طهماسب بخطبة رضا قولي ، ابن نادر البكر ، من فاطمة سلطان بيجوم ، ابنة الراحل شاه سلطان حسين ؛ قد تكون هذه الخطبة تم ترتيبها في مشهد ، بنفس الوقت ، حسب رأي محمد محسن ، الذي وافق فيه طهماسب على منح نادر حق اقطاع (جباية الضرائب) كل من المقاطعات التالية : خراسان ، كرمان ومازندران .

كان الشعب فرحا بسبب تحرير بلادهم من الافغان وكذلك لعودة الحكم الصفوي ، لكن سرعان ما تحولت تلك السعادة الى حالة من البؤس والحزن بل وشعروا انهم كانوا افضل حالا عندما كانوا تحت الاحتلال الافغاني ، كان ذلك بسبب قوات نادر ، التي تصرفت بطريقة قاسية ووحشية مع سكان اصفهان لأجل جمع المال منهم ، استعدادا للحملة المرتقبة والحاسمة ضد اشرف . حيث تم نهب المنازل ، وبيع البعض من السكان كعبيد ، وكانت العقوبة تصل الى الموت احيانا عند رفض السكان دفع الاموال .

اجل نادر مطاردة اشرف لسببين . اولهما ، رغبته بالاستفادة من نجاحاته العسكرية واسترداد العاصمة لتعزيز مكانته وموقعه ؛ وثانيهما ، لإراحة قواته وتجهيز كافة معداتهم من اسلحة وملابس قبل ان ينطلقوا جنوبا في منتصف الشتاء .

ذكر شوفاليه دي غاردن " كان نادر يبدو في ٤٠ من العمر وتربى منذ الطفولة على امتشاق الحسام وهو شخص فاهم واصيل وذو ارادة يكافئ الاشخاص الذي يتصرفون بشجاعة ويعاقب المتخاذلين دون رحمة وحين اصبح مستشارا للشاه كان يذكره بأن يحجم ويعاقب المجرمين والمتخاذلين والمتملقين وكان يحمي الشاه منهم كما واثبت من بداية دخوله خدمة الشاه وفاءا وشجاعة وصراحة في القول والفعل " .

وقبل رحيل نادر من اصفهان ، اخبر طهماسب بأرسال رسالة الى السلطان العثماني يخبره فيها عن استعادة اصفهان ؛ ويطالبه اخلاء جميع الاراضي الفارسية المحتلة من قبلهم . تم ارسال الرسالة بواسطة رضا قولي خان شاملو ، الجنرال السابق لشاه سلطان حسين ، حيث عين مبعوثا الى اسلامبول .

في الوقت نفسه ، قام الافغان في كرمان ، وبعد سماعهم الهزائم التي تكبدها اشرف ، بمغادرة المدينة في ١٩ ديسمبر ، بعد تفجير القلعة .

في ٢٤ ديسمبر ، بدء نادر المسير من اصفهان الى شيراز ، بالرغم من سوء الطقس . سار عبر ابر كوه ومشهد مادر سليمان ، ووصل الى زرقان التي تبعد ٢١ ميل عن شيراز ، حيث وجد اشرف بانتظاره هناك ومعه ٢٠ الف مقاتل . حصلت معركة عنيفة جدا ، اظهر فيها اشرف براعة تكتيكية كبيرة . الا انه في النهاية انتصر الفرس نتيجة لقيادة نادر وبراعته وثبات رجاله ، وفر الافغان بصورة فوضوية الى شيراز (٥) .

في صباح اليوم التالي ، قام اشرف بأرسال محمد سيدال خان واثنين من الافغان الاخرين الى معسكر نادر طلبا للرحمة . اجاب نادر انه سيمنحه الرحمة ويقبل استسلامه بشرط قيام اشرف بتسليم المتبقي من عائلة الشاه سلطان حسين ، حيث كانوا اسرى لدى الافغان . تم الموافقة على شرط نادر وتم تسليم الاسرى ، وعلى ما يبدو كان جميع الاسرى من النساء ، لكن اشرف ، وبناء على نصيحة سيدال ، غادر شيراز مع بعض من قواته المتبقية على امل الهروب الى قندهار .

شاهد نادر ارتفاع اعمدة الغبار من الجانب الافغاني ، وادرك حينها انه تم خداعة ، وفورا امر بمطاردة الافغان . كان الحرس المتقدم ، يتكون من ٥٠٠ من الافشار واكراد قره جورلو ، حيث استطاعوا اللحاق بمؤخرة الجيش الافغاني وفي منطقة فسا ، التي تبعد ١٠ ميل جنوب شرق شيراز ، حصلت المعركة ، فوقع بعض الافغان اسرى ، اما الاخرين منهم فسقطوا في النهر وغرقوا . اشرف بدوره نجح في الهرب ، واتجه الى لار . اما نادر نفسه فتبع الهاربين لعدة فراسخ ، لكنه لم يكن

قادرا على اللحاق بهم ، فعاد الى شيراز ، و اصدر اوامر بأغلاق جميع الطرق امامهم .

بعض من الغلزائيين المهزومين ، بما في ذلك شقيق اشرف وابن اخيه ، انفصلوا عن اشرف وعن القوة الرئيسية من الجيش ، واخذوا طريقهم اتجاه الساحل بالقرب من بندر ريق . كان بحوزة شقيق اشرف بعض من الجواهر والكنوز والتي قدمها بدوره لبعض العرب كرشوة لغرض مساعدة الافغان من جهة وللتمرد على نادر من جهة اخرى . وبعد ان فشل الهاربون بالحصول على مبتغاهم من العرب ، اتجهوا جنوبا الى جارك ، للبحث عن زورق يمكنهم من الهرب . توقع نادر مثل هذه الحركة من الجانب الافغاني ، لذلك كتب الى وكيل شركة الهند الشرقية في كامبرون ، وطلب منه ارسال القوارب وغيرها من الزوارق التابعة للشركة لاعتراض اي افغاني يحاول الهرب بحرا ، نادر ابلغ ايضا شيوخ العرب على الساحل : " اذا سمحتم لأي افغاني بالهرب عن طريق منافذكم فانتم وزوجاتكم وعوائلكم ستأسرون ويتم بيعكم كعبيد " .

وفي الوقت نفسه ، وصل شقيق اشرف وابن اخيه ورفاقهم ، بالقرب من جارك ، الى معقل الشيخ احمد مدني ، وهو من اكثر شيوخ القبائل تمردا . رفض الشيخ بادئ الامر مساعدتهم ، لكنه وافق بعد ذلك لانتماء الافغان الى المذهب السني الذي كان مذهبه هو ايضا (٦) . وبعد حصولهم على المركب ، عبر الافغان الى جلفار (راس الخيمة) ، وعلى الجانب العربي من الخليج ، هوجم الهاربون سيئ الحظ على الفور من قبل العرب العمانيين ، الذين قتلوا عددا منهم واستعبدوا الاخرين . عندما زار الشيخ حزين مسقط بعد سنوات قليلة ، رأى وتحدث مع ابن شقيق اشرف وغلزائي اخر ذو مكانة حيث كانا يعملان كسقاة للماء . قتل الشيخ رشيد من منطقة باسعيدو بعضا من الافغان بالقرب من لنجه ، عندما كانوا يحاولون الفرار عن طريق البحر .

غادر اشرف وبرفقته ٢٠٠٠ من الرجال والعديد من النساء ، منطقة لار بداية فبراير ، وواصل مسيرته شرقا . وفي وقت لاحق من الشهر التقى رسول شركة الهند الشرقية ، بعد توجهه من كرمان الى كامبرون ،

بأشرف واتباعه في منطقة سيرجان . ومع مواصلة المسير ، تناقصت اعداد قواته ، بسبب الاعمال العدائية والانشقاقات . تختلف الروايات عن مكان وكيفية مقتل اشرف . والرأي الاكثر قبولا هو مقتل اشرف مع اثنين او ثلاثة من اتباعه في بلوش ستان او داخل حدود سيستان على يد احد ابناء عبد الله خان زعيم براهوي (٧) . وهناك رأي اخر يقول ، ان حسين سلطان حاكم قندهار ، اخبر نادر ان اشرف تم قتله بالقرب من زرد كوه من قبل قوة ارسلها لقتله . ويدعم هذا الرأي ، مَيرزا مهدي و مارتن فرنج ، ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة ، حيث بعث برسالة الى لندن يذكر فيها " ان رجل افغاني اسمه محمد خان ، كان يرافق سيده اشرف في رحلته الى قندهار ، وعلى بعد مسيرة يومين من تلك المدينة ، واجهوا قوة ارسلت من قبل حسين سلطان . حيث قتلوا اشرف ومن كان برفقته ، لكن محمد خان نجح بالهروب الى ساحل بلوش ستان ، حيث ركب بسفينة متوجهة الى البصرة عبر مسقط " .

مع هزيمة اشرف وتدمير جيشه بصورة نهائية ، تم انجاز اولى مهام نادر بنجاح تام ؛ لكن هناك مهمة اخرى هائلة تنتظره ، وهي هزيمة الاتراك .

حملة نادر الاولى ضد الاتراك واخضاع العبدليين بصورة نهائية

ظل نادر في شيراز حتى وقت قصير قبيل النوروز ؛ وخلال فترة بقاءه ، امر بإعادة اعمار المدينة ، وساهم ، من امواله الخاصة ، بمبلغ قدره ١٥٠٠ تومان (٣٥٠٠ جنيه استرليني) لإعادة اعمار مسجد شاه جراغ ، كما وقدم مجموعة من الشمعدانات الذهبية وكمية من الذهب لإعادة نصب الثريات التابعة للمسجد .

عانت شيراز كثيرا خلال السنوات القليلة الماضية ، وفي اثناء الصراع الاخير ضد الافغان ، دمرت اجزاء كبيرة من المدينة كما ودمرت جميع الحدائق ايضا . قام الافغان بقتل جميع التجار الهندوس (١) وكذلك قتل العديد من السكان ايضا وكان سبب ذلك للانتقام من الهجوم الذي حصل ضدهم من قبل الغاضبين والمستاءين من سلوك الافغان تجاه مدينتهم بعد علمهم بأنباء هزيمة اشرف في مورجا خورت (٢) . وقد اضاف تساقط الثلوج و الامطار لعدة ايام دمار اخر للمدينة . تم تعيين محمد علي خان بن اسلان خان ، حاكما على شيراز . واتخذ خطوات فعالة لإعادة الحدائق الى سابق عهدها ؛ فأمر بزرع عدة الاف من الاشجار هناك .

عندما كان نادر في شيراز ، ارسل علي مردان خان شاملو ، (الشخص الذي وصف على انه دائم الاخلاص لنادر)، الى محمد شاه ، امبراطور الهند ، لأعلامه بنبأ استعادة اصفهان ، وتتويج طهماسب الثاني شاها على فارس ، وقيام الفرس بالتجهيز لحملة هدفها استعادة قندهار . وطلب من الامبراطور غلق حدود مملكته بوجه الافغان الفارين بمجرد بدء العمليات ضدهم .

ووفقا لميرزا مهدي ، اعرب نادر عن رغبته العودة الى خراسان ذلك الوقت ، لكن من الواضح ان رغبته تلك كانت محل شك . لان نادر تذوق ثمار النجاح ، وكان تحت امرته جيش كبير ومقتدر ، وكان قد انهى خطته التي وضعها ليجرد طهماسب من الحكم . كان طموحه غير محدود ، لذلك لا يبدو ان فكرة ذهابه الى خراسان و انزواءه هناك هي فكرة مقبولة . لم تكن هذه هي المرة الاولى التي يصرح فيها نادر بمثل

هكذا تصريح ، ولم تكن الاخيرة كما سيتبين لاحقا ؛ كان هدفه هو محاولة اخفاء مخططاته الحقيقة حتى مجيء اللحظة المناسبة التي يعلن فيها نيته السيطرة على الحكم . ولكن على ما يبدو ، ان خطة نادر للحصول على العرش كانت مكشوفة لكل شخص يتمتع بقسط من الذكاء ، لذا فان شوفالييه دي غاردن وكوكل توقعا بأن نادر سيصبح الشاه المستقبلي لفارس . ذكر شوفالييه " لا يمكن لاحد ان يصف براعة هذا القائد من الناحية العسكرية ، اضافة لحضه الرائع في المعارك التي يخوضها ، كان يفرض هيبته على مقاتليه ، اما المقاتلين تحت امرته فكانوا يحبونه ويخافونه بنفس الوقت ، وعندما يقابله اعداءه كانوا يرتعدون منه ويخشون مواجهته اما الشاه فكان يخاف مواجهة نادر لأنه كان شخصا ضعيفا مغلوب على امره وقد خاف اهالي اصفهان ورجالات البلاط من استيلاء نادر على الحكم لأنه اذا ما تحقق ذلك فلا يمكن لاحد الوقوف في وجهه " .

ذكرنا سابقا ان تركيا ، وعلى غرار روسيا ، استفادت من الاوضاع المضطربة في فارس حيث استولت على اجزاء كبيرة من الاراضي الفارسية . وخلال الحرب الافغانية التركية ، حصلت على مزيد من المكاسب . وفي وقت مبكر من عام ١٧٣٠ م سيطرت على كامل جورجيا ، ارمينيا ، اذربيجان ، جزء من داغستان وجزء من شيروان (اما الجزء الاخر من المقاطعتين فبقيت لدى روسيا) ، ومعظم العراق الفارسي ، وكل من كردستان الفارسية ، همدان وكرمانشاه .

طلب طهماسب مساعدة كل من تركيا وروسيا ، لطرد الافغان . وفي وقت متأخر من اكتوبر ١٧٢٩ م ، وصل المبعوث الفارسي الى اسلامبول ، ولخوفهم من استياء اشرف ، استقبله الاتراك بفتور . في وقت مبكر من السنة التالية ادعى رجل اسمه محمد علي رفسنجاني ، بأنه هو صافي ميرزا ، حيث وصل الى عاصمة الاتراك واستقبل بحفاوة من قبل الباب العالي ، بالرغم من قيام الوزير الفارسي بإبلاغ الاتراك على انه مدعي ومحتال . في وقت مبكر من ابريل ١٧٣٠ م ، سرت اخبار في اسلامبول تفيد بهزيمة اشرف وهروبه من فارس ؛ وفي وقت

لاحق من نفس الشهر تلقى السلطان رسالة طهماسب التي تبلغه رسميا باستعادة اصفهان وتطالبه بإرجاع كافة الاراضي التي احتلتها تركيا . في يونيو رضا قولي خان شاملو وصل الى اسلامبول وكرر هذا الطلب ، مهددا بالحرب اذا ما رفض السلطان الامتثال . ومع ذلك ، تم الدخول في مفاوضات ، وتم التوقيع على المعاهدة ، التي تنص على عودة الاراضي المحتلة الى فارس شريطة دفع مبلغ سنوي لتركيا كتعويض عن النفقات التركية خلال الغزو .

قرر نادر عدم انتظار رد الباب العالي على الرسالة المذكورة اعلاه او الرسالة المرسلة عبر رضا قولي خان . حيث غادر شيراز في ١٨ شعبان ١١٤٢ هجري (٨ مارس ١٧٣٠ م) ، وسار الى دزفول عبر باشت ، بهبهان ، رام هرمز وشوشتر . في دزفول التقى بمحمد خان بلوش ، مبعوث اشرف الى اسلامبول في ١٧٢٧ م . محمد خان بلوش غادر اسلامبول برحلة عودة في سبتمبر ١٧٢٩ م ؛ حيث علم وهو في طريقه عن اخبار هزيمة اشرف وهروبه ، تردد بادئ الامر ، لكنه قرر بعد ذلك تسليم الرسائل الى نادر المرسلة من السلطان العثماني لأشرف . نادر وبدوره قام بمكافئة محمد خان بأن جعله حاكما على كوه كيلويه .

من بروجرد سار نادر ليلا الى نهاوند ، حيث فاجئ حامية تركية هناك وهزمها ؛ وتابع نجاحاته بهزيمة قوة تركية قوية في ملاير (٣) . وفي ١٨ يونيو ، سيطر نادر على همدان دون وجود اي معارضة لقواته ، بسبب هروب القائد التركي وقواته الى سنندج ثم الى بغداد . بقي نادر في همدان لمدة شهر ، وخلال ذلك الوقت ارسل نادر بعض من قواته لاستعادة كل من اردلان وكرمانشاه . في ١ محرم ١١٤٣ هجري (١٧ يوليو) ، غادر نادر همدان بهدف طرد الاتراك من اذربيجان .

في الوقت نفسه ، وصلت تحركات نادر العدائية الى اسلامبول ، واعلن الباب العالي في ٢٤ يوليو الحرب رسميا على فارس . وبالرغم من اعلانهم الحرب وقيامهم بتحضيرات مكثفة ، الا ان الوزير الاعظم ابراهيم باشا ، المحب للسلام ، ارسل مبعوثا الى الشاه لحثه على قبول المعاهدة التي وقعها نيابة عنه رضا قولي خان شاملو . وفي نفس الوقت

، ارسل ابراهيم باشا اوامره الى احمد باشا حاكم بغداد ليبذل كل جهد ممكن من اجل التوصل الى تفاهم مع فارس . كل هذه المحاولات الرامية الى تحقيق السلام بائت بالفشل بسبب مواصلة نادر هجومه القوي ضد الاتراك .

تقدم نادر عبر سنندج (حيث استلم هناك رسالة مرسلة من حسين سلطان تؤكد على مقتل اشرف) ، هاجم نادر قوات تركية قوية تمركزت في مياندواب ، بين دمدم ومراغة (٤) . وحسب ميرزا مهدي ، خرج الاتراك من مياندوب لمعارضة تقدم نادر ، الا انهم عند رؤية قوات نادر ، فروا الى مراغة قبل اطلاق النار . لاحق نادر الاتراك لأكثر من ٢٠ ميلا ، حيث قتل واسر اعداد كبيرة منهم وتم الاستيلاء على جميع الامتعة والمدفعية التركية . ونتيجة لهذا النجاح ، استعادت فارس كل من دمدم ، ساوجبلاغ ، مكري ومراغة .

وبعد ان امضى نادر يومين في مراغة ، سار بالاتجاه الشمالي الشرقي نحو ده خارقان ، وهي قرية تقع بالقرب من شاطئ بحيرة ارومية ، حيث كانت هناك قوة تركية صغيرة . هؤلاء الاتراك قاموا بالهرب الى تبريز ، ولدى وصولهم الى هناك اندلع تمرد خطير . وقتل العديد من الضباط الاتراك على يد المتمردين ، الذين قاموا بعد ذلك بطرد الموالين ، الذي يقودهم القائد العام مصطفى باشا (قائد الموالين) . وفي الصباح ، بعد الاضطرابات ، خرج المتمردون الاتراك من المدينة ، فهاجمت قوات نادر كل من الموالين والمتمردين الاتراك . بينما هرب المتمردون الاتراك الى ارضروم ، تمركز مصطفى باشا ورجاله الموالين قرب سهيلان ، بين تبريز وصوفيان ، الا انهم هزموا كذلك من قبل نادر وقواته .

وفي اليوم التالي ١٢ اغسطس دخل نادر تبريز . جيش تركي اخر بقيادة رستم باشا من هشتارود ، لم يكن يعلم بهزيمة مصطفى باشا ، اقترب من تبريز بهدف تعزيز قوات مصطفى باشا . فلم يكتشف رستم باشا خطأه الا بعد فوات الاوان ، لان نادر اسرع من تبريز وسحق جيش رستم باشا ، فتم اسر رستم والعديد من ضباط الجيش التركي . عامل نادر رستم

باشا بلطف كبير ، حيث اطلق سراحه هو وضباطه ، ومن خلالهم ، ارسل نادر مقترحا للسلام الى الوزير الاعظم .

في اغسطس وصلت الى اسلامبول تقارير تفيد بنجاحات الفرس . وبدء التوتر بين روسيا وتركيا يتطور ، بسبب شكوك الاتراك بأن الروس يقدمون مساعدات سرية لفارس ، بسبب قيام الجنرال ليفاشيف ، وبعد استلام اوامر من سانت بطرسبيرغ ، بأرسال عدد من المدافع وضباط مهندسين ، تنكروا بزي فارسي ، بهدف مساعدة القوات الفارسية التي كانت تحاصر اردبيل . وقام ليفاشيف شخصيا بالعمل كوسيط لتسليم المدينة الى الجيش الفارسي (٥) ، فبعد ان تم اجلاءها من قبل الاتراك ، سُلمت الى الروس لفترة من الزمن .

ان اخبار فتوحات نادر وجدت صدى في بلاد ما بين النهرين وسوريا ؛ ذكر شوفالييه دي غاردن ، الذي غادر اصفهان متوجها الى فرنسا بنهاية مايو ١٧٣٠ م ، عبر العراق وسوريا ، " كان الجميع من البصرة الى بغداد ومن بغداد الى موانئ حلب يرتعدون بمجرد سماع اسم نادر " .

الصدر الاعظم الذي استلم اوامر بمحاربة الفرس ، انتظر في اسكدار ، على امل نجاح التدابير الدبلوماسية التي اتخذها حتى يتجنب الخروج هو وجيشه الى الجبهة . في سبتمبر ، تناقلت الاخبار التي تفيد باستعادة سيطرة الفرس على كل من همدان ، كرمانشاه ، وتبريز ، والتمرد الذي حصل بتبريز واخلاء المدينة . ووصلت اخبار اقتراب متمردي تبريز من العاصمة واخبار اخرى تفيد بوجود تمرد في ارضروم .

ادعى اعداء ابراهيم باشا ان سقوط تبريز كان بسبب الاوامر التي اصدرها لمصطفى باشا ، حيث تم الضغط على مصطفى باشا لِيُرسل بصورة عاجلة الى الجبهة ، على امل تعرضه لهزيمة مخجلة .

ادى استياء السكان في اسلامبول الى اندلاع ثورة بقيادة الالباني باترونا خليل في ٢٨ سبتمبر ؛ وبسبب ضعف وتردد السلطان ووزراءه ، اصبحت الثورة اكثر خطورة واتساعا ، واسفرت هذه الثورة عن موت الصدر الاعظم ، وخلع السلطان احمد ٣ عن العرش ، وانتخاب ابن اخيه

محمود الاول بن مصطفى الثاني كسلطان للدولة العثمانية . الحكومة التركية ، والتي كانت بحالة فوضى عظيمة بسبب الثورة والاحداث التي رافقتها ، تخلت عن فكرة استمرار الحرب ضد فارس .

كان نادر ينوي توسيع فتوحاته ، بعد استعادة تبريز ، بالرغم من ارساله مقترحات السلام الى الباب العالي . وصل رسول الى نادر من ابنه رضا قولي ، الذي كان ذلك الوقت في مشهد ، بأخبار تفيد باندلاع الحرب الاهلية بين العبدليين ، وطرد الرجل المخلص لنادر من هرات ، وان المتمردين متوجهين الى مشهد ، هذه الاحداث ادت الى تعليق القتال ضد الاتراك والتوجه على وجه السرعة الى خراسان . حيث لم يكن هناك اي سلام حقيقي مع الاتراك ، بل كانت هناك هدنة بين الطرفين .

ان المحرض على ثورة العبدليين هو حسين سلطان حاكم قندهار . بسبب خوفه من هجوم نادر المرتقب ضده ، فارسل مبعوثا الى هرات في وقت مبكر من عام ١٧٣٠ م ، على امل تحريض العبدليين للقيام بثورة حتى يصرف انتباه نادر عنه . الله يار خان حاكم هراة ، ظل وفيا لنادر ورفض اقتراح حسين سلطان ، الا ان العديد من العبدليين ثاروا ، وارسلوا بطلب ذو الفقار خان ، العدو القديم ل الله يار خان . فنجح ذو الفقار وبمساعدة المتمردين ، من طرد الله يار خان من هرات ، وبعد فترة قصيرة وصلوا الى مشهد حيث كان ابراهيم خان قائد جيش نادر متواجدا هناك . الله يار خان ولدى سماعه اخبار تقدم ذو الفقار الى مشهد ، سارع من ماروجاق لتقديم المساعدة لإبراهيم خان ، ووصل الى المدينة قبل منافسه الذي عسكر في خواجة ربيع .

امر نادر أخيه بعدم الهجوم على العبدليين وتحت اي ضرف ، الا ان ابراهيم خان وبعد عدة ايام من الانتظار خالف اوامر اخيه ، فجمع رجاله الاكثر جرأة وسار الى خارج اسوار مشهد . لكنه عاد الى مشهد بعد ذلك بخسائر فادحة ؛ وبسبب عار الهزيمة ، لم يقم ابراهيم خان بأي هجوم اخر . وعند هذه المرحلة ارسل رضا قولي مبعوثا الى نادر يخبره بالأحداث .

وقبل مغادرته اذربيجان ، امر نادر بترحيل ٥٠ – ٦٠ الف عائلة تابعة للقبائل التي تسكن اذربيجان وعراق العجم وفارس ونقلهم الى خراسان ؛ كان من بينهم ١٢ الف عائلة من افشار (اشتملوا على ٢٠٠٠ من فرع قري قلو) ؛ حيث ارسل قري قلو الى المنطقة التي تقع حول كوبكان والافشار الاخرين ارسلوا الى كلات .

غادر نادر من تبريز قاصدا مشهد في ١٦ اغسطس ؛ وعندما وصل الى منطقة قزل اوزن ، تلقى رسالة اخرى من رضا قولي تخبره ان العبدليين وبعد قضاؤهم شهر في محاصرة مشهد ، انسحبوا وعادوا الى هرات . فلم تكن هناك حاجة للعجلة في المسير ، فقرر نادر التوجه الى طهران ، وصولا الى مازندران واستراباد ، حيث عبر اترك وحاول عبثا معاقبة البعض من متمردي ياموت . ثم عاد الى استراباد ، حيث سار عبر وادي كركان ومن خلال سيملقان توجه الى مشهد ، حيث وصلها بتاريخ ١١ نوفمبر .

اقيمت احتفالات كبيرة في المدينة في شهر يناير التالي بسبب زواج رضا قولي من فاطمة سلطان بيجوم ، وتم تنظيم حفلة صيد كبيرة في كلات وابيورد .

عندما علم ذوالفقار بوصول نادر الى مشهد وعن تحضيراته للحملة القادمة . قام بمناشدة حسين سلطان ، حاكم قندهار ، لمساعدته . قدم حسين سلطان شخصيا الى اسفاراز ، لمقابلة ذو الفقار ، ولكن لأسباب غير معروفة لم يتوصلا الى اتفاق فيما بينهما . ثم قام حسين سلطان بالدخول في مفاوضات مع نادر ، حيث سلمه اميرتين صفويتين مقابل ارامل واطفال محمود الغلزائي وبعض الاشخاص الاخرين . بعد ذلك بوقت قصير تم حل الخلاف بين حسين سلطان وذو الفقار ، فارسل حاكم قندهار قوة تتألف ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة الجنرال الغلزائي المعروف محمد سيدال خان ، الى ذو الفقار لتعزيز قواته .

ومن اجل تصعيب الامور على حسين سلطان لمنعه من مساعدة العبدليين ، امر نادر عبد الله خان براهوي ، الذي كان حاكما على بلوش

ستان ، بمهاجمة قندهار من الجنوب . فلم يستطع عبد الله خان تنفيذ الاوامر ، بسبب دخوله بصراع ضد ميان نور محمد خدايار خان (٦) ، حاكم سلالة كلهورا في السند . وفي معركة حصلت بين الطرفين في غاندافا ، قتل عبد الله خان .

بعد احتفالات نوروز غادر نادر مشهد ، وواصل مسيره عبر طرق و تربت شيخ جام حتى وصوله الى نقره ، وهو مكان صغير يبعد ٧ اميال غرب هرات . وبعد عدة ايام ، خرج العبدليين من المدينة ، وحصلت معركة لم تحسم نتيجتها للطرفين . وفي تلك الليلة قام محمد سيدال خان بهجوم مفاجئ على الفرس حيث تعرض نادر لخطر كبير جراء هذا الهجوم . حيث تم محاصرة نادر ومن معه ، كانوا ثمانية رجال فقط ، في حصن صغير لبعض الوقت . وفي النهاية ، تم طرد الافغان ونجى نادر . في اليوم التالي قام نادر بهجوم غير ناجح على الافغان الذين كانوا في تخت سفر ، وهي حديقة على المنحدرات السفلى من كوه ملا خواجة ، والتي تبعد ٣,٥ ميل عن هرات . كان نادر اكثر نجاحا بعد عدة ايام عندما قابل ذو الفقار وهزمه هزيمة ثقيلة خارج المدينة . في هذه المرحلة ، وصل الله يار خان من ماروجاق مع التعزيزات .

وفي ٤ مايو ، قرر نادر محاصرة هرات من كل جانب : تاركا قوة قوية في نقره ، اما نادر فعبر الى الجانب الجنوبي من هاري رود وسار نحو الجسر في مالان ، التي تبعد ٣ اميال جنوب هرات . حاول الافغان صد هجومه ، الا انهم هزموا وتكبدوا خسائر كبيرة ، وفي اليوم التالي نجح نادر في الاستيلاء على الجسر .

عندما كان نادر في مالان حدد رجال المدفعية التابعة للعبدليين خيمة نادر الفخمة ، ففتحوا النار على تلك الخيمة . واستطاعت اطلاقة مدفع من تحطيم سقف خيمة نادر ونزلت الاطلاقة الى الارض الى جانب اريكته ، لكنه ولحسن الحظ لم يصب نادر بأي اذى .

عندما كانت قوات نادر تستكمل تطويق هرات ، قام محمد سيدال خان ترافقه قوة من الغلزائيين والعبدليين ، بالأغارة على قوات نادر ، لكن تم

صدهم وتراجع الافغان بخسائر فادحة . بعد ذلك تم تضييق الحصار على المدينة .

وخلال هذه العمليات ، نفذت قوة فارسية غارة ناجحة على ميمنه و جاجكتو ، وكذلك تم ارسال قوة فارسية كبيرة الى فراه للسيطرة عليها ، الا ان الفرس فشلوا في الاستيلاء على المدينة وعادوا بخسائر جسيمة .

في ١٧ محرم ١١٤٤ هجري (٢٢ يوليو) ، قام ذو الفقار مع مجموعة كبيرة من قواته بعبور هاري رود . ارسل نادر قواته لتطويق الافغان ، وقام هو بهجوم امامي ضدهم . تم هزيمة الافغان بصورة كاملة ، اما ذو الفقار فنجى من الغرق في النهر بأعجوبة . اصاب الاحباط محمد سيدال خان بسبب هذه الهزيمة وبسبب الخسائر الجسيمة التي تلقاها الغلزائيين ، لذلك قرر مغادرة هرات سرا والتوجه الى فراه . وبسبب انتصارات نادر وانشقاق محمد سيدال خان قرر زعماء العبدليين التفاوض مع نادر ، من خلال الله يار خان فقبل نادر خضوعهم . ومع ذلك نكث العبدليين وعدهم ، بعدما شاهدوا تصاعد سحابة من الغبار ضنا منهم انها قوة اتية من قندهار لمساندتهم فتبين لاحقا ان هذه القوة ما هي الا قوة فارسية يقودها ابراهيم خان . غضب نادر من فعل العبدليين هذا ، وامر باستئناف القتال ، لكن العبدليين اقروا بخطئهم ، وتوسلوا لمسامحتهم وطلبوا من نادر تعيين الله يار خان حاكما على هرات . فوافق نادر على طلبهم مرة اخرى .

تم نفي ذو الفقار واخيه احمد الى فراه ، حيث انضما الى قوات محمد سيدال خان في اسفاراز. وبسبب هذا الخبر واطلاق اشاعة مفادها اقتراب قوة قدرها ٤٠ الف من الغلزائيين لمحاربة نادر ، اعلن الله يار خان تمرده في سبتمبر ، وتخلى عن ولاءه لنادر ، وقام الله يار بإرسال قوة للأغارة على بادغيس واماكن اخرى ، وشن هو نفسه هجوما غير ناجح على الفرس . قام نادر وانتقاما منه على خيانته بأسر عائلة الله يار خان في ماروجاق . وفي نهاية ديسمبر قدم العبدليين اقتراحات جديدة للسلام ، لكنهم نكثوا عهدهم مرة اخرى بعد ان قبلها نادر ؛ غضب نادر جدا من تصرف العبدليين ، وامر بتشديد الحصار ، فكان حصيلتها في ١

رمضان (٢٧ فبراير ١٧٣٢ م) استسلام الله يار خان ، ودخول الجيش الفارسي الى هرات . اصدر نادر اوامره بنفي الله يار خان ورفاقه الى ملتان ، ورحل ٦٠ الف عائلة من العبدليين الى مناطق مشهد ، نيشابور ودامغان . وبعد نقل هؤلاء العبدليين الى خراسان ، اضاف الى تلك المقاطعة قبيلة اخرى امتلكت مهارات قتالية فريدة اضافة الى وجود الافشار وقبائل اخرى هناك .

خلال المرحلة الاخيرة من حصار هرات ، كان ابراهيم خان يحاصر فراه ، وبالرغم من وصول محمد سيدال خان مع قوة قوامها ٢٠٠٠ غلزائي ، الا ان ابراهيم استطاع السيطرة على فراه . خرج نادر من هرات في ١٩ رمضان وكان عازما على الذهاب الى فراه ، لكنه عاد بسبب وصول انباء تفيد بهزيمة طهماسب امام الاتراك في كوريجان وعقده لمعاهدة سلام معهم .

استمر حصار نادر لهرات قرابة العشرة اشهر . وكان ابرز سمات هذا الحصار هو رحمة نادر وحلمه تجاه العبدليين ، بالرغم من مكر ومراوغة العبدليين ، فكان عازما على الفوز بولائهم من خلال سياسة اللين معهم . ولعله اراد بناء جيش غير فارسي (غير شيعي) يمكن ان يعتمد عليه تحت اي ظرف من الظروف . كان يشك انه اذا احتكم للقوة وتصادم مع الشاه فان القوات الفارسية ستتخلى عنه وسيكونون الى جانب الشاه . لذلك اضاف الى جيشه عدد من التركمان كما واضاف اعداد كبيرة من العبدليين المعروفين ببأسهم في القتال ، حتى يحجم من قوة ونفوذ الفرس في جيشه .

الحملة الكارثية لطهماسب ضد الاتراك وتبعاتها اللاحقة

بينما كان نادر يقوم بحملته ضد الاتراك ، بقي طهماسب في اصفهان . وبعد ان تلقى نادر انباء هجوم العبدليين وقيامهم بمحاصرة مشهد توجه على وجه السرعة قاصدا خراسان لصدهم ، اما الشاه ووزراءه ، وحسب رأي محمد محسن ، فكانوا يتمتعون بالملذات . وبعد ان امضوا عدة اشهر في العربدة واللهو ، قام بعض الوزراء والنبلاء بأقناع الشاه بضرورة قيادة الجيش والقيام بحملة ضد الاتراك ، لطردهم من الاراضي الشمالية الغربية لفارس ، التي كانت لاتزال تحت سيطرة الاتراك . كان طهماسب واثقا بنفسه ومقتنعا بتحقيق نجاح عسكري مماثل لما فعله نادر وبالتالي سيكون انجاز تحرير فارس من الاتراك من نصيبيه .

مع هذا الامل ، غادر طهماسب اصفهان ، في يناير ١٧٣١ م ؛ ولدى وصوله همدان ، ارسل مبعوثا لتهنئة السلطان محمود بمناسبة توليه العرش ، وارسل مبعوثا اخر الى سورخاي خان في شماخي . اظهر سورخاي خان بأن ولاءه كان للأتراك حيث قام بقطع رأس المبعوث الفارسي ورفاقه وأرسلها الى اسلامبول .

من همدان سار طهماسب نحو تبريز حيث قام بعزل الحاكم الذي عينه نادر ، ونصب بديلا عنه احد التابعين له ؛ ثم سار بعد ذلك نحو نخجوان وايروان ترافقه قوة قدرها ١٨ الف مقاتل بهدف القيام بعمليات عسكرية ضد الاتراك .

وبحلول ذلك الوقت استعادت تركيا عافيتها من احداث الثورة . ولأن رضا قولي خان ، السفير الفارسي لدى اسلامبول ، لم يتلقى اي رد من اصفهان على الرسائل التي ارسلها بشأن معاهدة السلام ، فامر الباب العالي قادته ، على الحدود الفارسية ، بالاستعداد لمواجهة الفرس ، وتم منح احمد باشا ، حاكم بغداد ، صلاحيات كاملة من اجل عقد السلام او اعلان الحرب . في مارس ١٧٣١ م ، غادر رضا قولي خان اسلامبول متوجها الى بغداد ، لكنه سجن في ماردين بسبب الاخبار التي وردت بتقدم طهماسب الى ايروان .

يبدو ان الحظ ابتسم لطهماسب في بداية الحملة . حيث تم اجلاء الاتراك من نخجوان وتراجعوا الى ايروان . فتوجه الشاه نحو الجهة الشمالية الشرقية الى اجميادزين ، حيث واجه هناك قوة تركية وهزمها . ثم حاول ان يستولي على ايروان بهجوم عام . الحامية التركية نجحت بصد القوات الفارسية ، فأمر الشاه بمحاصرة المدينة . وبعد ١٨ يوم من الحصار، وصلت اخبار مفادها ان قوة تركية قطعت طريق الامدادات الفارسية . فأمر الشاه برفع الحصار والعودة الى تبريز : لكنه لم يستطع البقاء هناك طويلا ، بسبب تحرك علي باشا ، قائد القوات التركية في ايروان ، وسير احمد باشا نحو عراق العجم . وبالتالي غادر الشاه تبريز الى ابهر .

احمد باشا وبدون اي مقاومة تذكر ، سيطر على كرمانشاه ، واستولى على اردلان ، وتقدم نحو همدان . سارع طهماسب نحو الجنوب لأبعاد الخطر عن همدان ، وعسكر بالقرب من قرية كوريجان ، على بعد ٢٠ ميل عن همدان . وكان احمد باشا قد اقترب من الجيش الفارسي في ذلك الوقت ، فأرسل مبعوثا الى طهماسب حاملا معه مقترحات السلام ؛ واوفد طهماسب مبعوثا بالمقابل . وبينما كان مبعوث تركي اخر في طريقه الى طهماسب ، عمل جيش احمد باشا على تنظيم صفوفه لكن على ما يبدو دون وجود النية في القتال . الا ان طهماسب ظن ان الاتراك كانوا ينوون الهجوم ، فأعطى الاوامر لرجاله بفتح النار ضد الاتراك . ففعلوا ، وبدأت المعركة قبل وصول المبعوث التركي الى الشاه . تفوق الفرسان الفرس على خيالة الجيش التركي وحملوا عليهم ثلاث مرات ، وبدا كما لو ان طهماسب سينتصر بسهولة . لكن الانكشاريون ، سحقوا مشاة الفرس ، الذي كان معظمهم من الميليشيات قليلة الخبرة ، ثم تم هزيمة سلاح الفرسان الفارسي بعد ذلك . تم محاصرة طهماسب مع ٣ الاف رجل من اتباعه ، الا ان الشاه استطاع الهرب وبصعوبة . خسر بضع الاف من الجيش الفارسي حياتهم ، وكان معظم الذين نجوا فاقدين للعزيمة فتفرقوا الى ديارهم . استولى الاتراك على جميع امتعة ومدافع طهماسب . ذكر جون هوم ، وهو الوكيل في كامبرون ، انه لو سار احمد باشا للسيطرة على اصفهان بعد نصره هذا ، لتم له الامر وبسهولة . لكن احمد باشا كان مقتنعا بالسيطرة على همدان فقط .

بعد هذه الكارثة عاد الشاه الى اصفهان ؛ وبحسب محمد محسن ، عاد الشاه الى التمتع بالملذات واللهو وكأن شيئا لم يحصل " حتى بدا وكأنه لم يتعرض لهزيمة نكراء على ايدي الاتراك " .

في هذه الحملة الكارثية ، فقد طهماسب الجزء الاكبر من الاراضي التي استرجعها نادر . فاستولى احمد باشا بعد نصره هذا على همدان و ابهر ، بينما علي باشا الذي سار عبر خوي ، سلماس والحافة الجنوبية لبحيرة ارومية ، فاستولى على مراغة وتبريز . في الجنوب ، قوة تركية اخرى نجحت بالاستيلاء على خوزستان والحويزة .

تم البدء بمفاوضات السلام بين طهماسب و الاتراك ، والتي اسفرت في ١٠ يناير ١٧٣٢ م ، بالمصادقة عليها من قبل طهماسب والجانب التركي وجاء فيها احتفاظ طهماسب بكافة الاراضي التي حررها نادر جنوب و شرق ال اراس ، اضافة الى تبريز ، في حين تحتفظ تركيا بكنجه ، تفليس ، ايروان ، نخجوان ، ممالك كاخيتي وكارتلي الجورجيتين ، و جزء من شيروان وداغستان . ولم يلاقي تسليم تبريز الى الفرس رضا الاتراك ، الا ان البلاط التركي كان مقتنعا بأن افضل وسيلة لعقد سلام سريع مع الفرس ، هو التخلي عن تبريز ، فبدلا من الاصرار على الاحتفاظ بها ؛ ستطول المفاوضات ، وبالتالي سيواجهون نادر بدلا من طهماسب وهو خصم عنيد امتاز ببراعة عسكرية فذة . اعتقد الصدر الاعظم ، والجنرال المشهور المعروف ببسالته توبال عثمان باشا ، ان الحرب مع فارس تتعارض مع المصالح الحقيقية لتركيا ، وكان مسؤولا اساسيا عن قرار الباب العالي بشأن ابرام المعاهدة ؛ بالرغم من ان السلطان ، ويؤيده العديد من وزراءه والكثير من رعاياه ، كانوا رافضين لشروطها . من سوء حظ توبال عثمان ان كان لديه عدو ذو نفوذ ، يدعى حجي بشير اغا ، قيزلار اغا ، كان رجلا مسنا لكنه عرف عنه الدهاء ، كان يبحث عن ذريعة لعزل توبال عثمان من منصبه ؛ حجي بشير اغا كان سببا بتنصيب وعزل عدد من الصدور العظام . في بداية مارس ١٧٣٢ م ، قدم توبال عثمان الذريعة لعزله بطبق من ذهب لقيزلار اغا و اعدائه الاخرين بعدما تشاجر مع اللورد كينول ، السفير البريطاني ،

حيث تصرف معه توبال عثمان بخشونة مفرطة (١) . هذه القضية اتخذها قيزلار اغا حجة لأقناع السلطان بعزله من منصبه ؛ وبالفعل تم عزله وارسل الى طرابزيون ، حيث اصبح الحاكم هناك . بعد ذلك عين حاكما على ارضروم ثم حاكما على ايروان .

علي باشا حكيم اوغلو نجح بأخذ منصب الصدارة . ولاقى عزل توبال عثمان باشا من منصب الصدارة ارتياحا شعبيا حيث ساعد في تهدئة المشاعر ، لكن لم تحدث اي محاولات لإلغاء المعاهدة الفارسية .

في نفس الوقت الذي ابرمت فيه المعاهدة التركية الفارسية ، عقدت معاهدة اخرى بين فارس وروسيا عرفت بمعاهدة رشت . في اكتوبر ١٧٣٠ م ، وبسبب انزعاجها من الاخبار التي تردها بشأن وفاة الكثير من افراد القوات الروسية المتواجدة في جيلان نتيجة انتشار الحمى والوباء في تلك المقاطعة ، لذلك قامت انا ايفانوفا ، امبراطورة روسيا ، بأرسال رسالة الى طهماسب ، تحدثت فيها عن الية خروج القوات الروسية من مقاطعة جيلان . وفي شهر ابريل وصل سفيرها بارون شافيروف الى رشت لغرض التفاوض ، وتم ارسال اوامر الى الجنرال ليفاشيف لمساعدة السفير على ابرام المعاهدة مع الجانب الفارسي . ونتيجة لحملة طهماسب على تركيا ، تعطلت المفاوضات كثيرا ، ولم تبرم حتى ١ فبراير ١٧٣٢ م ، حيث نصت معاهدة رشت على ما يأتي : وافقت روسيا على اعادة جميع الاراضي الفارسية التي سيطرت عليها الى الجانب الفارسي ، بمدة اقصاها ٥ اشهر ، ما عدى الاراضي الواقعة شمال نهر كورا ؛ فسوف تحتفظ روسيا بها حتى يتم طرد الاتراك من ارمينيا ، وجورجيا والمقاطعات الفارسية الاخرى التي سيطر عليها الاتراك . يمنح التجار الروس في فارس حرية التجارة كما ويمنح التجار الفرس في روسيا حرية التجارة ايضا ، وجب على الدولتين الفارسية والروسية ارسال ممثل عن تلك البلاد لبلاط الدولة الاخرى .

وفي هذا الوقت وصل رجل الى اصفهان ادعى انه اسماعيل ميرزا ، شقيق طهماسب الاصغر . وذكر انه استطاع الافلات من قبضة محمود الغلزائي بمساعدة احد الخدم ، لكنه بعد ذلك سجن وعذب من قبل المدعي

الاول سابق الذكر صافي ميرزا . وتم التحقق من صحة ادعاءات الرجل من قبل افراد البلاط ، فكان نتيجتها اعتراف الشاه به كشقيق له . بعد فترة وجيزة قام بعض من الوزراء والخصيان ، ويقال بعض من نساء طهماسب ، بالتآمر على الشاه وارادوا تنصيب اسماعيل بديلا عنه . الا ان طهماسب اكتشف هذه المؤامرة ، فأمر بإعدام اسماعيل والمتآمرون الاخرون .

ليس من المستغرب ان يشعر نادر بسخط شديد نتيجة سماعه انباء الهزيمة الكارثية التي مني بها طهماسب وبنود المعاهدة مع الاتراك . حيث وصلت تلك الانباء اليه وهو في طريقه من هرات الى فراه . فتخلى عن فكرة الحملة ضد قندهار ، واسرع بالعودة الى هرات ، حيث بعث برسالة الى السلطان العثماني مفادها انه مخير بين امرين اما ارجاع كافة الاراضي الفارسية او الاستعداد للحرب ؛ كما وارسل خطاب اخر الى احمد باشا ، ذكر فيه بانه متوجه الى بغداد قريبا ، ووجب عليه الاستعداد للقائه .

بعد ان ابلغ الاتراك بنواياه ، وبعد ان ارسل رسالة شديدة اللهجة لوزراء الشاه وبخهم فيها عن سوء تصرفهم بشأن معاهدة السلام تلك ، قام بإصدار بيان الى زعماء ونبلاء ومواطني المملكة جاء فيه ، انه بفضل الله وسيفه استرجع المدن والمقاطعات ، حيث انتصرت الجيوش الفارسية ، واخضعت العبدليين ، وتم طرد الغلزائيين وكبح جماحهم . ثم اشار الى معاهدة السلام قائلا : " ان هذا السلام بنظرنا هو اشبه بالسراب كان يجب ان يكون الهدف الرئيسي من المعاهدة هو تحرير الاسرى الفرس وهذا الشرط لم تنص عليه المعاهدة فنود ان نقتلع جذور الاشرار المعتدين من ارض المسلمين وان نطهر اراضي المملكة من جميع مصادر الشر ان القبول بمثل هكذا معاهدة هو بعيد عن الشرف وسوف يجعلنا كالعبيد ولان بنود المعاهدة الخاصة بالحدود الجديدة تخالف ارادة الله عز وجل وتعارض مصالح المملكة فقد رفضها نادر " .

وذكر ايضا انه بعد عيد الفطر (الذي يصادف نهاية مارس ١٧٣٢ م) سوف يعلن الحرب وسوف يحقق هدفه خطوة بخطوة ، واختتم القول "

ومن لم ينضم الي سيكون بلا شرف وسوف يلعنه الله ويخرج من ملة الاسلام ويكون من زمرة الخوارج " .

وبعث نادر برسالة الى بيكلربيك فارس محمد علي خان ، وجاء بالرسالة رفضه للمعاهدة التركية ، واشار نادر الى انتصاراته ، وذكر عن " سعادته بولاية حيدر وأبناءه الاثني عشر الاطهار ". وذكر ايضا " ان هذا اليوم سيكون يوم خراب ودمار على رؤوس الاعداء وفرح وسرور للطائفة الشيعية " . واختتم بيانه بإعلان الحرب على تركيا بعد عيد الفطر ، وطلب من محمد علي خان التوجه الى اصفهان . وكان من كتب الرسالة اعلاه هو ميرزا مهدي .

على الرغم من رفض نادر للمعاهدة والتنديد بها ، الا انها لم تكن بذلك السوء ، حيث كانت تلك المعاهدة تصب في مصلحة فارس نظرا لظروفها .

كان نادر منزعجا بسبب ضياع انتصاراته على يد طهماسب عديم الكفاءة . واراد نادر من خلال خطابه الذي ارسله الى محمد علي خان ، ومن خلال بيانه الذي ارسله الى كافة اَجزاء المملكة ، النيل من الشاه وتحقيره امام شعبه . ويبدو ان الكلمات التي وجهها في خطابه كانت تتحدى الشاه ومؤيديه اكثر من الاتراك انفسهم . كما وان اشارته الى الآمة الاثني عشر واهتمامه الواضح بالقضية الشيعية كانت محل شك . فمن الصعب معرفة ، ما اذا كانت كلماته نابعة من عميق ايمانه بالقضية الشيعية وتعصبه لذلك المذهب ؛ لكن يبدو انه كان يرغب بإثارة الحماس في نفوس الشيعة واستخدام التعصب الشيعي هدفا لتحقيق مكاسبه السياسية ؛ وطالما كان سلم القضية الشيعية يجعله يرتفع ويرتقي ، فلن يركنه جانبا . من خلال بيانه ورسالته كان هدفه تحشيد غالبية الشيعة الى جانبه لمواجهة العدو السني ، وايضا وكما وضحنا سابقا اراد من خلال خطابه النيل والحط من مكانة الشاه بين ابناء شعبه . فحصر الشاه ومؤيديه بزاوية ضيقة حيث اذا ما رفض اتباع طهماسب الذهاب الى الحرب ضد الاتراك ، فانهم سيتهمون بالانشقاق عن ملة الاسلام ؛ اما اذا

اطاعوا نادر وسياسته ، فانهم سيكونون ضد توجهات الشاه وبالتالي ستقل سطوة الشاه ومكانته .

بعد قضاءه النوروز في هرات ، ذهب نادر الى مشهد حيث ارسل حسن علي بيك الى اصفهان ليوضح لطهماسب الاسباب التي جعلت نادر غير راض عن بنود المعاهدة ، وطلب من الشاه مقابلته في قم او طهران من اجل مسيرة مشتركة ضد الاتراك . وبغية تعزيز موقعه ، امر نادر بعزل الكثير من حكام المقاطعات و استبدالهم باخرين موالين له .

اثناء وجود نادر في مشهد ، قام بتعيين القائد العبدلي عبد الغني علي كوزا كحاكم على العبدليين ، كما كافأ نادر العديد من رؤساء العبدليين الاخرين ؛ ثم امرهم بأن يكونوا مستعدين مع احصنتهم ، اسلحتهم ومؤنهم للسير الى عراق العجم . ثم امر بالطواف حول ضريح الامام الرضا والتبرك به ، سافر نادر عبر خابوشان الى جاجرم ، ثم سار شمالا الى بلقان داغ ، ورافقت نادر قوة صغيرة حيث قام بحملة خاطفة وصفت بانها غير ناجحة كان هدفها تأديب التركمان . وصلت الى نادر اخبار مفادها اكتمال الانسحاب الروسي من جيلان . بعد حملته على التركمان عاد نادر للالتحاق بجيشه الرئيسي في قوشا ، (تبعد ٢٥ ميل عن دامغان) ، ثم سار بعد ذلك الى طهران ، حيث وزع مبلغا ضخما من المال قدره ٥٠ الف تومان (١١٠ الف باوند) الى اتباعه لتجديد و تجهيز معداتهم و مؤنهم . ويبدو ان نادر كان ينوي السير من طهران الى فراهان لمواجهة الاتراك ، وكما ذكرنا سابقا ، ان نادر ارسل برسالة الى طهماسب للقائه في قم او طهران . لكن طهماسب رفض مغادرة اصفهان ، فاتجه نادر مباشرة الى العاصمة ، ووصلها في ٢٥ اغسطس (٢) .

بعد تبادل الزيارات الرسمية بين الشاه ونادر ، قام نادر بدعوة الشاه الى حفل استقبال في حدائق هزار جريب . حيث استقبل نادر الشاه باحترام كبير ، واخذه الى نزله الخاص به . " وكما جرت العادة تم دعوة الشاه و النبلاء وقادة الدولة والجيش وتم توزيع الطعام والخمور وعزفت الموسيقى وجلبت الراقصات سار كل شيء كما هو مخطط له بالضبط ولمدة ٣ ايام اسرف الشاه مع مرافقيه بشرب الخمر فاخذ يترنح الى ان

سقط مغشيا عليه وقد شاهد جميع قادة جيوش العراق وخراسان والزعماء والنبلاء ورجال الحاشية وقادة الفرسان ما حل بشاههم " .

وعلى الفور عقد نادر مؤتمرا كبيرا بحضور القزلباش وقادة الجيش ، وتم التأكيد خلال المؤتمر على عدم اهلية الشاه للحكم مرة اخرى . ثم تم مناداة اهل اصفهان ليروا حالة شاههم ؛ ويقال ان الجميع اتفقوا على عزله من منصبه وتنصيب ابنه الرضيع عباس على العرش . لا يوجد اي ذكر في كتاب تاريخ نادري عن حالة سكر الشاه ، لكن يبدو ومما لا شك فيه ان نادر قام بتشجيعه على شرب كميات كبيرة من الخمر ليصل الى هذا الحال .

ذكر كوكل لوكيل كامبرون ١٩ / ٣٠ سبتمبر ان نادر نصب عباس ميرزا شاها وذكر ان هذه الثورة الغير متوقعة انتهت دون اراقة قطرة دم واحدة .

ووفقا لمحمد محسن ، ان طهماسب خلع عن عرشه بعد وصول نادر الى اصفهان بستة ايام ، في ٣١ اغسطس ١٧٣٢ م ؛ اما كوكل فذكر ان نادر سجن طهماسب في ٢٢ اغسطس ثم نصب عباس في اليوم التالي بديلا عنه .

بعد هذا النجاح امر نادر بأرسال كل من طهماسب وحريمه ومؤيديه الى مشهد ، تحت حراسة مشددة في ٥ سبتمبر .

قد يتبادر سؤال مهم هنا لماذا لم يخطو نادر خطوة اكثر جرأة من سابقتها ويعلن نفسه شاها ؟ والجواب هو ان نادر كان حذرا في تصرفاته ، حيث لم يغفل عن حقيقة انه لا يزال هناك ولاء قوي في جميع انحاء البلاد للأسرة الصفوية ، وبالتالي قرر ، بالرغم من قوته وتمكنه ، ان ينتظر حتى يزيد من عدد المقاتلين الاجانب (من غير الفرس) في جيشه قبل قضاءه على السلالة الصفوية . كان نادر في تلك اللحظة مسيطرا على جميع مقاليد الحكم وعلى كل شيء في فارس ، سوى عدم حيازته لقب الشاه ؛ لذلك وجب عليه الانتظار حتى يستولي على العرش ودون اي مخاطر .

في ١٧ ربيع الاول (٧ سبتمبر) تم تنصيب عباس الثالث . حيث احضره نادر وهو ما يزال رضيعا في المهد ، فوضع الجيك على رأسه رمز السلطة ، ثم وضع السيف والدرع الى جانبه . وبعد ذلك تم تقديم البيعة للشاه ؛ ولمدة سبعة ايام بلياليها قرعت الطبول فرحا وعمت الاحتفالات ارجاء المملكة .

وبسبب ان الشاه كان بعمر الثمانية اشهر فقط ، فكان يجب تعيين وصي على العرش لإدارة امور الدولة . فتم انتخاب نادر لشغل ذلك المنصب ، واستبدل لقب طهماسب قلي خان الذي كان معروفا به منذ عام ١٧٢٦ م ، بلقب وكيل الدولة ونائب السلطنة .

وقد وصل خبر الانقلاب الى سانت بطرسبيرغ ، حيث شعر الروس بارتياح وفرح شديدين لانهم كانوا ينظرون لنادر على أنه حليف قوي لروسيا .

ارسل السفراء الى تركيا ، روسيا والهند لإبلاغهم بتنصيب الشاه الجديد بصورة رسمية . محمد علي خان بيكلربيك فارس ، تم تعيينه كسفير وارسل الى الهند ، وطلب منه ان يكرر المطالب الفارسية التي طرحها علي مردان خان سنة ١٧٣٠م بشأن غلق الحدود الهندية بوجه الافغان الهاربين وابلاغ الامبراطور شخصيا بهذا الطلب .

في اسلامبول تلقى الاتراك خبر عزل طهماسب بقلق شديد . فعزم الباب العالي ، اضافة لتحضيراته لصراع مسلح مرتقب غرب بلاد فارس ، على تقوية نفوذهم وتمركزهم في داغستان وشيروان ، لأجل تهديد نادر بالهجوم من تلك الجهة . لذلك ارسلت تعليمات الى قابلان جيراي ، خان القرم ، بدعم العناصر الموالية للأتراك في تلك المقاطعات . فقام قابلان جيراي بمنح لقب وزير لسورخاي خان ولقب بيكلربيك الى ابن سورخاي ويدعى محمد . وبعد ان قام الباب العالي بالضغط على قابلان جيراي ، لاتخاذ خطوات اكثر فاعلية ، ارسل خان القرم في وقت مبكر من عام ١٧٣٣ م قوة قوامها ٢٠ الف مقاتل من التتار بقيادة قالغا (نائب الخان) فاتح جيراي الى داغستان ، مع اوامر بحث القبائل المتواجدة هناك على

التمرد ضد فارس واجتياح ذلك البلد . عندما اراد فاتح جيراي الوصول الى داغستان ، اختار الطريق الاقرب وهو عبور الاراضي الروسية ، فقدمت روسيا احتجاجا شديد اللهجة الى تركيا ، عبر سفيرها نيبلوييف . دخلت العلاقات الروسية التركية بمرحلة خطيرة عندما تصادم فاتح جيراي بمعركة ضد الروس على الاراضي الشيشانية ، حيث كانت اعداد الروس ٤ الاف رجل بقيادة الجنرال بروكين ، الذي شغل منصب كونت فون هيس هامبورغ والقائد الاعلى للقوات على المناطق الحدودية مع فارس وتركيا ، فنجح بصد تقدم التتار ، وانتصر عليهم ، واجبرهم على التراجع . في النهاية ، غادر فاتح جيراي ورجاله الاراضي الروسية ، وانضموا الى القوات التركية المتواجدة في اذربيجان وجورجيا .

استئناف الحرب مع تركيا وحملة نادر على بلاد ما بين النهرين

امتلك نادر القرار والسلطة معا ، الا انه لم يقرر بعد محاربة الاتراك ، بسبب اندلاع ثورة في ارض البختياريين .

وكان التمرد على النحو الاتي : قام حاكم البختياريين ، وهو زعيم محلي عينه نادر قبل فترة وجيزة ، بإعدام رجل بسبب العصيان . وبسبب مقتل هذا الرجل ، ثار العديد من رجال القبائل للانتقام ونجحوا بقتل الحاكم . وخوفا من انتقام نادر ، هرب المتمردون الى كرمسير؛ كما ووقعت ثورة اخرى قام بها العرب السنة المتواجدين في المناطق الساحلية للخليج الفارسي ، بقيادة الشيخ احمد مدني . ولعدة اشهر قام هؤلاء المتمردون بغارات على بندر عباس ، باسيدو ، كنك ومناطق اخرى .

اعطى نادر اوامره بملاحقة البختياريين الهاربين والقبض عليهم ، غادر نادر اصفهان متوجها الى اراضي البختياريين الجبلية في ١٩ اكتوبر . وسار عبر منابع زاينده رود ونهر كارون ، واجتاز قلب ارض البختياريين ؛ وبعدما تقدم هو وجيشه ، تراجع البختياريين وتحصنوا بحصونهم في بانافار . وبعد محاصرتهم مدة احدى وعشرون يوما ، خرجوا للقتال وقاتلوا بشراسة كبيرة ، الا انهم سحقوا على يد قوات نادر . بعث نادر ب ٣٠٠٠ عائلة من فرع هفت لنغ البختيارية الى خراسان .

بعد ذلك سار نادر خلال فيلي لرستان قاصدا كرمانشاه ، حيث اجلاها الاتراك بعد حصار قصير. وخلال توقفه في كرمانشاه اعطى نادر اوامره بمعاقبة قبيلة زند بسبب قيامهم بأعمال السلب والنهب والتخريب ابان الغزو الافغاني في مقاطعتي ملاير وقلمرو علي شكر .

بعد ان انضمت اليه قواته الرئيسية ، غادر نادر كرمانشاه باتجاه الحدود التركية في ١٠ من ديسمبر . وبعد وصول الاخبار الى أحمد باشا قام بتحصين ممرات الحدود في درنه ، مندلي وبدره ووضع قوة قوية في زهاب وطاق كرا ، قرر نادر مهاجمة الاتراك من اتجاه غير متوقع . فبعد مسيرة شاقة قطع فيها الجبال والوديان التي يكسوها الجليد ، وسار في طريق جبلية ضيقة جدا حيث سار الفرس في البداية على ظهور

الخيل ثم سيرا على الاقدام واخيرا تسلقوا الصخور ، وبدون انتظار لبقية القوات هاجم نادر دفاعات زهاب وانتصر عليهم حيث كان الهجوم ليلا . تم قتل العديد من الاتراك وتم اسر قائدهم احمد باشا باجلان .

امر نادر بأرسال بعض من القوات الى المناطق المجاورة لبهرز لجمع المؤن كما وامر صهره ، لطف علي بيك كوسا احمدلو قائد القوات في اذربيجان ، اردلان وهمدان ، بعبور الحدود التركية من الشمال والانضمام اليه في سهل الرافدين ، وبدلا من ان يتوجه مباشرة الى بغداد ، امر نادر بالتوجه الى كركوك ، على امل سحب احمد باشا الى خارج تحصيناته في بغداد . وبعد عدة اميال من طوزخورماتو ، توقف نادر ؛ وامر بأرسال ٧ الاف مقاتل لحصار كركوك ، ثم سار جنوبا باتجاه قرة تبه حيث انضم اليه لطف علي خان وجيشه . بعد ذلك تقدم عبر طاش كوبرو باتجاه شهربان ، حيث نجح نادر باجتياز جبال حمرين . كما وتصادم مع قوة تركية بلغ عدد افرادها ١٠ – ١٢ الف مقاتل قرب شهربان ، فنجح بسحق الاتراك ، بعد ذلك توجه بقواته الى ينكجة ، حيث حاول متسترا تحت اجنحة الظلام ، بالسيطرة على جسر بهرز ؛ الا انه وبسبب الظلام الشديد ظلوا طريقهم . في اليوم التالي استؤنف التقدم نحو بغداد ، واعترض نادر قوة تركية استطلاعية بقيادة محمد باشا ، حيث قتل وجرح العديد من الاتراك اما البقية فقد تم اسرهم .

في ٣١ ديسمبر ، عبر ١٠ الاف فارسي الى الجانب الغربي من نهر دجلة في سامراء ، لتهديد بغداد من ذلك الجانب . اما القوة الفارسية الرئيسية فكانت معسكرة امام ضريح الامام موسى الكاظم ، في ١٧ يناير ١٧٣٣ م ، وبعد ثلاث ايام ارسل نادر قوة من الجزايرجيين حول ضريح ابو حنيفة في المعظم ؛ وفي الوقت نفسه تمكن الفرس من الاستيلاء على جسر بهرز .

بسبب قيام الاتراك بتفريغ المنطقة المحيطة ببغداد من كافة المؤن واخذها الى بغداد ، امر نادر بجلب المؤن الى قواته من طوزخورماتو ، زهاب ومندلي .

قام الاتراك بتحصين الضفة اليمنى لنهر دجلة قبالة المعسكر الفارسي ، فعزم نادر على عبور النهر ليتخطى تلك التحصينات . وبمساعدة مهندس اجنبي ، تم بناء جسر عائم يتكون من جذوع النخيل مع جلود سميكة . في ١ رمضان (١٥ فبراير) عبر نادر على الجسر مع ٢٥٠٠ رجل من قواته وتبعهم في اليوم التالي ١٥٠٠ رجل ؛ بعد ذلك تحطم الجسر . وفورا توجه نادر صوب بغداد ، دون انتظار ١٥٠٠ رجل الذين نجحوا بعبور الجسر . وبعد ان علم احمد باشا بتقدم الفرس على الجانب الغربي من النهر ، امر الباشا بأرسال قوة قوية من الانكشاريين ، يرافقهم الفرسان والمدافع لصد زحف نادر . وعندما تقابل الجيشان ، اثبت المشاة الاتراك كفاءتهم حيث تقهقر امامهم كل من اكراد قره جورلو وتركمان جوقلان المرافقين لنادر ، لكن الافغان استطاعوا الصمود واظهروا شجاعة فائقة . الا انه وبسبب وصول ١٥٠٠ رجل من قوات نادر اصبح وضع الاتراك حرجا حيث اشتركت القوة الواصلة حديثا مباشرة في المعركة ، فادى ذلك الى هزيمة الاتراك . وقد منح هذا الانتصار لنادر السيطرة على الضفة الغربية لنهر دجلة مما جعله يستكمل حصاره حول بغداد ويضيق الخناق عليهم . تراجع الاتراك المتواجدين قبالة المعسكر الفارسي الى داخل اسوار المدينة ، وتركوا مدافعهم ومؤنهم ومعداتهم هناك وفي منطقة بغداد القديمة ، حيث غنمها الفرس . ارسل نادر مجموعة من القوات لاحتلال سامراء ، النجف ، كربلاء ، الحلة واماكن اخرى حيث نجحوا في الاستيلاء عليها جميعها وتم تنصيب حكام فرس على تلك المناطق .

تم جمع حطام الجسر واعادوا تصليحه ، فتمكنت سائر القوات من العبور عليه والتحقوا بنادر ، بعدها قام الفرس بدوريات على نهر دجلة بعد ان نجحوا بالاستيلاء على الزوارق التركية .

كانت بغداد محاصرة من جميع الاتجاهات . وتشابه الفرس مع الغلزائيين ، اثناء حصارهم اصفهان عام ١٧٢٢ م ، بعدم امتلاكهم مدافع حصار مناسبة ، فعلى الرغم من تعرض المدينة لقصف مكثف ، الا ان الجدران لم تخرق وبالتالي لم يتمكن الفرس من اصدار امر بهجوم شامل

على المدينة . لذلك اعتمد نادر على تجويع المدينة للضغط على احمد باشا حتى يعلن استسلامه .

بنى الفرس تحصيناتهم بصورة دقيقة . حيث قاموا ببناء حصون قوية على جانبي دجلة تبعد ٩ اميال عن بغداد ، وطوقوا المدينة بسلسلة من الابراج ، لا تقل عن ٢٧٠٠ برج ، نصب على كل برج موقع تصويب بالمسكيت .

انضم الى نادر شيخ عشيرة بني لام عبد علي ، قام نادر بالتنسيق مع شيخ العشيرة وحاكم الحويزة وامرهما بالتعاون فيما بينهما للقيام بهجوم مشترك على البصرة . حيث قامت القوة المشتركة بمحاصرة المدينة لفترة من الزمن ، الا ان القوة المشتركة تفرقت في ما بعد ، بسبب نقض العرب لوعودهم ، اما القوات الفارسية فتم استدعاءها لقمع تمرد في مقاطعة لار .

ووفقا لمذكرات كامبرون ، اراد نادر ارسال قوة الى مسقط للسيطرة عليها اضافة لرغبته في الاستيلاء على البصرة ، الا انه لم يتمكن ذلك الوقت من تحقيق هدفه ؛ لكن وكما سيتبين لاحقا سوف ينجح بذلك .

عندما نصف معاناة اهل بغداد من جراء الحصار فقد جرى عليهم مثل ما جرى على سكان اصفهان عندما حاصرهم الافغان سنة ١٧٢٢ م ؛ اعداد كبيرة من السكان فقدوا حياتهم بسبب الجوع والمرض . يذكر هانوي عن قيام نادر بأرسال عدة حمولات من البطيخ لتحطيم معنويات سكان بغداد وكيف قام احمد باشا بأرسال نوع فاخر من الخبز الى نادر لإيصال رسالة مفادها انهم صامدون .

ومن اجل كسر عزيمة المدافعين ، امر نادر بسحب ١٠ – ١٢ الف مقاتل من مواقعهم كل اسبوعين ، حيث يكون الانسحاب ليلا وبهدوء تام ، ثم التوجه الى مسافة قصيرة نحو الصحراء ، وفي صباح اليوم التالي يعودون وينضمون الى المعسكر مع راياتهم الملونة ، كما لو انهم وصلوا توا لتعزيز القوات المحاصرة . وبحلول نهاية محرم ١١٤٦ هجري (

١٣ يوليو) بلغت محنة بغداد ذروتها مما دفع بأحمد باشا ارسال وفد الى نادر من اجل التفاوض وتسليم بغداد .

ادرك الباب العالي خطورة الوضع في بغداد ، وبلا تردد تم تعيين الجندي الاكثر تميزا توبال عثمان باشا بمنصب القائد الاعلى للجيوش التركية (سرعسكر) ، والذي شغل منصب الصدر الاعظم سابقا ومنصب حاكم ايروان حاليا ، حيث وضع تحت امرته جيش يتكون من ٨٠ الف مقاتل ، تم جلب اغلبهم من المقاطعات الاوربية التابعة لتركيا . تقدم توبال عثمان باشا سريعا نحو بغداد في بادئ الامر ، لكنه تباطأ بعد عبوره الموصل ، بسبب العديد من الانهار التي وجب عليه اجتيازها ، ثم توجه بعد ذلك نحو كركوك .

وبعد يوم من قيام احمد باشا بفتح باب المفاوضات من اجل تسليم بغداد ، استلم رسالة مرسلة من توبال عثمان باشا جاء فيها انه هو وجيشه قادمون على وجه السرعة لنجدته . قام احمد باشا بقراءة الرسالة علنا على سكان بغداد لكنهم بادئ الامر رفضوا تصديقها حتى رأوا الختم والتوقيع على الرسالة . راوغ احمد باشا حول موعد تسليم بغداد حيث اشترط تسليمها لنادر نهاية صفر (١١ اغسطس) .

عند مغادرة توبال عثمان باشا كركوك (التي نجحت بمقاومة قوات نادر عندما ترك قوة لمحاصرتها وسار هو وبقية الجيش لحصار بغداد) ، سار الباشا بمحاذاة نهر دجلة على طول ضفتيه ، لكي يوفر الحماية للقوارب المحملة بالمؤن والامتعة ، وليوفر مياه الشرب لجيشه . بعث نادر برسالة الى توبال عثمان جاء فيها انه سيكون مستعدا لمواجهته ؛ لم يرد السر عسكر على رسالة نادر وامر بحبس الرسول .

واستعدادا للمواجهة المرتقبة ، ارسل نادر جميع جيشه شمالا ، باستثناء قوة قوامها ١٢ الف مقاتل . وأمر نادر قواته بالانسحاب بتكتيك حتى لا يعلم فيه المحاصرون " ان قطرة واحدة من المحيط الذي لا حدود له قد اختفت " . اما نادر فلم يغادر الخطوط الفارسية المتواجدة خارج بغداد حتى مساء ٦ صفر (١٨ يوليو) ، ووصل الى جيشه في صباح اليوم

التالي ، قبل بدء المعركة بوقت قليل جدا . لم يتم تحديد الموقع الدقيق لهذه المعركة ، حيث ذكر فون هامر ان المعركة حصلت على بعد ٣٠ فرسخ عن بغداد في منطقة تقع على ضفاف نهر دجلة ، لكن مارتن فرنج ذكر ان المعركة حصلت في قرية الجديدة وهي قرية على الجانب الايسر من دجلة تبعد ٢٠ ميل شمال بغداد .

امر توبال عثمان رجاله بالتمركز قرب النهر ، حيث كانوا متحصنين وبقوة في مواضعهم جنبا الى جنب مع المدافع ؛ اما اعداد الاتراك فكانت تفوق قليلا اعداد الفرس (١) .

بدئت المعركة في الساعة الثامنة صباحا ، عندما تصادم مقدمة الجيشين مع بعضهما البعض ؛ بعد فترة وجيزة ، فتحت المدافع نيرانها من مؤخرة الجيش التركي على وحدات كبيرة من الفرس الذين استداروا وهاجموا من الجهة الشمالية الشرقية . بدء الهجوم الرئيسي بعد ساعة من بدء المعركة بقيادة نادر ، الذي كان على رأس ٥٠ الف رجل ؛ قام مشاة الفرس والافغان ، الذين كانوا مقسمين الى ٣ فرق ، بشن هجوم عنيف نجحوا فيه على اجبار المركز التركي على التراجع ، واستولوا على بعض من مدافع الاتراك ؛ وبدا الوضع التركي حرجا للغاية بعد هروب ٢٠٠٠ من القوات الكردية الحليفة للأتراك . لكن توبال عثمان بذل قصارى جهده من اجل تجميع القوات وزج قوات الاحتياط ، البالغ عددهم ٢٠ الف مقاتل ، في المعركة ، كل ذلك ادى الى صد الاندفاع الفارسي ونجح الاتراك باستعادة المدافع المفقودة . كان نادر نفسه في غمرة القتال ؛ وبينما قاد هجوما على المدفعية التركية ، اصيب حصانه وسقط ارضا . وعلى الفور نهض نادر وامتطى حصانا اخر واستمر بالمشاركة في المعركة .

هبت الرياح الشمالية التي كانت بوجه الفرس وحملت معها الغبار ودخان المدافع والبنادق ، اضافة الى شمس تموز اللاهبة . وبعد عدة ساعات من القتال العنيف عانت جميع الوحدات الفارسية من عطش شديد ، ولم يستطع الجيش الفارسي من الحصول على المياه ، بسبب ان ضفة النهر كانت بحوزة الاتراك .

وقد اصيب فرس نادر مرة اخرى ، وسقط على رأسه ملقيا بنادر على الارض . شاهد العديد من الفرس سقوط نادر ، فضنوا انه جرح او قتل ، وبسبب عدم تمكن الضباط الفرس من معرفة مصير قائدهم دب الذعر في صفوفهم وبدئوا بالهرب . بعد ان رأى نادر عدم جدوى مواصلة القتال تراجع من الميدان مع الناجين من جيشه الذين لم يهربوا . قد خسر الفرس على ما يبدو اكثر من ٣٠ الف قتيل ، و ٣ الاف سجين (٢) . وجميع امتعة نادر والمؤن والمدفعية سقطت بيد الاتراك (٣) ؛ كان انتصارا رائعا لتوبال عثمان باشا لان الجيش الفارسي قد سحق ، والطريق الى بغداد اصبح سالكا ؛ لكنه لم يكن نصرا كاملا بسبب نجاة نادر . اما بالنسبة لخسائر الاتراك فقد فقدوا ٢٠ الف رجل .

لا يمكننا انكار ان سبب هزيمة الفرس هو نادر . كان من الافضل لو انتظر داخل خطوطه المحصنة خارج بغداد ، وجعل توبال عثمان يتقدم اكثر من ذلك فيهاجم الاتراك من هناك ، او ان يغادر بغداد مبكرا ويهجم على السر عسكر عند عبوره الزاب الصغير او الزاب الكبير . فبدلا من هذه الخيارات سابقة الذكر ، خاض نادر المعركة على ارض غير مواتيه له ولجيشه . كما لا يمكننا ان ننسى ان احد اسباب هزيمة الفرس هي ثقة نادر بنفسه .

بعد وصول اخبار هزيمة نادر الى بغداد ، شن احمد باشا غارة على القوات التي وضعها نادر لأجل حصار بغداد والبالغ عددهم ١٢ الف مقاتل ؛ فقام الاتراك بقطع جسر القوارب والاستيلاء على جميع مؤن وذخائر الفرس . تم قتل العديد من الجنود الفرس ، لكن عددا منهم نجحوا بالنجاة ممن كانوا على الجانب الغربي لنهر دجلة وهربوا باتجاه فارس ، وقد قام بنو لام بمساعدة الفرس الهاربين وتسهيل عملية هروبهم .

بقى توبال عثمان باشا في موقعه من مساء ١٩ يوليو وليومين متتاليين من اجل اراحة قواته ولإسعاف الجرحى ، واستأنف مسيرته بعد ذلك ، وفي ٢٣ يوليو خيم هو وجيشه على مرأى من الحصون والابراج التي شيدها الفرس حول بغداد . بعد ذلك بوقت قصير وصل احمد باشا الى المخيم التركي . وفي اليوم التالي المصادف ٢٤ يوليو ، دخل توبال

عثمان الى بغداد . امر السر عسكر بعدم اقامة الاحتفالات ومراسم الاستقبال على شرفه " لأنه نسب هذا النصر الى الله وحده " . كما ذكر نيكوديم ، ان توبال عثمان باشا وجيشه عندما دخلوا بغداد فأنهم دخلوا لمقبرة لا الى مدينة ؛ لان جثث القتلى تكدست في اكوام ، والاف من الناس عانوا الجوع والمرض . وقيل ان ١١٠ الف شخص قد لقوا حتفهم جراء الحصار .

وبسبب الخراب والدمار الذي احدثه الفرس في بغداد وفي المناطق والمزارع حول بغداد ، قرر توبال عثمان باشا بعد توقف دام ثمانية ايام ، على بعد ٧ اميال من المدينة ، سحب قواته الى كركوك ، للحفاظ على جيشه من الاوبئة والجوع .

نادر وما بقى من جيشه نجحوا بالعبور الى مندلي عبر بهرز ، وانضم اليهم في الطريق عدد من القوات الفارسية التي كانت تحاصر بغداد الذين استطاعوا الهرب من احمد باشا بشق الانفس . كان الجنود الفرس في حالة يرثى لها ، حيث كان الكثير منهم يسيرون على اقدامهم حفاة اما ملابسهم فكانت ممزقة ؛ ولم يذكر اي خبر عن احوال الجرحى .

ان قيادة نادر لحصار بغداد وكذلك المعركة التي خاضها ضد توبال عثمان كانتا عرضة للنقد ، الا ان تصرفه بعد الهزيمة استحق الثناء والمديح . حيث ذكر نادر " ان هذه الهزيمة قد كتبت علينا ونحن راضون بقضاء الله وقدره " ، بهذه الروح العالية قرر اعادة تشكيل جيشه مرة اخرى وهي مهمة لم تكن بالسهلة .

عقد نادر مؤتمرا ضم ضباطه البارزين في مندلي ، وسمح لرجاله بالعودة الى ديارهم لنيل قسطا من الراحة . واصدر اوامر عاجلة لكل اجزاء البلاد لجمع الاسلحة والتجهيزات والمعدات بكافة انواعها جنبا الى جنب مع توفير حيوانات لحمل الامتعة ؛ كانت المدفعية والذخائر افضل بالنوعية واكثر في العدد من ذي قبل . وصدرت تعليمات لحكام المقاطعات بإعادة تجهيز وتجميع قواتهم وتجنيد مقاتلين جدد على ان يكون التجمع في همدان بعد شهرين .

في ٤ اغسطس ، وصل نادر الى همدان ، واشرف شخصيا على هذه المهمة العظيمة . وامر بتوزيع ٢٠٠ الف تومان (٤٤٠ الف باوند) الى الجيش لتعويضهم عن خسائرهم ولتمكينهم من شراء معدات جديدة ؛ حيث ان كل رجل خسر حصانا قيمته ١٠ تومان تم تعويضه بالضعف ، ونفس الامر انطبق على الجمال ، الاسلحة والخيام .

وفي فترة قياسية ، لم تتجاوز الشهرين ، تم انجاز هذا العمل الهائل ، في ٢٢ ربيع الثاني (٢ اكتوبر) ، غادر نادر همدان متوجها للحدود التركية مع جيشه المعاد تشكيله حديثا . عند وصوله الى كرمانشاه ، علم نادر ان فولاد باشا حاكم اضنه ، كان متمركزا عند نهر ديالى ، على بعد اميال قليلة من زهاب ، لمنعه من التقدم نحو كركوك . وكما في مسيرته السابقة ، ترك نادر امتعته ومدفعيته خلفه وسار عبر الممرات الجبلية والوعرة ، بهدف مباغتة العدو من مكان غير متوقع . كانت هذه المحاولة اقل نجاحا من سابقتها ، لكن الاتراك انسحبوا بعد حدوث الاشتباك .

وعند هذه المرحلة وصلت لنادر اخبار مفادها بقيام تمرد بقيادة محمد خان بلوش . ان قيامه بعزل الشاه من الحكم واستحواذه على السلطة لنفسه جعلت من نادر شخصا لا يحظى بشعبية (٤) ، واغضبت تصرفاته الكثير من الفرس حيث لم يتجرأ الكثير منهم على المجاهرة بعداء نادر . وقد افيد انه في ابريل سنة ١٧٣٣ م ، ارسل نادر بطلب طهماسب لغرض ارجاعه الى اصفهان وربما اعادته الى السلطة ، لكن بعد هزيمته ، غير رأيه وامر بإرجاع طهماسب الى مشهد ، لأنه وبظل هذه الظروف المتغيرة فان حكم الشاه السابق سيكون " غير مناسب ويمثل حجر عثرة ". ولا يوجد شك ، انه وبسبب تنصل نادر عن مقترحه سابق الذكر فأن العديد من مريدي الصفويين انضموا الى محمد خان بلوش (٥) .

رأى نادر ان هذا التمرد لم يكن بتلك الخطورة حتى يأجل حملته على الاتراك ويذهب لقمعه ، لذلك قرر مواصلة حربه ضد الاتراك والتعامل مع هذا التمرد حال الانتهاء من الحملة .

يبدو ان نادر توجه مباشرة نحو كركوك ، كان هدفه هذه المرة يختلف عن هدفه السابق . حيث لم يرغب بسحب احمد باشا من بغداد ، بل اراد مقابلة توبال عثمان وسحقه . واذا ما تحقق له هذا الامر ، سوف يستعيد هيبته وثقة جنوده به ، وستكون كل من بغداد جنوبا وتبريز شمالا تحت رحمته .

كان توبال عثمان باشا يدرك ضعف موقفه . لأن خسائره في المعركة السابقة كانت كبيرة جدا ، كما وارسل العديد من النداءات الى اسلامبول لأرسال قوات اضافية لتعزيز قواته المتواجدة في كركوك ، وكذلك استبداله بقائد اخر اصغر عمرا . وعلى الجهة المقابلة ، امتلك نادر جيشا اكثر عددا وافضل تجهيزا من ذي قبل (٦) .

وصل نادر الى سهل ليلان في ٢٤ اكتوبر ، حيث يبعد هذا السهل بضع اميال عن كركوك ، وحصلت معركة بين قوة عسكرية تابعة لجيش نادر وجيش توبال عثمان باشا ؛ حيث ادعى كلا الجانبين النصر ، لكن الارتياح بدى واضحا على الاتراك من نتيجة هذه المعركة . امر توبال عثمان باشا افراد جيشه الرئيسي بالبقاء متحصنين داخل المواضع . اما نادر فتوجه بعد ذلك الى الشمال الشرقي واستولى على قلعة سورداش ، على امل اخراج عثمان باشا من تحصيناته في كركوك وقدومه لتقديم الاغاثة . سقط قسم من القوات التركية في الفخ ، فعندما كان نادر في قرة تبه ، وصلت له اخبار من القوة الاستطلاعية تفيد باقتراب قوة تركية يبلغ عددها ١٢ الف مقاتل بقيادة ممش باشا كانوا متوجهين نحوه وأن هذه القوة دخلت في ممر ضيق في اق دربند .

سار نادر على الفور واتخذ طريقا غير سالك ، حيث عبر التلال هو ورجاله وقام بمناورة جيدة وضعت قواته في موقف اقوى من القوات التركية في اثناء تمركزها في الوادي . في اليوم التالي (٩ نوفمبر) ، ارسل بعض من الجزايرجيين لقطع الطريق امام انسحاب الاتراك ، وامر ببدء الهجوم .

بعد وقت قصير من بدء المعركة بين الفرس وقوات ممش باشا ، وصل توبال عثمان باشا ومعه الجيش التركي الرئيسي وشارك مباشرة في المعركة . حدث صدام هائل بين الاتراك والفرس استمر ساعتين ؛ ثم قام الفرس ، الحريصين على محو ذكرى هزيمتهم السابقة ، بهجوم عنيف وصلوا به الى قلب الجيش التركي . نزل توبال عثمان باشا عن هودجه ، وامتطى فرسه ، وعمل يائسا على تحشيد رجاله وبث الحماسة في نفوسهم ، الا ان العبدليين قاموا بهجوم شرس ادى الى دب الذعر واشاعة الفوضى في صفوف الاتراك مرة اخرى . عاش الجيش التركي لحظة مأساوية بعدما قتل الجنرال الشجاع توبال عثمان باشا حيث تم اطلاق النار عليه وسقط ارضا (٧) . تم قطع رأسه بعد ذلك ، ورفع على رأس حربة ثم جلب الرأس الى نادر . بعد مقتل قائدهم هرب الجيش التركي ، وقام الجزايرجيون بإيقاع خسائر فادحة بصفوف الاتراك الهاربين . ووفقا لتقديرات مقبولة فقد خسر الاتراك ٢٠ الف رجل بين قتيل واسير (٨) .

امر نادر بإعادة رأس السر عسكر الى جسده ، كما وامر ان ترسل الجثة الى بغداد ليتم دفنها بصورة لائقة ، وجعل المسؤول عن هذه العملية القاضي التركي عبد الكريم افندي ، الذي سقط اسيرا بأيدي الفرس .

بعد المعركة ، امر نادر قوة عسكرية بقيادة بابا خان شوشلو بيكلربيك لرستان ، الذي كان ذلك الوقت قرب سامراء ، امره بعبور دجلة ، واحتلال الحلة ، النجف وكربلاء ومنع وصول الامدادات من مؤن وذخائر الى بغداد . ترك نادر قوة كافية لحصار بغداد بينما سار هو شمالا لاستعادة تبريز . ولدى وصوله الى مدينة بانه ، وصلت لنادر اخبار مفادها بقيام تيمور باشا بإجلاء الاتراك من تبريز بعد علمه بأخبار هزيمة الاتراك في اق دربند ، وقيام قوة فارسية بإعادة السيطرة على تبريز . وبسبب هذه الاخبار لم يعد الذهاب الى اذربيجان امرا ضروريا ، فتحول نادر جنوبا لكي ينضم الى قواته التي تحاصر بغداد . كان واثقا من سقوط المدينة بسرعة وانها لن تصمد طويلا ، لكن ولدى وصوله الى

طوزخورماتو ، تلقى اخبار مقلقة بشأن تمرد محمد خان بلوش . ومع ذلك لم يرى ان الوضع في خوزستان وفارس قد اصبح حرجا بما يكفي للذهاب الى هناك شخصيا ؛ فبعث بأوامر الى طهماسب خان جالاير الذي كان ذلك الوقت في اصفهان والى اسماعيل خان كازيما الحاكم الجديد لكوه كيلويه ، وحكام الاقاليم والقادة للتعاون وسحق التمرد .

من طوزخورماتو سار نادر باتجاه سامراء ومن ثم التحق بالقوات الفارسية التي تحاصر بغداد . في ٧ ديسمبر ، ارسل احمد باشا مبعوثا سريا الى نادر ؛ وعرض هذا المبعوث استرجاع كافة الاراضي المحتلة التابعة لفارس ، وبين هذا المبعوث قدرة احمد باشا على اقناع الباب العالي بإبرام معاهدة السلام .

بعد مفاوضات استمرت عدة ايام بين نادر و احمد باشا ، توصلا الى اتفاق وقع في ١٩ ديسمبر ١٧٣٣ م . وكانت هذه المعاهدة تنص على :

١ – وافقت تركيا على اعادة جميع الاراضي الفارسية التي احتلتها خلال العشر سنوات الماضية وان تعود الى الحدود المنصوص عليها في المعاهدة التركية الفارسية المبرمة سنة ١٦٣٩ م .

٢ – اطلاق سراح اسرى الجانبين واعادة المدافع التي تم الاستيلاء عليها من قبل الطرفين .

٣ – منح الزوار والحجاج الفرس الذين يزورون الاماكن المقدسة في الاراضي التركية امتيازات خاصة ومعاملتهم بصورة حسنة .

ونود الاشارة الى امر مهم ، انه لولا تمرد محمد خان بلوش ، فلن يوافق نادر على ابرام المعاهدة مالم يتم ذكر شرط تسليم بغداد فيها .

ووفقا لهذه المعاهدة ، ارسل احمد باشا اوامر فورية الى باشوات كنجه ، شيروان ، ايروان وتفليس لأخلاء الاراضي وتحرير السجناء الفرس . اما نادر في المقابل فحرر السجناء الاتراك لديه .

تم تبادل الهدايا النفيسة بين نادر واحمد باشا ، واتخذت الترتيبات اللازمة بشأن زيارة نادر للأضرحة المقدسة في الكاظمية ، النجف وكربلاء .

وقبل مغادرته بغداد ، بعث نادر برسالتين الى الوزير الاعظم بواسطة القاضي عبد الكريم افندي ، والذي حمل معه ايضا المعاهدة سابقة الذكر الى اسلامبول لغرض التصديق عليها ؛ في هذه الرسالة اشار نادر الى الاصل المشترك بين الاتراك العثمانيين والتركمان ، واشار انه وبسبب صلة القرابة تلك فقد وافق على ابرام معاهدة السلام .

وذكر مارتن فرنج بتقرير بعثه من البصرة الى لندن ان نادر منحهم تسعون يوما فقط لكي يصادق الباب العالي على معاهدة السلام .

ووفقا للورد كينول ، فان احمد باشا كان يعلم جيدا ان الباب العالي لن يوافق على شروط هذه المعاهدة ؛ حيث ذكر ان احمد باشا وافق على المعاهدة لكسب الوقت فقط ، لأنه عجز عن الصمود شهرا اخر تحت الحصار .

وصل القاضي عبد الكريم افندي الى اسلامبول في منتصف فبراير ١٧٣٤ م . وبعد انعقاد عدة جلسات لبحث شروط المعاهدة ، قرر الباب العالي رفض المعاهدة بسبب شروطها المخزية على حد تعبيرهم . وبالرغم من ان السلطان ووزراءه تفهموا تصرف احمد باشا تحت هذه الظروف الصعبة ، الا انهم عزلوه من منصبه كحاكم على بغداد (٩) ، ومما لا شك فيه ان احمد باشا عزل من منصبه بسبب المكائد التي حاكها له عدوه اللدود الوزير الاعظم علي باشا . وبسبب القرار المتخذ بحق احمد باشا ، تم تجاهل اوامره من قبل حكام كنجه ، شيروان ، ايروان وتفليس ، وتم ارسال المزيد من القوات لتعزيز قوات السر عسكر الجديد عبد الله باشا كوبرلو (الذي عين بديلا عن توبال عثمان باشا) في ديار بكر . لم يرسل الباب العالي رسالة مباشرة الى نادر لأعلامه رفض المعاهدة ؛ وبدلا من ذلك سعى الباب العالي للمماطلة حتى يتم خداع نادر

بانهم لا زالوا يناقشون بنودها وسيتوصلون قريبا لحل نهائي بشأن شروط المعاهدة .

تابع البلاط الروسي احداث الحملة الفارسية – التركية باهتمام كبير ، وفي اوقات معينة كان ينتابهم القلق . فقد تسببت انباء هزيمة نادر على يد توبال عثمان باشا بقلق شديد ، كانت روسيا تخشى من حصول اتفاق بين الفرس والاتراك وبالتالي قيام السفير الفرنسي لدى اسلامبول الماركيز دي فيلينيوف بحث الباب العالي لإعلان الحرب ضد روسيا . لقد شاركت روسيا بالفعل في حرب الخلافة البولندية ، وكانوا ، اي الروس ، سيواجهون وضعا حرجا اذا ما نجحت فرنسا بإشراك تركيا في الحرب ضدهم ؛ لذلك فان الحل الوحيد لبقاء السلام بين روسيا وتركيا هو استمرار الحرب بين فارس وتركيا . ان مسيرة فاتح جيراي الى داغستان ، والتي ادت الى خضوع العديد من القبائل في شمال القوقاز لتركيا ، والاحداث التي دارت بين القوات الروسية وقوات فاتح جيراي على الاراضي الشيشانية كانت هذه الاحداث سببا اضافيا للقلق والتوتر . وقد استبشر الروس خيرا وقل توترهم بعدما علموا نتيجة المعركة العظيمة التي خاضها نادر وانتصاره الساحق الذي نتج عنه مقتل توبال عثمان باشا . اما الباب العالي فقد صعق وشعر جميع الاتراك بفزع شديد بعد وصول انباء هزيمة جيشهم في تلك المعركة ، وبالنسبة للسفير الفرنسي الماركيز دي فيلينيوف فقد تلاشت اماله حيث كان يسعى لإنهاء مبكر للحرب التركية – الفارسية ؛ وكان يمني النفس انه حالما يتم السلام بين الاتراك والفرس ، سيتم اعادة تعيين توبال عثمان باشا صدرا اعظم مرة اخرى ، ومن ثم اشراك تركيا بالحرب ضد روسيا .

بعد ان زار نادر الاضرحة المقدسة في النجف ، كربلاء والكاظمية (١٠) ، ارسل مدافعه الى اصفهان عبر خرم اباد . واخذ الطريق الصحراوي عبر الحويزة الى شوشتر ، حيث امر هناك بسجن واعدام حاكم شوشتر وعددا من سكان تلك المدينة بسبب تأييدهم لتمرد محمد خان بلوش وتقديم المساعدة له . ثم انتقل الى رام هرمز ؛ تاركا امتعته هناك ، وسار سريعا باتجاه بهبهان . وعلم نادر باتحاد قوات طهماسب خان جالاير وقوات

بيكلربيك كوه كيلويه وانهما سارا معا للقاء محمد خان بلوش ، انضم لهما نادر في منطقة دو جونبادان ، واتجهوا جميعا صوب شولستان ، حيث كان قائد التمرد ومعه ١٥ الف رجل متواجدين هناك . عندما ظهر الحرس الفارسي المتقدم ، اعتقد محمد خان بادئ الامر انها قوة فارسية محلية ، لعدم علمه مسبقا باشتراك نادر ، فسارع لمهاجمتها . لكنه شعر بخيبة امل وصدمة كبيرة بعدما شاهد وصول القوات الفارسية الرئيسية ، وسماع صوت نادر المدوي في الميدان وهو يصدر الاوامر لرجاله .

هزم جيش محمد خان بلوش ، وهربوا من الميدان تاركين خلفهم ٣ الاف قتيل . وعلى الرغم من قيام طهماسب خان جالاير بملاحقته ، الا ان محمد خان نجح بالهرب الى شيراز وبعد ذلك الى جهرم ثم الى لار . وفي لار منع من دخول المدينة ، فسارع بالذهاب الى كرمسير.

ولما علم نادر بفشل عملية القبض على محمد خان ، بعث بالرسائل الى الوكلاء الانكليز والهولنديين في كامبرون لأجل أرسال القوارب دون تأخير والقيام بدوريات على الساحل لمنع محمد خان بلوش واتباعه من الهرب . فأجابت الشركتين بعدم قدرتهما على مراقبة جميع المنافذ لكثرتها ولأن اعداد السفن والقوارب لديهما كانت غير كافية ، لكنهما وعدا بأرسال القوارب الى اي مكان يحدده نادر .

وفي الوقت نفسه استمر طهماسب خان جالاير بملاحقة محمد خان الى ان وصل الاخير الى حصن الشيخ احمد مدني قرب جارك ، وفورا حاصر طهماسب ذلك الحصن . وفي بداية مايو تم الاستيلاء على المكان بهجوم شامل وتم اسر الشيخ احمد مدني ، لكن محمد خان بلوش وعدد قليل من اتباعه نجحوا بالهرب الى جزيرة قيس .

وفي هذا الوقت وصل لطيف خان الى كامبرون واعطى الوكلاء الانكليز والهولنديين رسالة نادر التي نصت على تعيين لطيف خان " ادميرال على الخليج كما واحتوت على اوامر لشراء السفن من الاوربيون في كامبرون " .

ان هذه الرسالة كانت ذات اهمية لأنها اشارت الى رغبة نادر في امتلاك اسطول بحري . نشأ نادر في ارض بعيدة عن البحار ، كما وكان من اسرة قروية جاهلة بشؤون البحر ، لكنه وبالرغم من ذلك ادرك اهمية القوة البحرية . كان لهرب بعض الغلزائيين الى عمان وهرب محمد خان بلوش الى جزيرة قيس وبسبب وجود ساحل طويل من رأس الخليج الى ميناء كوادر فكان من الصعب مراقبة هذا الساحل مالم يمتلك قوارب وسفن خاصة به ، كان عليه اقتراض السفن من الاوربيون والعرب عند حاجته اليها . في كل مرة تقريبا ، كانت المماطلة شعار الشركتين الانكليزية والهولندية عندما كان يطلب منهما اعارة بعض السفن او التعاون مع القوات البرية الفارسية ، اما العرب الذين امتلكوا السفن فكانوا عادة متعاطفين مع المتمردين ضد الحكومة ، لذلك فكر نادر بامتلاك اسطول بحري . كانت اهداف نادر البحرية اكبر من مجرد امتلاكه لسفن مهمتها مراقبة الساحل ؛ وكما سيتبين في فصول لاحقة .

رفضت الشركة الانكليزية بيع السفن والقوارب الى لطيف خان ، وكذلك الحال بالنسبة للشركة الهولندية ، لكن وبعدما اقترح الفرس شراء السفن من سورات (١١) ، قام كل من الانكليز والهولنديين بإقراض عدد من السفن الى الفرس من اجل محاصرة جزيرة قيس : الشيخ رشيد من باسيدو وزعيم الهولة القوي ، الشيخ جبارة حاكم منطقة طاهري والبحرين ، قدماً السفن ايضا . ضرب الحصار حول الجزيرة ، حيث منع محمد خان من الهرب ؛ وفي نهاية المطاف تم القبض عليه وارسل مكبلا بالسلاسل الى اصفهان . ولدى وصوله امر نادر بتسميل عينيه ، وبعد ثلاثة ايام فارق محمد خان بلوش الحياة ؛ ولم يعرف سبب موته هل هو بسبب التعذيب الذي تعرض له بعد القاء القبض عليه ام بسبب اصدار امر مباشر من نادر بإعدامه او انه انتحر .

امر طهماسب خان بإعدام الشيخ احمد مدني ، اما العديد من رجال القبائل العربية المتمردة في منطقة موانئ الخليج ومنطقة الحويزة فقد تم ترحيلهم الى خراسان واستراباد . كما وامر ايضا بتهديم حصونهم ومساواتها بالأرض ، ثم اصدر اوامر الى الشيخ جبارة بجمع مبلغ قدره

١٠ الاف تومان من الشيخ رشيد والزعماء العرب المتمردين او المتعاطفين مع المتمردين كتعويض . وبالنهاية تم تدمير قوى العشائر العربية تماما .

حملات نادر من ١٧٣٤ ــ ١٧٣٦ م

وبناءه القوة البحرية الخاصة به

بينما كان طهماسب خان جالاير يستكمل اخضاع المناطق الساحلية في الخليج ، ذهب نادر الى شيراز ، وبقي هناك لأكثر من شهرين ونصف تقريبا ؛ وخلال اقامته ، قام بتعيين ميرزا محمد تقي خان شيرازي نائبا لحاكم مقاطعة فارس . كان ميرزا محمد تقي خان يعمل مستوفيا (محاسب) في شيراز ، وهو ابن الحاج محمد ؛ حيث كانت اسرته من جيل الى جيل مسؤولة عن تجهيز المياه في شيراز وكوميشا . لم يكن محمد تقي خان عسكريا موهوبا او اداريا فذا ، لكنه نال اعجاب نادر .

في ١٨ ابريل ١٧٣٤ م ، غادر نادر شيراز متوجها الى اصفهان ، وعلم عندما كان في طريقه الى هناك ان ابنه البكر رضا قولي قد رزق بمولود من فاطمة سلطان بيجوم في ٢١ مارس . اطلق نادر على المولود اسم شاهروخ ، وكانت هذه اولى محاولات نادر للتشبه بتيمور . صحيح ان شاهروخ لم يكن ابن نادر بل كان حفيده ، لكن السؤال هنا لماذا لم يسمي نادر ابناءه بأسماء ابناء تيمور ؟ والجواب هو انه في الوقت الذي ولد فيه ابناءه كان لا يزال شخصا مغمورا . ان اوجه التشابه بين تيمور ونادر نوجزها بالاتي : اولا ، كان نادر كتيمور تورانيا ولم يكن فارسيا ؛ ثانيا ، ترعرع نادر في كلات والمناطق التي تجاورها حيث اقترنت كلات بسم تيمور لأنها كانت احدى حصون تيمور التي استولى عليها بعد حصار طويل (١) ؛ ثالثا ، جوهر شاد ، زوجة نادر الثانية ، كان اسمها مشابها لأسم زوجة شاهروخ ابن تيمور . كما وتلقى الرجلان القليل من التعليم فكان نادر اميا حتى منتصف عمره . ولكنهما كانا استثنائيين حيث امتلك الاثنان ذاكرة قوية وكانا طموحين ومغامرين ويملكان عبقرية عسكرية فذة ؛ واخيرا كان نادر كتيمور لا يرحم الاعداء ولا من يغدر به . بيد ان التشابه بين هذين الرجليين الاستثنائيين تبعهما نقاط اختلاف . حيث عمل تيمور على تشجيع الصناعة والتجارة ، وسعى من خلال غزواته فتح طرق تجارية جديدة ، اما نادر فكان لا يهتم كثيرا بالتجارة ولم يفكر بتحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعبه . ثانيا ، سعى تيمور لنشر الاسلام ،

اما نادر فلم يتخذ مثل هذه الخطوة ؛ بسبب عدم اهتمامه بمسألة الاديان ، حيث كان يسخر الدين من اجل تحقيق طموحاته السياسية .

عندما وصل نادر الى اصفهان ، تم استقباله باحتفالات كبيرة ؛ حيث ذكر جيكي ممثل شركة الهند الشرقية " كانت الشوارع مكتظة بالناس اما استقباله فكان كاستقبال الملوك . كانت هناك عروض رائعة للألعاب النارية واستمرت هذه الاحتفالات عدة ايام " .

خلال اقامة نادر في العاصمة وصل القاضي عبد الكريم افندي من اسلامبول حاملا معه رسالة من السلطان جاء فيها " ان السر عسكر عبد الله باشا كوبرلو قد منح كامل الصلاحيات اللازمة لأبرام معاهدة الصلح مع فارس " . وبالرغم من تأكيدات السفير المستمرة بشأن نوايا السلطان الهادفة الى السلام ، الا ان نادر كان مقتنعا ان تلك النوايا كانت عدائية وان السلطان كان يماطل لكسب الوقت فقط (٢) . ومع ذلك تم معاملة عبد الكريم افندي باحترام ، وسمح له بالعودة الى تركيا حاملا معه رسالة من نادر موجهة الى عبد الله باشا مفادها اذا ما تم اعادة جميع الاراضي الفارسية المحتلة فأن معاهدة السلام ستبرم ؛ والا فالحرب . كان اعتقاد نادر في محله بشأن نوايا السلطان ، لان علماء الاتراك ، وبعد التشاور مع الوزير الاعظم ، خرجوا بنتيجة مفادها استمرار الحرب مع فارس بقوة اكبر واستعدادات اعظم وانه يجب عدم تسليم اي جزء من الاراضي الى فارس حتى تتخلى روسيا عن الاراضي التي احتلتها .

مباشرة بعد ان سمح نادر للمبعوث التركي بالانصراف وصلت بعثة روسية الى اصفهان برئاسة الامير سيرجي ديمتريفيتش غوليتزين ؛ كان غوليتزين دبلوماسيا متمرسا ، تم تعيينه سابقا كسفير لدى اسبانيا و بروسيا . كان الهدف الرئيسي لمهمة غوليتزين كتابة تقرير كامل الى سانت بطرسبيرغ عن اوضاع بلاد فارس وحث نادر على انهاء الهدنة مع الاتراك . غوليتزين بعد ان استقبله نادر ، ذكر ان نادر كان صعب المراس ، وكان على قدر كبير من الهيبة وكان لا يحب ان يملي عليه احد ؛ لذلك فان الدبلوماسية والصبر كانا عنصرين اساسيين للتعامل مع نادر .

بالرغم من موافقة نادر بادئ الامر على طلب غوليتزين ، على انه في حال قيام تركيا بشن هجوم على روسيا ، فان فارس ستهاجم الاتراك وتدعم الروس ، الا انه بعد ذلك تم المماطلة بشأن هذه المسألة ثم لاحقا وبعد مناقشة قضايا اخرى تم التعتيم عليها . عندما ذكر غوليتزين مسألة استعداد روسيا لتقديم يد العون الى فارس ، شكره نادر ، لكنه قال " كيف يمكن الاستفادة من هذا العرض ان كانت روسيا لن تذهب الى شماخي او بغداد " . وقال نادر " اذا ما نشأت ظروف تنطوي على قطع العلاقات مع تركيا ، فاني سأتعامل مع الاتراك دون مساعدة خارجية ؛ واذا نجحت ، فسوف اتقدم عبر الاناضول الى اسلامبول ، ويمكن لروسيا بعد ذلك ان تهاجم تركيا من الجانب الاخر " . وذكر غوليتزين في تقريره ان نادر كان غاضبا من روسيا بسبب عدم تخليها عن باكو و دربند ، بالرغم من ان روسيا اشترطت في معاهدة ١٧٣٢ م ، بقاء هاتين المدينتين بحوزتها مادام الاتراك يسيطرون على جورجيا ، ارمينيا واذربيجان .

وبسبب عدم وصول اي رد من الجانب التركي بشأن قبول المعاهدة واعادة الاراضي الفارسية ، لذلك تحرك نادر نحو الحدود التركية في ١٢ محرم ١١٤٧ هجري (١٤ يونيو ١٧٣٤ م) ، وكان يرافقه بمسيرته تلك الامير غوليتزين ومعاونيه . سار نادر عبر كلبايكان نحو همدان ؛ ويبدو انه اراد بعد الوصول الى همدان ، التقدم نحو بغداد عبر كرمانشاه . لكنه ولدى مغادرته همدان ، سار الى سنندج ومراغه . وكان سبب عدم توجهه الى بغداد وتغيير خطته ، انه وبعدما قرر التوجه الى بغداد تلقى رسالة من المبعوث الفارسي لدى سانت بطرسبيرغ يخبره ان البلاط الروسي امر فاختانج الملك الجورجي السابق وابنه بكار للسير الى دربند بهدف الاستيلاء على شماخي واحتلال كارتلي لصالح روسيا .

في مراغه وصل مبعوث تركي الى نادر ، ولكن يبدو انه لم يحمل معه اي اخبار ذات اهمية . ارسل نادر عمه بكتاش خان قريقلو وجنود تحت امرته الى تبريز ، وامر عددا من زعماء العشائر بالتمركز في دمدم ،

وان ينتظروا حتى معرفة الموقف التركي في ما اذا ارادوا الحرب او السلام .

وصل نادر الى اردبيل في ١٠ اغسطس ، حيث استقبل هناك مبعوثا من عبد الله باشا كوبرلو يطلب تأجيل تسليم الاراضي الفارسية حتى عامين قادمين . اظهرت هذه الرسالة عدم نية الاتراك في السلام وكذلك رفضهم لبنود المعاهدة المبرمة بين نادر واحمد باشا .

قرر نادر توجيه اولى ضرباته ، ليس ضد الاتراك انفسهم ، وانما ضد تابعهم سورخاي خان شيروان . وان سبب اتخاذ نادر لمثل هذا القرار كان اولا ، اراد الاستيلاء على شماخي قبل ان يتمكن فاختانج من الاستيلاء عليها لصالح روسيا . ثانيا ، شعر ان قرب القوات الفارسية من باكو ودربند سيجبر الروس بالإسراع في المصادقة على المعاهدة التي كان غوليتزين يتفاوض بشأنها منذ مدة ليست بالقصيرة . ثالثا ، رغب نادر بسحق سورخاي والاستيلاء على اراضيه . اخيرا ، بالاستيلاء على شماخي سيعيد جزءا من الاراضي الفارسية الضائعة .

سورخاي وبوصفه خانا على شيروان ، استلم اوامر احمد باشا بأخلاء تلك المقاطعة ، لكنه رفض تنفيذ الاوامر . طلب نادر من حاكم استارا ان يبعث بكتاب لسورخاي خان يذكره بأوامر احمد باشا ، فرد سورخاي " انه بسيوف الاسود اللزجيين استولينا على شيروان فلا يحق لأحمد باشا او اي شخص اخر التدخل في شؤوننا " .

وصل نادر الى كورا في ٢١ اغسطس ، وبعد علمه بتقدم نادر نحوه شعر سورخاي بذعر شديد فهرب الى جبال داغستان . نادر بعد ذلك عبر كورا واحتل شماخي ، دون اي مقاومة تذكر ؛ وقام نادر بتعيين حاكم على شماخي تابع له ، كما وفرض ضرائب ثقيلة على السكان .

عندما كان في شماخي ، هدد نادر روسيا بإعلان الحرب ضدها مالم تقم روسيا بتسليم دربند وباكو ، بحجة ان تركيا لن تعيد الاراضي التي احتلتها طالما ان روسيا تحتفظ بأراض فارسية . قام غوليتزين بأرسال تهديدات نادر الى البلاط الروسي فجاء الرد من البلاط برسالة سلمت الى

نادر جاء فيها ، انه على الرغم من معاهدة رشت ، فان القوات الروسية ستنسحب من جميع الاراضي الفارسية ، بشرط مصادقة بلاد فارس على المعاهدة وان تعتبر فارس اعداء روسيا بمثابة اعداء لها . في ١ اكتوبر ١٧٣٤ م ، تلقى الجنرال ليفاشيف اوامر بأخلاء جميع الاراضي جنوب دربند ، بما في ذلك باكو، وان يستعد لتسليم دربند .

في ١٥ سبتمبر ، غادر نادر شماخي مع نصف جيشه البالغ عددهم ١٢ الف رجل ، وتوغلوا الى قلب ارض غازي قوموق ، بهدف تدمير قوموق نفسها . بعد ٣ ايام تقدم طهماسب خان جالاير مع النصف الاخر من جيش نادر البالغ عددهم ١٢ الف رجل الى منطقة قابالا (او تسمى قبله) ، حيث تواجد هناك سورخاي خان وجيشه . حصلت المعركة بين طهماسب خان وسورخاي خان في منطقة ديف باتان ، تقع هذه المنطقة بين شماخي وقابالا . كان سورخاي خان على راس جيش يتكون من ٢٠ الف رجل ، كان ٨ الاف رجل منهم من الاتراك والتتار الذين قدموا من كنجه وكان يقودهم مصطفى باشا وفاتح جيراي . تم ارسال قوة تركية كبيرة لتعزيز قوات سورخاي لكن الملك تيموراز من كاخيتي اعترض هذه القوة التركية واوقع بها خسائر كبيرة واجبرها على الانسحاب الى تفليس . وبالعودة الى المعركة السابقة فقد تمكن طهماسب من هزيمة سورخاي خان وأوقع بجيشه خسائر كبيرة ؛ وأجبره على الفرار الى قوموق ، اما الاتراك والتتار فقد هربوا وتحصنوا في كنجه . وتابع طهماسب نجاحه من خلال محاصرة وتدمير قلعة سورخاي خان في خاشماز .

وفي الوقت نفسه تقدم نادر بصعوبة الى ارض غازي قوموق . سورخاي خان وبعد ان طُلب منه الخضوع لنادر ، رفض وفضل المقاومة ، لكنه عاد وهُزم مرة اخرى قرب قوموق ، وهرب الى افاريا . بعد ذلك نجح نادر بالاستيلاء على قوموق فدمرها واستولى على كنوز سورخاي خان .

قام القاص فولاد خان ، ابن عادل جيراي ، الشامخال (الحاكم) السابق لتاركو ، والذي كان شخصية بارزة في داغستان ، بالخضوع لنادر . فمنحه نادر لقب شامخال .

ادرك نادر ، وبسبب قرب حلول فصل الشتاء ، انه سيعجز عن الاستمرار بملاحقة سورخاي خان ، لان الطرق المؤدية الى افاريا ستمتلئ قريبا بالثلوج . وبعد ان امضى اسبوعا في قوموق ، توجه نادر الى آختي حيث هاجم عددا من اللزجيين هناك واجبرهم على الفرار . ثم سلك طريقا صعبا ووعرا عبر خاشماز وقوطكاشين حتى وصل الى قابالا ، وهناك علم بأنباء انتصار تيموراز على الاتراك . وبعد فترة وجيزة من انتصار تيموراز ، تلقى الاتراك صدمة اخرى بسقوط قلعة غوري على يد جيف اميلاخور حاكم كيسان . غادر نادر قابالا في ٢٢ اكتوبر ، وعبر الكورا جنوب اريش ، ووصل الى كنجه ، فعسكر نادر وجيشه تحت اسوارها في ٣ نوفمبر . ثم بعث نادر برسالة الى فاختانج في دربند يطلب منه الحضور الى معسكره ، الا ان فاختانج لم يمتثل للأوامر وعاد الى استراخان .

اتخذ نادر تدابيره لأحكام الحصار حول كنجه . فقام علي باشا بأجلاء المدينة ثم تحصن هو وقواته في القلعة ، أمر نادر بوضع احدى المدافع على سطح احدى جوامع البلدة ، لكن سرعان ما اسقطت المدفعية التركية هذا المدفع . وبذلت محاولات عديدة لتسلق جدران القلعة عن طريق منصات خشبية عالية ، لكن هذه المحاولات بائت بالفشل ودمرت المنصات بنيران الاتراك . بعد ذلك تمكن الفرس من تفجير ستة انفاق ، نجحوا بحفرها وزراعتها بالألغام ، بوقت واحد فأحدثت اضرار جسيمة في الجدران واوقعت ٧٠٠ قتيل تركي . في اثناء حصار كنجه نجى نادر من الموت ثلاث مرات ؛ كان اشد الحوادث خطورة سقوط كرة مدفع على رأس جندي يقف الى جوار نادر ، فقطع راس ذلك الرجل وتناثرت دماءه و اجزاء من دماغه على وجه وملابس نادر .

وبسبب عدم امتلاكهم لمدافع حصار مناسبة ولقرب حلول الشتاء ، فجعل من محاصرة كنجه امرا شاقا وطويلا . كما وأن الاتراك قاتلوا بمعنويات عالية و كبدوا الفرس خسائر جسيمة .

ادرك غوليتزين في وقت مبكر ان الحصار سيكون طويلا بسبب المعوقات التي ذكرت اعلاه . وشعر ان التأخير في الاستيلاء على كنجه سيضر بالمصالح الروسية - الفارسية فعرض المساعدة على نادر . وبدوره قبل نادر عرضه بسرور ، في نوفمبر ، قام ليفاشيف بأرسال ضابط مهندس واربعة افراد من سلاح المدفعية ، تنكروا جميعهم بزي فارسي ، ونجحوا بالوصول الى المعسكر الفارسي ؛ جالبين معهم عددا من مدافع الحصار الثقيلة . ويقال ان نادر بادئ الامر شك ببراعة الروس ، لكنه سرعان ما اقتنع بمهاراتهم .

وبالرغم من المساعدات الروسية ، شعر نادر انه لن يتمكن من الاستيلاء على القلعة بهجوم عام وشامل ؛ لذلك أبقى جزءا من قواته لمحاصرة المدينة ، وارسل الجزء الاخر من قواته بقيادة تركي خراساني يدعى صافي خان بوغيري ، يعاونه المخلصين من الزعماء الجورجيون ، لحصار تفليس .

في ٢٧ ديسمبر ، استلم نادر رسالة من سانت بطرسبيرغ ، اوصلها له غوليتزين ، جاء فيها ان الامبراطورة كانت متيقنة من قدرة نادر على طرد الاتراك ، وانها وافقت على ارجاع كافة الاراضي الفارسية المحتلة من قبل روسيا شريطة عدم التخلي مستقبلا عن هذه الاراضي لصالح تركيا ، وان يكون اعداء روسيا هم اعداء فارس وبالعكس ، وان يؤكد نادر برسالة خطية لا شفهية لغوليتزين أنه سيسعى جاهدا لهزيمة الاتراك وطردهم . كان نادر سعيدا بهذه الرسالة ووعد بالموافقة على هذه الطلبات .

ونتيجة لهذه التطورات تم توقيع معاهدة كنجه ١٠ – ٢١ مارس ١٧٣٥ م . حيث تعهدت روسيا بأخلاء باكو في مدة اسبوعين وأخلاء دربند في مدة شهرين من تاريخ التوقيع على المعاهدة ؛ في المقابل وعدت بلاد

فارس ، انها ستكون حليف روسيا الدائم ، وان لا تسلم باكو او دربند الى اي قوة اخرى . واتفقا على ان سولاق هو الحد الفاصل بين فارس وروسيا ، واتفقا ايضا انه وجب على البلدين عدم التفاوض مع تركيا بشأن شروط السلام دون علم وموافقة الطرف الاخر .

اخلت روسيا كل من باكو ودربند خلال الفترة المنصوص عليها ، كما تم تفكيك واجلاء قلعة الصليب المقدس . وهكذا انتهى الاحتلال الروسي لشمال فارس ، الذي بدأه بطرس الاكبر قبل ١٣ سنة . ان الفائدة الوحيدة التي جنتها روسيا من هذا الاحتلال هو منع تركيا من تأسيس قاعدة لها على سواحل بحر قزوين ، لكن هذه الفائدة وبالرغم من اهميتها فقد كلفت روسيا الكثير . حيث ازهقت ارواح ما لا يقل عن ١٣٠ الف جندي روسي ، معظمهم لقوا حتفهم بسبب الامراض والاوبئة في مقاطعة جيلان .

كان عبد الله باشا متواجدا في قارص ، ولم يتقدم لنجدة كنجه ، وبعد عدة ايام من احتفالات النوروز ، ارسل نادر مجموعة من القوات الى قارص على امل اخراج الاتراك من تحصيناتهم ليتمكن من مهاجمتهم . كما ارسل قوات لمراقبة لزجيي جار وتالا المعروفين ببسالتهم في الحروب .

ثم امر نادر بتدمير شماخي وأمر سكانها بمغادرة مدينتهم والتحرك الى اق سو . وبسبب ان العديد من الابنية كان يجب تشييدها في اق سو لاستيعاب سكان شماخي ، لذلك ارسل نادر اسرى الحرب الاتراك للمساعدة في بناء المدينة الجديدة . وعندما تم الانتهاء من عملية الاجلاء ، تم تغيير اسم المدينة من اق سو الى شماخي الجديدة . دمر نادر شماخي بحجة ان تلك المدينة كانت غير محصنة ومكشوفة اذا ما حدث هجوم عليها ، لكن يبدو ان هانوي كان على حق ، عندما ذكر انه تمت مساواة المدينة بالأرض وذبح العديد من سكانها بسبب تأييدهم للعشائر اللزجية .

في بداية مايو ، غادر نادر معسكره في كنجه متوجها الى قارص ، بعد ان انهى الترتيبات الازمة لاستمرار الحصار اثناء غيابه . بعد محاولة

غير ناجحة لاعتراض تيمور باشا حاكم وان ، الذي كان متوجها الى تفليس لتقديم المساعدة والدعم للأتراك هناك ، حاول نادر الوصول الى قلعة قازانشاي عبر اجتيازه لطريق جبلي صعب جدا ، على امل انه بتهديده لتلك القلعة فسينجح بإخراج عبد الله باشا من تحصيناته . الا ان نادر فشل بسبب كثافة الثلوج التي كانت تغطي الممرات الجبلية ، لذلك قرر التقدم الى قارص عبر لوري . في ٢٤ مايو عسكر نادر على بعد ٣ اميال من قارص . بسبب عدم مغادرة عبد الله باشا لتحصيناته ، وبسبب ندرة المؤن في المناطق المجاورة لقارص ، توجه نادر الى اباران ، حيث التقى هناك برئيس الكنيسة الارمنية ابراهام . ثم توجه بعد ذلك الى ايروان لمحاصرتها ؛ وارسل نادر قوة الى بايزيد بهدف الاستيلاء عليها ، فنجحت تلك القوة بمهمتها واستولت على ذلك الحصن .

ترك نادر قوات كافية لحصار ايروان ، وسار الى اجميادزين برفقة جيشه الرئيسي ، ويعود السبب في ذلك لكي يكون مستعدا لمهاجمة عبد الله باشا اذا ما خرج من قارص . بعد عودته الى ايروان لصد غارة قامت بها الحامية التركية هناك ، ذهب الى باراكار وهناك استلم نادر خبرا سارا يفيد بقيام عبد الله باشا وجيشه بعبور نهر اخوريان وتوجههم نحوه .

كان يبلغ تعداد الجيش التركي ٣٠ الف انكشاري و ٥٠ الف فارس (٣) ؛ اما الجيش الفارسي فقد بلغ عدد افراده ١٥ الف رجل بحسب رأي ميرزا مهدي ، لكن الكاثوليكي ابراهام ذكر ان عدد الجيش الفارسي قد بلغ ١٨ الف رجل ، لكن يبدو ان تلك القوة التي رافقت نادر كانت الحرس المتقدم فقط اما قوته الرئيسية التي وصلت في وقت لاحق الى ارض المعركة ، فكانت تتكون من ٤٠ الف رجل ، مما جعل عدد الجيش الفارسي ٥٥ الف رجل (٤) .

سارع نادر لمقابلة الاتراك تاركا امتعته خلفه ، وفي مساء ١٨ يونيو وصل نادر ورجاله الى قرية اخيكاندي ، بالقرب من زانجا تشاي ، وعسكر على تلة تدعى اق تبه . وفي الوقت نفسه وصل جيش عبد الله

باشا الى باغوارد (يغوارد) ، على بعد فرسخين ، من الجانب الاخر من السهل .

في صباح اليوم التالي بادر الاتراك بالهجوم ، حيث كانوا واثقين من تفوقهم العددي . وضع نادر الكثير من رجاله في كمائن وامرهم بالاختباء هناك حتى تحين اللحظة المناسبة ، ثم وضع على التل واسفله ثلاثة افواج فقط حيث قاموا بهجوم عنيف وشرس ضد الاتراك . فعوضوا قلة اعدادهم ، بشجاعتهم الفائقة . قاد نادر عددا من الجزايرجيين ، وهاجموا تلة صغيرة على السهل كان عبد الله باشا قد وضع فوقها عددا من المدافع ، حيث نجح نادر بالاستيلاء عليها ، ثم تقدمت قوة فارسية اخرى ضد المدفعية التركية على الجناح الايسر . وبعد ذلك التحم المركز الفارسي بالمركز التركي ، وبتعطيل عمل المدفعية التركية ، انهالت المدفعية الفارسية الثقيلة والزانبورك بنيرانها المدمرة على المركز التركي موقعة بهم خسائر فادحة ، فدب الارتباك بصفوف الاتراك وبدأوا بالتراجع . قاد نادر الفرسان من الجيش الفارسي وكذلك القوات التي وضعها في الكمائن ، وهاجم جميعهم الاتراك الذين انسحبوا بادئ الامر ثم تحول الانسحاب الى هروب . هزم الاتراك هزيمة نكراء ، كان من بين القتلى السر عسكر نفسه ، سارو مصطفى باشا صهر السلطان والعديد من كبار قادة الجيش التركي ، كما تم اسر اعداد كبيرة من الاتراك (٥) . وقد هرب بقية الجيش المهزوم في اتجاهات مختلفة ؛ فقام الارمن بقطع الطريق على ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ تركي حاولوا الهروب الى اشتاراك وتم قتلهم على ايدي الفرس . كان نادر سعيدا بهذا النصر العظيم ، حيث كتب الى غوليتزين " منذ ان بدأت خوض الحروب لم يحالفني الحظ مثل هذه المرة " .

بعد المعركة ، وكما فعل مع جثة توبال عثمان باشا ؛ قام بأرسال جثة عبد الله باشا ، الى الاتراك . وارسل بعض من الاسرى الاتراك الى كنجه ، ايروان وتفليس لإبلاغهم خبر انتصار نادر . في ٣ يوليو ، وصلت اخبار الهزيمة الكارثية الى اسلامبول ، فدب الفزع والرعب هناك . تم توجيه اللوم الى الوزير الاعظم علي باشا حكيم اوغلو لتسببه

بهذه الخسارة العظيمة ، فعزل من منصبه ، وعين بديلا عنه اسماعيل باشا حاكم بغداد . اما احمد باشا فعين بمنصب السر عسكر بدلا من المتوفى عبد الله باشا وبعد فترة وجيزة عين احمد باشا حاكما لبغداد .

عندما نقل الاسرى الاتراك اخبار معركة باغوارد الى علي باشا حاكم كنجه ، قام بتسليم القلعة في ٩ يوليو ١٧٣٥ م : حيث بقى صامدا ومدافعا عن القلعة بضراوة لمدة ثمانية اشهر ونصف . استقبل نادر كل من علي باشا وفاتح جيراي بلطف كبير ، فسمح نادر لعلي باشا بالذهاب الى قارص اما فاتح جيراي فسمح له بالذهاب الى تفليس . اسحق باشا حاكم تفليس ، استسلم في ١٢ اغسطس . اما ايروان فبقت عصية حتى ٣ اكتوبر .

وللمرة الثانية توجه نادر الى قارص ، حيث حاصرها لمدة شهر ، وقطع امدادات المياه ودمر البلاد من ارباتشاي الى ارضروم (٦) .

في سنة ١٧٣٤ م ، وكما حصل في سنة ١٧٣٢ م ، طلب الباب العالي من خان القرم التوجه الى داغستان . لكن الخان اعترض على الذهاب بحجة النقص في الموارد المالية اللازمة للحملة وان رجاله كانوا لا يحبذون الذهاب الى هناك ؛ ويبدو في حقيقة الامر ، انه كان لا يريد الابتعاد عن مجاورة الحدود البولندية ، حيث كان يرغب في التدخل بحرب الخلافة البولندية لدعم ستانيسلاوس ليزكشينسكي الذي تدعمه فرنسا . في اوائل مايو ١٧٣٥ م ، اصدر الباب اوامر صارمة الى الخان للسير الى داغستان على رأس ٨٠ الف رجل ثم التوجه الى شيروان ، وان الباب العالي لن يقبل سماع اي حجة اخرى من الخان . وبعد سماع كل من السفير الروسي نيبلويف ومساعده فيشنياكوف بهذه الاخبار ، احتجا بشدة لدى علي باشا الوزير الاعظم ، لكنه ابلغهما ان العديد من قادة وعلماء داغستان ناشدوا السلطان لمساعدتهم وتخليصهم من نادر الذي هزم سورخاي وعين القاص فولاد بدلا عنه . واضاف الوزير الاعظم ان الباب العالي استجاب لهذا الالتماس ، كما ورأى انه من واجبه وتحت ظل هذه الظروف ان يجعل شعب داغستان تحت حمايته وان يرسل لهم التعزيزات العسكرية ؛ واضاف ايضا ان الاوامر قد صدرت

الى الخان ولا يمكن الغائها . أشار سفراء كل من انكلترا ، النمسا و هولندا في اسلامبول على الوزير الاعظم بخطر هذا القرار لأنه سيؤدي الى اشعال فتيل الحرب مع روسيا ، لكن علي باشا اجاب ان الاوامر يجب ان تنفذ ، وان الحرب مع فارس لا يمكن وضع حد لها الا اذا سار الخان نحو داغستان ؛ لكنه اضاف ان الخان أعطي اوامر صارمة بعدم دخول الاراضي الروسية .

في يوليو ١٧٣٥ م ، خرج قابلان جيراي على راس جيش يبلغ عدده ٥٣,٣٠٠ رجل ، ووصل الى داغستان في اكتوبر . لم تحصل اي صدامات عسكرية فعلية ضد روسيا اثناء مسير الخان ، لكن البلاط الروسي ، وبدون اعلان الحرب بصورة رسمية على تركيا ، ارسل الجنرال ليونتوف على راس ٢٠ الف رجل من القوات النظامية وقوة من القوزاق ، لتدمير القرم ، وكانت هذه الحملة تهدف الى نقطتين اولهما لتخفيف الضغط على نادر وثانيهما معاقبة تتار القرم بسبب غاراتهم المستمرة على الاراضي الروسية .

وبسبب موقف روسيا وتهديد نادر لمنطقة الاناضول ، قررت تركيا عرض السلام على فارس . لم يسترد نادر جميع الاراضي الفارسية وحسب ، باستثناء ايروان ، وانما نقل الحرب الى داخل الاراضي التركية .

احمد باشا ، الذي كان متواجدا في ارضروم ذلك الوقت ، كان مخولا للتفاوض على شروط السلام ، فقام بأرسال مبعوثا لنادر عارضا عليه تسليم ايروان وتوقيع معاهدة السلام . الا ان نادر حينها كان يحاصر قارص فطالب بتسليم تلك القلعة ايضا ، وطالب بأن يتم تعويض فارس عن جميع الخسائر التي تكبدتها منذ بدء الغزو التركي للأراضي الفارسية ، وان يتم ادراج روسيا ضمن المعاهدة . ثم سرعان ما انهى مطالبته بقارص ، بعد ذلك امر احمد باشا بتسليم ايروان ، التي فتحت ابوابها للفرس في ٣ اكتوبر . بعد ان استسلمت الحصون الثلاث ، قرر نادر التخلي عن حصار قارص وتسوية شؤون جورجيا . تقدم نحو تفليس في ٦ اكتوبر ، واستدعى تيموراز وابن اخيه علي ميرزا وزعماء كارتلي

وكاخيتي (٧) . اعلن الجورجيون الطاعة ، وساروا الى نادر عندما كان يبعد مسافة قصيرة عن تفليس . ولأنه كان مسلما قام نادر بتعيين علي ميرزا حاكما على كارتلي وكاخيتي ، حيث ذكر ميرزا مهدي نفسه ان تيموراز استحق هذا المنصب اكثر من علي ميرزا . شعر تيموراز بخيبة امل كبيرة من جراء تهميشه ، فقام بالهرب الى شركيسيا . كانت سلطة علي ميرزا اسمية ، حيث قام نادر بتعيين صافي خان بوغيري لمراقبته .

لدى وصول نادر الى تفليس ، تم استقباله باحتفالات كبيرة ، اما الشوارع التي توجب على نادر المرور منها فقد فرشت بالسجاد . عامل نادر بلطف كل من خضع له من الجورجيين ، اما من عارضوه فقد تم ترحيل ٦ الاف عائلة منهم الى خراسان .

في الوقت نفسه ، كان نادر يتفاوض مع الاتراك بصورة متقطعة . ذكر كالوشكين ، الذي عين بديلا عن غوليتزين (٨) ، اثناء لقاءه نادر في تفليس ، ان نادر قرر اقامة السلام مع الاتراك ، بشرط ادراج روسيا في المعاهدة . لكن الاتراك عارضوا هذا الشرط ، بسبب هجوم الروس على بولندا فكان هذا الفعل كفيلا بزيادة توتر العلاقة بين البلدين . وذكر كالوشكين انه وضح لنادر الظروف التي جعلت من روسيا تشارك في الحرب البولندية والدور الذي قامت به فرنسا في بولندا وتأجيجها لحالة الخلاف بين روسيا وتركيا . هتف نادر " ارى انك على حق " ، وبعد ان انتهى كالوشكين ، قال نادر " لا سامحني الله اذا ما عقدت سلاما مع الاتراك دون ادراج روسيا في المعاهدة " . ثم اعرب نادر عن شكره للإمبراطورة آنا بسبب كل ما قدمته وللطفها اتجاهه .

بعد ان قضى نادر ثلاثة اسابيع في تفليس ، علم ان خان القرم كان يسير الى دربند . وعلى الرغم من علم نادر ان حاكم كنجه السابق علي باشا كان في طريقه اليه من اجل تسوية مسألة الحدود وفق المعاهدة القديمة التي ابرمت سنة ١٦٣٩ م ، وان السلطان قد امر خان القرم بالعودة الى ارضه ، الا ان نادر اصر على مهاجمة الخان ؛ لربما كان الغرض من اتخاذ قرار الهجوم على الخان هو ارسال تلميح الى روسيا . توجه نادر خلال مناطق جار وتالا ، حيث قتل العديد من اللزجيين واحرق العديد

من القرى . ثم توجه عبر شكي الى شماخي بهدف مواجهة الخان ، لكن ولدى وصوله الى هناك ، علم ان خان القرم قد قام بالعودة الى ارضه . قابلان جيراي ، وبعد علمه بتحرك نادر نحوه ، قرر الانسحاب وعدم مواجهته وكان سبب اتخاذه هذا القرار هو لخوفه الشديد من نادر ، فاسرع بتنفيذ اوامر السلطان بشأن الانسحاب والعودة الى القرم . وقبل مغادرته داغستان امر خان القرم بتعيين الدار وهو شقيق عادل جيراي بمنصب شامخال ، كما وعين سورخاي خان حاكما على شيروان ، ثم قام بتعيين احمد خان زعيم القراقيتاق حاكما على دربند .

عدى قيامه بتقييد حركة عدد قليل من الوحدات الفارسية التي وضعها نادر لمراقبة تحركات الخان ، وقيامه بتشجيع اللزجيين على التمرد ، فان خان القرم وخلال تواجده في داغستان ، لم يفعل شيء مؤثرا بالمعنى العسكري ، حيث لم يغير سير الاحداث في مسألة الحرب التركية - الفارسية ، ومن ناحية اخرى ، ادت حملة الخان الى تفاقم الوضع المتوتر بين روسيا وتركيا .

قبل ان نمضي قدما بسرد احداث الشمال ، يجب ان نسلط الضوء على احداث جنوب فارس :

في صيف ١٧٣٤ م ، كان لطيف خان ، وتنفيذا لأوامر نادر ، مشغولا بجعل بوشهر قاعدة مناسبة للأسطول الفارسي حديث التكوين ؛ حيث كانت حتى ذلك الوقت قرية غير مهمة لصيد الاسماك . ومن اجل تقوية الدفاعات ، امر لطيف خان بترميم قلعة برتغالية قديمة . وبعد فترة قصيرة تم تغيير اسم بوشهر الى بندر نادري .

في اكتوبر ، وصل طهماسب خان جالاير الى اصفهان حاملا معه خطاب من نادر موجه الى شركة الهند الشرقية الانكليزية والهولندية يطلب منحه عددا من السفن التي يرغب بتسليحها جيدا على ان تكون هذه السفن تحت تصرفه وان تكون على اهبة الاستعداد للذهاب الى اي حملة كانت ، ووجه طهماسب تهديدا للشركتين بانهما سيتعرضان للعقاب اذا ما رفضا الانصياع لأوامر نادر .

اراد جيكي اغلاق مصنع الشركة في اصفهان ومغادرة المدينة ، لكن طهماسب خان رفض السماح له بالمغادرة .

في ابريل ١٧٣٥ م ، قاد لطيف خان اسطولا في شط العرب يتكون من ثلاث سفن نوع غراب و ٥٠ سفينة كبيرة نوع ترانكي والعديد من المراكب الصغيرة ، بهدف الاستيلاء على البصرة . وتم وضع قوة قوامها ٨ الاف فارسي للتعاون مع لطيف خان في هجومه على البصرة ، لكن لطيف خان لم ينتظر وصول تلك القوات البرية ؛ وبعد ان انضم اليه عدد من العرب الساخطين على الاتراك ، شرع في الهجوم .

في تلك الاثناء ، كانت هناك سفينتان انكليزيتان ترسوان على نهر البصرة . وبعدما علم باشا البصرة بتقدم الاسطول الفارسي ، طلب من مارتن فرنج ، تسليم هاتين السفينتين للأتراك . لكن فرنج رفض الانصياع لهذا الطلب وذكر " ان علاقة الشركة مع فارس كانت جيدة وبالتالي لا يمكننا التعاون معكم خوفا على انفسنا وزملاءنا من عقاب الفرس " فرد الباشا انه اذا لم يتم عقد صفقة عادلة فسيتم الاستيلاء على السفينتين وبالقوة .

استولى الباشا بالقوة على السفينتين ، ووضع في كل واحدة منها ٢٠٠ جندي تركي ، وأرسلوا ضد لطيف خان . استمر القتال مدة ثلاثة ايام ، وانتهى بهزيمة الفرس . خسر الاتراك المتواجدين على سطح السفينتين الانكليزيتين اثنين من الرجال وجرح شخص واحد فقط .

وعلى اثر ذلك سيطر الخوف على الوكيل والقنصل في كامبرون ، لانهما خشيا ان تؤدي هذه المسألة الى ازدياد تدهور العلاقة بين الشركة ونادر ، كانا يخشيان العقوبة التي سيقررها نادر ضدهم لدرجة انهما ارادا اجلاء موظفي الشركة في كامبرون واخذ سفنهم والهرب من هناك . تم ارسال رسائل عاجلة الى ممثل الشركة في كرمان ويدعى وايت ويل ، لتسوية شؤون الشركة هناك ، والحضور فورا الى كامبرون . استشاط نادر غضبا بعد وصول الاخبار له ، وعمل على عزل لطيف خان من منصبه ، بسبب عصيانه الاوامر وعدم انتظار وصول القوات البرية

لمساعدته . اما بالنسبة للشركة ، فقد تم تسوية الامر معهم وتم مسامحتهم ، لان نادر كان يرغب بالحصول على مزيد من السفن منهم او من خلال وساطتهم ، حيث كان ينوي القيام بحملة لاستعادة البحرين من عرب الهولة ، وكان يفكر بحملة اخرى اكثر طموحا وكما سيتبين لاحقا .

بعدما علم نادر بانسحاب خان القرم والعودة الى ارضه ، قرر شن حملة ضد اللزجيين ، بالرغم من تأخر الموسم . سار من شماخي عبر آلتي اغاج و داراكاندي ، وعاقب سكان بودوق وخيناليق واخذ التدابير لقطع الطريق على الهاربين . ثم توجه نادر عبر جليار الى شمال دربند حيث عسكر هناك في ٢١ نوفمبر ؛ وهناك علم نادر ان الدار ، سورخاي خان واحمد خان كانوا عازمين على توحيد قواتهم في غازانيش ، لأجل مهاجمة القاص فولاد . توجه نادر الى منطقة مجالس حيث اوقع هزيمة نكراء هناك بقوات خان محمد ابن احمد خان . ومن منطقة مجالس غادر نادر وقواته الى غوبدين ، ضمن الاراضي التابعة للقاص فولاد ، حيث قام نادر بقتل العديد من رجال القبائل المتمردين ثم نهب وحرق قراهم . في ١٧ شعبان (٢ يناير ١٧٣٦ م) ، غادر نادر غوبدين متوجها الى قوموق يصحبه القاص فولاد . قام سورخاي بجمع جميع رجال القبائل المتحالفين معه وامرهم بالتمركز في موقع شديد التحصين في وادي غازي قوموق قويسو ، الذي وجب على الفرس المرور من خلاله ؛ كما وقام سورخاي بنشر رجاله وتحصينهم فوق قمم الجبال .

امر نادر الجزايرجيين بالهجوم على الاعداء كما وارسل الافغان نحو المواضع الجبلية لمهاجمة الاعداء هناك . كانت العملية ناجحة ، فهزم سورخاي ورجاله هزيمة نكراء ، بينما الدار الذي كان في طريقه للانضمام الى سورخاي ، فهزم هو ايضا . توجه نادر الى قوموق ، حيث استقبل هناك الزعماء الذين خضعوا له ، عدا سورخاي طبعا ، الذي هرب الى افاريا ، والتحق بعائلته هناك . توجه نادر الى قريش ، وهو حصن كان احمد خان يتخذه مقرا له . فقام احمد خان بأرسال ابنته وعدد من اتباعه البارزين الى نادر (٩) ، طلبا للعفو . وافق نادر ، بشرط ان يقدم لزجيي دوكوز بارا الف حصان وان يرسلوا عوائل البارزين

منهم كرهائن . اعلن زعماء تبرسران عن خضوعهم وموافقتهم على هذه الشروط ، وبهذه الطريقة استقرت شؤون داغستان ؛ كافأ نادر القاص فولاد وعددا من قادة داغستان الموالين له وسمح لهم بالعودة الى اراضيهم ، بينما ارسل الرهائن الى دربند . ثم تقدم هو الى سهل مغان .

تتويج نادر

بعد ان هزم الاتراك والافغان ، وكبح جماح اللزجبيين وغيرهم من المتمردين ، واستعاد جميع الاراضي الفارسية الضائعة ، عدا قندهار ، قرر نادر ان الوقت قد حان ليكون الشاه وبصفة رسمية . مع جيشه القوي ، الذي ضم اعداد كبيرة من المقاتلين الافغان والتركمان ، والذي كان جميعهم من السنة ، لم يخشى نادر مطلقا انصار طهماسب . ولكي يضفي على عمله هذا بعض الشرعية ، قرر ان يمنح التاج لأي شخص بارز من انحاء الامبراطورية يرغب باعتلاء العرش سواء كان عسكريا ، مدنيا او رجل دين . وكان قد سبق له في يوليو او اغسطس من عام ١٧٣٥ م ، ان اتخذ خطوات هامة بإرسال خطاب الى جميع انحاء المملكة ، جاء فيه " ان الجهود التي بذلتها في استعادة الاراضي الضائعة منعتني من تأسيس قاعدة حكم قوية " . احدى هذه الخطابات وصلت الى كامبرون في اوائل سبتمبر . وجاء فيها " انه بعد الاستيلاء على ايروان ، سيتم التوجه نحو تبريز او قزوين ، ووجب على حكام المقاطعات ، نوابهم وغيرهم من رجالات الدولة ان يكونوا مستعدين لاستقبالي (اي استقبال نادر) في احدى هاتين المدينتين ، ثم سأعمل على توطيد قاعدة الحكم في جميع انحاء المملكة وبعدها اعود الى خراسان " .

في وقت لاحق ، اصدر نادر فرمانا خاصا الى جميع اجزاء البلاد يدعوا فيه قادة الجيش ، حكام المقاطعات والمدن ، العلماء ، القضاة والنبلاء للتجمع في سهل مغان لعقد مجلس قورولتاي الهدف منه منح التاج الى الشخص الكفؤ الذي سيتم اختياره من قبل اعضاء المجلس .

وكان موقع انعقاد المجلس بالقرب من مدينة جواد ، على ارض يحدها شمالا نهر كورا وشرقا نهر اراس ، مباشرة الى الغرب من نقطة التقاء النهرين . اعطى نادر اوامره بإقامة ١٢ الف بناية مبنية من الخشب والقصب ، وامر ببناء المساجد ، منازل الاستراحة ، بازارات وحمامات . كما كان من المقرر بناء مساكن رائعة لنادر وحريمه وحاشيته ، وتم تجهيز اعداد كبيرة من المعاطف الشرفية الرائعة والاحزمة لغرض توزيعها على مستحقيها .

سار نادر على جناح السرعة عبر حسن قلاسي وشماخي الجديدة ، وتمكن من الوصول الى معسكره في سهل مغان في مساء ٢٢ يناير ١٧٣٦ م . وصل الكاثوليكي ابراهام في اليوم التالي ، والذي لبى دعوة نادر له ، ووصل بعد يومين من وصول ابراهام كل من ابراهيم خان اخ نادر ، طهماسب خان جالاير ، بير محمد من هرات ، شاه قولي خان قاجار من مرو وعدد من الاشخاص البارزين . في نهاية الشهر ، وصل علي باشا حاكم كنجه السابق وحاكم الموصل الحالي ، الى معسكر نادر من اجل ابرام معاهدة السلام ؛ وكان يصحبه عبد الباقي خان زنكنه ، حاكم كرمانشاه .

اتخذت تدابير دقيقة لحراسة المعسكر وفرض النظام فيه . حيث كانت خيمة نادر الخاصة محمية بوحدة تتألف من ٦ الاف كشكشي او حرس خاص ؛ وفي اماكن اخرى تم فرض الانضباط بدقة من قبل النسقجيين ، وهم قسم من الحرس الشخصي لنادر كانوا يقومون بمهام الشرطة العسكرية . واثارت حماسة وكفاءة هؤلاء الرجال اعجاب الكاثوليكي .

وبعد وصول كبار الشخصيات ، عقد نادر ديوانه بشكل يومي ، كان حريصا على سماع الطلبات المقدمة له ، وعلى اقامة العدل ، كما وتعامل مع مسائل اخرى ذات طبيعة روتينية . كان الديوان يعقد مدة اربع ساعات على الاقل ؛ وبعدما ينتهي من الديوان كان يقضي ساعة في التحدث وشرب النبيذ مع اصدقاءه المقربين ، وهم كل من ميرزا زكي ، حسن علي خان ، طهماسب خان جالاير ومظفر علي خان .

في ٢٠ رمضان (٣ فبراير) اكتمل حضور جميع المدعوين ؛ حيث قارب عددهم ٢٠ الف شخص (ذكر بازين ان العدد كان ١٥ الف) . في المصادر الرسمية ذكر ان ١٠٠ الف شخص قد حضروا الى سهل مغان ، لكن يبدوا ان هذا الرقم مبالغ فيه الا اذا تم احتساب جميع القوات ،اتباع المعسكر ، المدعوون والخدم .

كان لا يمكن استقبال كبار الشخصيات دفعة واحدة بسبب كثرة اعدادهم ، لذلك قسموا الى مجاميع عديدة ، حيث كان يتم مقابلة كل مجموعة منهم

بصورة منفصلة عن الاخرى في ديوان خانه . كان من بين الاشخاص البارزين الذين تم استقبالهم في اليوم الاول كل من ابراهام وعلي باشا حيث تم ذلك في ١ شوال (١٤ فبراير) . ذكر ابراهام ان قاعة الحضور ضمت الف شخص تقريبا . حيث وزع ماء الورد ، العطور والعصائر على جميع الحضور ، في حين قامت فرقة مؤلفة من ٢٢ موسيقي بعزف الموسيقى والغناء . وفي اليوم التالي عقد اجتماع اخر ؛ وقام نادر في هذا الاجتماع بتعيين لجنة مؤلفة من طهماسب خان جالاير وستة اشخاص اخرين ، واعلنوا للحضور " انه بفضل سيف نادر المسلول ، هزم اعداء فارس ، كما ونجح بإرجاع مجد فارس العسكري وتمكن من نشر السلام داخل ربوع اراضينا . والان وبعد كل هذا يفكر نادر بترك الحروب والحملات بسبب ارهاقه ، ويرغب بالاعتزال في كلات " . وذكر محمد كاظم البيان الختامي لنادر حيث جاء فيه :

" بعد ان تخليت عن قيادة الجيوش وامور الحكم ارغب الان ان اقضي بقية عمري في العبادة وانتم احرار في اختيار طهماسب او اي شخص اخر شاها لكم من الاسرة الصفوية " . حيث علم معظم الحضور عدم صدق نادر .

" بالنسبة لنا لم نجد غير نادر شخصا اخر يستحق عرش بلاد فارس ، سقطت اراضينا بيد الافغان ، الاتراك ، الفرنج (اي الروس) واللزجيين لكن الان وبفضل الله لم يبقى اي احد من هؤلاء الاعداء حيث نجح نادر بقتلهم واسرهم وازال تلك النجاسة من اراضي المملكة والشعب الان مقتنع وامن ".

ردد الحاضرون هذه الكلمات ، ولمدة ثلاثة او اربعة ايام تم تكرار هذا المشهد . بعد ذلك اعطى نادر الاوامر بنصب خيمته العظيمة . هذه الخيمة تم تدعيمها ب ١٢ عمودا ، كان في نهاية كل عمود منها قبة ذهبية ؛ واشتملت حبال الخيمة الحريرية على سبعة الوان . تم فرش السجاد الفاخر والبسط على الارض ، اما العرش ، الذي كان من الذهب ومرصع بالجواهر ، فوضع في المنتصف .

بعدما تم اعداد كل شيء ، استدعى نادر الامراء والقادة للحضور ؛ ولدى وصولهم ، جلسوا في اماكنهم المخصصة . بعد ذلك دخل نادر وجلس على العرش ، فعزف الموسيقيون وبدء الراقصون والبهلوانيون بأداء عملهم .

بعد ذلك قدم النبيذ ، وتشاور نادر مع الشخصيات البارزة فيما يتعلق بتسوية مسألة النظام الملكي وكان ردهم بطبيعة الحال هو نفسه في كل مرة : " انت هو قبلتنا وكعبتنا ونحن لا نرغب بأتباع شخص غيرك سنبذل حياتنا في خدمتك ونضحي بثرواتنا في سبيل طريقك " .

عندما كان واضحا ان عقول الحاضرين قد تشوشت بفعل النبيذ ، سمح لهم نادر بالمغادرة . لمدة اربعة ايام بلياليها تكرر هذا المشهد ؛ وحسب محمد كاظم ، كان نادر يريد ان يكتشف ما اذا كان القادة فعلا يرغبون بتوليه العرش من خلال تأثير الشراب عليهم ، وفي اكثر من مناسبة اعرب نادر لهم عن رغبته بإعادة الصفويين الى الحكم ؛ الا انهم اكدوا لنادر ولاءهم المطلق له . ميرزا عبد الحسن ، الذي كان بمنصب ملا باشي او رئيس الملالي ، عندما كان بخيمته الخاصة ، ذكر " ان الجميع لا يزالون يؤيدون الصفويين " . فسمع احد الجواسيس هذا الكلام ونقله الى نادر ، ونتيجة لذلك امر نادر بخنق الملا باشي في اليوم التالي .

شعر نادر الان ان الوقت قد حان للتخلي عن تظاهره بعدم الرغبة في الحكم . وبناء على ذلك تم عقد مجلس اخر ، حيث اعلن خلاله طهماسب خان جالاير استعداد نادر توليه الحكم لكن بشروط :

١ – لا ينبغي لاحد التخلي عن نادر ووجب على الجميع الامتناع عن دعم اي شخص ينتمي الى الاسرة الصفوية .

٢ – وجب على الفرس اعتناق المذهب الجعفري (نسبة الى الامام جعفر الصادق) ، ووجب عليهم التخلي عن البدع والممارسات الذميمة الاخرى التي ادخلها الشاه اسماعيل ، والتي كانت سببا لإراقة الكثير من دماء الابرياء واندلاع الحروب بين فارس وتركيا .

٣ – لا يجوز خيانة نادر او ابناءه ، ووجب على الجميع الولاء له ولأبنائه .

وقد ابدى جميع الحاضرين موافقتهم على هذه الشروط دون اي اعتراض ؛ بعد ان شاهدوا المصير المأساوي للملا باشي ، لانهم ادركوا جيدا ما الذي سيحدث لهم اذا ما عارضوا او استنكروا . وبعدما أبلغ نادر بقرار المجلس ، طلب من جميع الحضور التوقيع على محضر نامه .

ان قيام نادر بذبح الملا باشي واستبداله بشخص اخر سني المذهب قد اثار الكثير من التعليقات والتساؤلات . ويبدو من الواضح ، انه اراد من اعدام الملا باشي دب الرعب في قلوب خصومه ، اما قيامه بتعيين ملا باشي سني المذهب فأراد به تحقيق بعض الغايات السياسية . على الرغم من ان نادر كان شيعيا في ايامه المبكرة وكذلك اظهر في بعض المواقف تعصبا مذهبيا واحتراما للمذهب الشيعي ، الا انه وبدون شك ، لم يكن يتبع اي معتقد ديني على الاطلاق ، حيث لم يكن ايمانه صادقا او ذو جذور عميقة . فكان لا يمانع من توجيه الدين لغرض تحقيق مكاسب سياسية . وبالرغم من اعتناق نادر للمذهب الجعفري علنا ، الا انه كان بدون قناعة دينية ؛ بل كان لتحقيق اهداف سياسية فقط .

قد يكون الغرض الرئيسي من اعتناق نادر المذهب الجعفري وترك المذهب الاثني عشري هو لتسهيل الحصول على تسوية مؤقتة مع الاتراك (١) . او من المحتمل ان تكون لديه رغبة خفية بعيدة المدى ؛ ليس لسعيه توحيد العالم الاسلامي تحت لواءه وحسب وانما بجعل نفسه قائدا وخليفة على جميع المسلمين ؛ كان طموحه بلا حدود ، ولأنه عرف عن نادر رغبته بالزحف نحو اسلامبول ، فليس من الصعب عليه التفكير بهدف اخر اكثر جرأة من سابقه الا وهو انتزاع الخلافة من السلطان . كان هناك رأي حقيقي اخر اكثر احتمالية من ما ذكر اعلاه بشأن اتخاذ المذهب الجعفري مذهبا رسميا لفارس هو لان المذهب الاثني عشري كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالأسرة الصفوية ؛ وبما ان هذه الاسرة كانت تدين بالكثير من قوتها وتوسعها ومجدها لذلك المذهب ، فجعل من علماء الشيعة يؤيدون وبحماسة النهج الصفوي . لذلك شعر نادر ان علماء

الشيعة ، وبسبب تأثيرهم القوي على الناس ، سيحاولون وبشتى الطرق اعادة طهماسب او ابنه عباس للحكم مرة اخرى ، لذلك فتوجب عليه ان يحجم من قوتهم ونفوذهم بين الناس . كما ويمكن ان يكون سبب اتخاذه لقرار تغيير المذهب ، هو لإرضاء اعداد كبيرة من جنوده السنة المتواجدين في جيشه .

وبعد ان استحصل نادر الموافقة وبالأجماع على توليه العرش وبعد الموافقة على جميع شروطه ، تم اصدار الفتوى باعتبار نادر شاها رسميا على فارس .

ويذكر الكاثوليكي انه حتى بعد صدور الفتوى ، تظاهر نادر برفضه للتاج ، لكنه استجاب اخيرا لتوسلات النبلاء واصحاب المقامات الرفيعة .

في الوقت نفسه كان ممثلو نادر وعلي باشا السفير التركي ، حاكم كنجه السابق ، يناقشون شروط التسوية بين فارس وتركيا . ويبدو ان نادر ومنذ مغادرته لقارص في اكتوبر ١٧٣٥ م ، وحتى وصول الباشا الى مغان ، كان يتفاوض وبشكل غير مستمر مع احمد باشا وعلي باشا من خلال المبعوثين . ذكر كالوشكين في تقرير ارسله الى سانت بطرسبيرغ في ديسمبر او يناير ، ان السفير التركي كان يمنح الهدايا الفخمة وبسخاء شديد الى اصحاب النفوذ في البلاط الفارسي ، وان الشعب كان تواق للسلام مع تركيا .

وقبل تتويجه ، ارسل نادر سفارة الى السلطان بشروط السلام الاتية :

١ – بعدما تخلى الفرس عن مذهبهم السابق واختاروا المذهب الجعفري فعلى الاتراك الاعتراف به كمذهب خامس يضاف الى المذاهب السنية الاربع .

٢ - بما ان لكل امام من ائمة المذاهب الاربع ركنا في الكعبة منسوبا اليه فيجب تخصيص ركن خامس منسوب للإمام جعفر الصادق .

٣ – يجب تعيين امير حج فارسي وان يكون على مكانة مماثلة لأمراء الحج السوريين والمصريين وان يسمح له باصطحاب الحجاج الفرس الى مكة .

٤ – يتم تبادل السجناء من الجانبين ويُمنع بيع او شراء اي احد منهم (٢) .

٥ – ترسل كل دولة سفيرا الى بلاط الدولة الاخرى .

وبالرغم من حصول نادر على الموافقة بتتويجه وبالأجماع ، الا انه كان هناك بعض التأخير في ترتيبات تتويجه . وكان سبب هذا التأخير هو ؛ اولا ، لم يتم الانتهاء من نقش الختم الملكي الجديد ولم تكن قوالب سك النقود الجديدة جاهزة بعد . ثانيا ، ان المنجمين اكتشفوا تاريخا ميمونا لتتويجه وهو في ٢٤ شوال ١١٤٨ هجري (٨ مارس ١٧٣٦ م) .

قام عدد من الخانات وغيرهم من الشخصيات البارزة بالرحيل دون انتظار التتويج ، ثم غادر ابراهام في ٢٣ فبراير – ٥ مارس ، بسبب البرد ونقص الطعام .

وفي اليوم التالي غادر علي باشا الى اسلامبول ، حاملا معه شروط السلام الى الباب العالي ؛ ورافقه في رحلته تلك عبد الباقي خان ، الذي عينه نادر سفيرا لدى تركيا . وقد صدرت تعليمات الى عبد الباقي خان بنقل اخبار ارتقاء نادر العرش (بالرغم من ان نادر لم يكن شاها بصورة رسمية عند مغادرته) ، كما ومنحه نادر صلاحيات كاملة لإبرام معاهدة السلام . رافق عبد الباقي خان كل من شيخ (صدر) الاسلام ميرزا عبد القاسم كاشاني والملا باشي علي اكبر ؛ وكان سبب مرافقة الشخصيات الدينية للبعثة هو لغرض مناقشة النقاط الدينية في بنود المعاهدة مع العلماء الاتراك والتي لربما سينتج عنها خلاف فيما يخص قبول المذهب الجعفري وتخصيص ركنا خامسا في الكعبة . وقد حملت البعثة رسالة من نادر موجهة الى السلطان ، حيث وضح فيها بشكل مطول ، رؤيته حول موضوع القضايا الدينية المنصوص عليها في المعاهدة والاسباب التي دفعته لاعتناق المذهب الجعفري . كما وارسل نادر مبعوثا اخر الى

روسيا لإعلام الامبراطورة بأخبار اعتلاءه عرش فارس ؛ حيث وصل هذا المبعوث الى سانت بطرسبيرغ في اوائل يوليو ١٧٣٦ م .

في ٧ مارس ، عين نادر ابنه البكر رضا قولي واليا على خراسان ، وقد غادر رضا قولي معسكر مغان متوجها الى مشهد لتولي مهام عمله الجديد . وقبل مغادرته المعسكر امره نادر بإخضاع علي مردان خان افشار حاكم اندخود ، وامره في وقت لاحق باتخاذ اجراء مماثل ضد ابو الحسن خان حاكم بلخ ، بسبب رفضه الحضور الى سهل مغان .

اقيم حفل التتويج في ٨ مارس ١٧٣٦ م ، " بعد ثمانية ساعات وعشرون دقيقة من شروق الشمس " .

حضر النبلاء والخانات والشخصيات البارزة الى قاعة الجماهير في الوقت المحدد ، حيث كانوا يرتدون معاطف شرفية . التاج الذهبي ، والذي وصفه الكاهن الارمني تير ثوما ، كان يشبه الخوذة في تصميمه وكان مرصع بجواهر ثمينة ولآلئ رائعة ، قام ميرزا زكي بوضع التاج على رأس نادر . فانحنى جميع الحاضرين وابتهلوا ، الا نائب الملا باشي ، الذي قام برفع الاذان . وعندما كان الاذان قائما ، رفع الجميع اياديهم ووضعوها بمحاذاة رؤوسهم ؛ وبعد ذلك تم قراءة سورة الفاتحة ، حيث كانت وجوههم الى الارض . وبعد الانتهاء من الفاتحة ، جلس الجميع في اماكنهم المحددة ، وكل حسب منصبه . ثم تلاه مشهد مشابه لما حصل في اليوم الاول من حفل استقبال نادر للضيوف . وقبل ان يسمح لهم بالمغادرة ، انحنى جميع الحضور للشاه الجديد .

بعد تتويجه نال نادر لقب الشاه ، واوقف استعمال القابه السابقة ولي النعمات – نائب السلطنة – وكيل الدولة . وذكر الشاعر قوام الدين عبارة " الخير فيما وقع " .

حيث تم وضع هذه العبارة على القطع النقدية في وقت لاحق . كما انشد شاعر من عراق العجم محب للصفوين ابياته التالية " قطعنا الامل من المال والروح – وطمعنا بتاريخ الخير فيما وقع " . كما قام البعض بعكس اول حرفين لتصبح " لا خير فيما وقع " ، وكان الهدف منها

السخرية من نادر . وذكر محمد كاظم ، ان نادر وبعدما علم بهذه السخرية ، امر بإعدام العديد من الشعراء .

وفي نفس اليوم وبعد الحفل ، تم تعيين ميرزا مؤمن بمنصب رئيس الكتاب والخطاطين ، بدلا من ميرزا مهدي ؛ اما الاخير فقد عين بمنصب مؤرخ نادر الرسمي .

وبعد انتهاء ذلك اليوم استمر عزف الموسيقى وقرع الطبول لثلاثة ايام وليالي دون توقف .

اما عباس الثالث ، فأرسله نادر الى والده طهماسب في خراسان ، بعد خلعه ، حيث بقى هناك الى ان قام رضا قولي بإعدام عباس الثالث وشقيقه الاصغر اسماعيل ميرزا ووالدهما طهماسب عام ١٧٤٠ م وكما سنرى لاحقا .

عين نادر اخوه ابراهيم خان بمنصب القائد العام لكامل اذربيجان ، وامر جميع الحكام من حدود قابلان كوه الى اربا تشاي وحدود داغستان وجورجيا بالطاعة له .

بعد النوروز ، ناقش نادر مع قادته حملة قندهار المرتقبة ، كما واخذ معلومات مفصلة من الافغان الذين كانوا تحت خدمته عن احوال البلاد هناك .

ثم قضى نادر عدة ايام للتمتع بأشهى الاطعمة وسماع الموسيقى العذبة ، الى ان حل ١٤ من ابريل فتحرك نادر وجيشه الى قزوين . وقبل رحيله اعاد الممثلين عن كارتلي مع اوامر بجمع مبلغ قدره ٣٣٠٠ تومان (٧٢٦٠ باوند) ومد الحامية في تفليس ب ٥٠٠ رجل . هذه الاوامر ادت الى حدوث ثورة في كارتلي العليا بقيادة جيف اميلاخور ، فاخوشت اباشيدز ، شانشي وقادة جورجيين اخرين . فتم قمع التمرد في وقت لاحق من تلك السنة على يد صافي خان بوغيري ، حاكم جورجيا .

الهدنة بين فارس وتركيا ، علاقة نادر بروسيا ، تسخير البحرين وحملة البختياريين

غادر كل من عبد الباقي خان وعلي باشا مخيم مغان في ٤ مارس ١٧٣٦ م متوجهين الى اسلامبول . كان الباب العالي يجهل مضمون معاهدة السلام الفارسية ، لذلك قرر في ٢٠ من ابريل منح صلاحيات كاملة لأحمد باشا بشأن ابرام المعاهدة ؛ واعرب الباب عن ارتياحه لتقارير احمد الباشا بتخلي فارس عن مذهب التشيع (١) ، لكن الباب العالي اكد على عدم موافقته ادراج روسيا في المعاهدة .

وصل كل من عبد الباقي خان وعلي باشا الى اسلامبول في ٦ من اغسطس ، بعد ان استغرقا خمسة اشهر في اجتياز الطريق ؛ ولدى وصول عبد الباقي خان ، " تم استقباله بإجلال كبير لم يمنح سابقا لأي سفير او وزير مرسل من قبل الامراء والملوك المسيحيين " .

وفي الاجتماع الاول ، الذي جمع بين الوفد الفارسي والاتراك ، تم قراءة رسالة الشاه الى السلطان ، وتلا ذلك قراءة رسائل نادر الموجهة الى الصدر الاعظم والمفتي . وفي المناقشات التي تلت ذلك الاجتماع ، تم التوصل الى اتفاق سريع بخصوص مسألة الاسرى ، تبادل السفراء وتعيين امير حج فارسي ؛ الا ان القضية كانت مختلفة ، بشأن نقاط نادر الدينية . حيث ناقش هذه النقاط كل من الصدر ميرزا ابو القاسم الكاشاني والملا باشي علي اكبر عن الجانب الفارسي ؛ اما الجانب التركي فاشتمل على لالي احمد افندي القائم بإعمال رئيس قضاة الاناضول ، مسيح زاده عبد الله افندي الشاغل الاسمي لمنصب رئيس قضاة الاناضول ، عبد الله باشا رئيس دار الافتاء واحمد افندي قاضي اسلامبول السابق . ويقال ان علي اكبر لعب دورا بارزا في هذه المناقشات ، وبسبب مهاراته الجدلية فقد احرج الوفد التركي كثيرا .

رفض الاتراك رفضا قاطعا الموافقة على مقترحات نادر الدينية ؛ اما النقاط الثلاث سابقة الذكر فتم الموافقة عليها ، وتم ارسال بعثة الى الشاه لإبلاغه بالأحداث . وافق عبد الباقي خان على شروط المعاهدة ، التي تم

حذف مقترحات نادر الدينية منها ، شريطة موافقة نادر شاه عليها ، عبد الباقي خان والممثلين الاتراك وقعوا بتاريخ ٢٨ سبتمبر . وفي ١٧ اكتوبر ، تم دعوة كل من عبد الباقي خان ، علي اكبر وابو القاسم الكاشاني الى اجتماع مع الجانب التركي ، حيث سلمت لهم المعاهدة وبشكل رسمي . جاء في مقدمتها انه تم الاعتراف رسميا بنادر شاها على بلاد فارس ؛ ثم تبعها ثلاثة مواد من بنود نادر المرسلة سابقة الذكر والتي تم الموافقة عليها من الجانب التركي ؛ واخيرا ، ذكر في الملحق ، ان الحدود بين الدولتين يجب ان تكون على وفق ما ذكر في معاهدة زهاب المبرمة في ٧ مايو ١٦٣٩ م (٢) .

وهكذا تم تعليق حالة الحرب بين البلدين رسميا ، حتى يتم ايجاد حل لمقترحات نادر الدينية ومعرفة رأي نادر بخصوص هذه المسألة .

عندما اراد عبد الباقي خان الرجوع الى فارس ، اوفد الباب العالي في نفس الوقت ، سفيره مصطفى بيك وكان يرافقه كل من مسيح زاده عبد الله افندي وقاضي ادرنه لغرض مساعدته في مناقشة المسائل الدينية . غادرت السفارة التركية اسلامبول في ٢٣ نوفمبر ١٧٣٦ م ، وتبعها في اليوم التالي عبد الباقي خان ومرافقيه .

بينما كانت مفاوضات السلام جارية بين فارس وتركيا ، تدهورت العلاقات الروسية التركية بشكل كبير . حيث كانت الحرب بين الدولتين امرا حتميا لا مفر منه وكانت من اسباب تدهور العلاقة بين البلدين مسيرة خان القرم الى داغستان وغزو ليونتوف الى القرم . في اسلامبول تأزم الوضع كثيرا بسبب الدور الذي لعبه السفير الفرنسي بحث تركيا على مهاجمة روسيا . اما على الجانب الروسي ، فان النداءات المتكررة التي ارسلها نيبلويف و فيشنياكوف الى الحكومة الروسية لحثهم على " مهاجمة البرابرة " ، كانت سببا لإشعال فتيل الحرب بين الروس والاتراك .

عندما قررت روسيا ، وبعد نقاش مطول ، السير الى الحرب ، كانت متأكدة ان نادر لن يوقع على سلام منفصل مع الاتراك مالم يتم ادراجهم

في المعاهدة ، وكانوا مقتنعين ايضا ان نادر سيمد يد العون لهم اذا ما حصل صراع بين روسيا وتركيا . وكما رأينا فان نادر بذل جهودا جبارة لمحاولة اقناع تركيا بإدراج روسيا في معاهدة السلام ، الا ان رد الأتراك المتكرر والرافض لإدراج الروس جعلته يدرك جيدا ان الاتراك لن يوافقوا مطلقا على هذا الشرط .

في ٢٨ مايو ١٧٣٦ م ، اعلنت روسيا الحرب على تركيا ، بعد ذلك بفترة قصيرة تلقى كالوشكين اوامر لإبلاغ نادر بشأن اعلان الحرب كما وأبلغوه بحصار ازوف ؛ واضاف ، انها اللحظة التي يتعين فيها على بلاد فارس استثمارها لمهاجمة تركيا ، لان الاتراك القوا بكامل ثقلهم لصد الهجوم الروسي . الا ان انظار نادر كانت موجهة ناحية الشرق بدلا من الغرب ، مما دفعه للرد ، على انه لن يقوم بهجوم عسكري ضد الاتراك ، وانه لن يوافق على معاهدة السلام ، مالم يتم ادراج روسيا في المعاهدة . اعترض كالوشكين وكان مستغربا من رد الشاه ، حيث قال " ان الشاه الذي اصر على توريط روسيا بحربه مع تركيا ، يتخلى الان عن حليفه ويبحث عن حليف جديد رغبته الحقيقية تدمير فارس " . فأجاب نادر " ان العمليات العسكرية الروسية هي غير مهمة وثانوية ؛ ان فارس ليست بحاجة الى ازوف ، كما ان الروس ليسوا بحاجة الى بغداد . ان الهدف الرئيسي للحملة الروسية يجب ان يكون بالتوجه المباشر نحو اسلامبول ؛ حيث يجب على الامبراطورة قيادة او ارسال جيوشها الى هناك . واختتم قوله انه لن يعقد السلام الا بعد تلقيه اجابة من الامبراطورة " . وفي تقارير ارسلها كالوشكين الى سانت بطرسبيرغ ، ذكر فيها " انه كلما اردنا حث النبلاء الفرس على المشاركة في الحرب ضد الاتراك كانت اجابتهم فاترة " . كما وذكر عن عدم استطاعة فارس استئناف حربا اخرى ضد الاتراك ، لمرورها بأوضاع خطيرة ، سببها ان الدولة والشعب اصبحا يعانيان الفقر الشديد .

وصل المبعوث الفارسي الى سانت بطرسبيرغ في بداية يوليو ١٧٣٦ م ، حيث اخبر الامبراطورة رسميا بارتقاء نادر على عرش فارس ، واكد لها ولوزرائها ان الشاه لن يوقع على سلام منفصل مع الاتراك ؛ وحصل

في المقابل على وعد من روسيا بعدم التوقيع على سلام منفصل مع الاتراك ايضا مالم يدرج اسم فارس فيها .

وعندما وصلت اخبار توقيع المعاهدة في اسلامبول ، شعر البلاط الروسي بصدمة كبيرة . نادر ومن جانبه ، لم يخلف بوعده الذي قطعه للروس ، لان التسوية الموقعة في اسلامبول ، كانت في الواقع مجرد هدنة ؛ وعلاوة على ذلك فأن نادر لم يصادق عليها .

بقى نادر في قزوين مدة ثلاثة اشهر . واثناء وجوده اصدر مرسوما لتنفيذ شروطه الدينية التي اعلنها في مغان . هذا المرسوم منع استخدام عبارة علي ولي الله في الاذان ، والتي تتعارض مع نهج المذاهب الاخرى . كما ومنع استخدام العبارة الاتية ، التي كانت تردد بعد الفاتحة والتكبير " ملكي ، يا منبع جميع خيراتنا ، عش الى الابد " ، على اساس ان البشر فاني ولا يجوز الدعاء له بالخلود .

وذكر كوكل ان نادر " اقام احتفال تتويج اخر في قزوين ، ووضع التاج الامبراطوري على رأسه وردد اليمين المعتاد ... الى اخره " . ولم يذكر لا ميرزا مهدي ولا اي مصدر فارسي معاصر اخر عن التتويج الثاني في قزوين ، ويبدو انه من غير المرجح حدوث ذلك ؛ لان التتويج في سهل مغان كان كافيا . وكذلك من غير المرجح ، ان يتبع نادر الطريقة الصفوية التقليدية في التتويج من خلال قيامه بحفل تتويج في قزوين .

عندما كان نادر متواجدا في قزوين ، وصلت اليه اخبار تفيد بنجاح الفرس في الاستيلاء على البحرين . منذ زمن ليس بالبعيد كثف لطيف خان ، الذي اعاده نادر لمنصبه السابق ادميرال على الخليج ، من استعداداته في بوشهر لغرض القيام بحملة ضد البحرين . كانت احدى السفن التي اضيفت الى الاسطول الفارسي تدعى نورثمبرلاند ، والتي اجبر صاحبها على بيعها بمبلغ ٥٠٠٠ تومان . وبعدما قام الوكيل بتوبيخ قبطان السفينة على بيعها للطيف خان ، ذكر له ان لطيف خان اخذ السفينة بالقوة ؛ لكنه ذكر انه وبالرغم من اجباره على بيع السفينة الا انه حصل على مبلغ عظيم يفوق سعرها الحقيقي .

لا توجد تقارير دقيقة عن حملة البحرين ، لكن يبدو ان الفرس تقدموا من ميناء بوشهر في مارس او بداية ابريل ١٧٣٦ م ، عندما كان الشيخ جبارة يؤدي مناسك الحج في مكة .

قاوم نائب الشيخ مدة من الزمن في الحصن ، لكنه اجبر على الخضوع بسبب اعداد الفرس الكبيرة . لطيف خان ولدى رجوعه الى بوشهر ، ارسل مفاتيح الحصن الى محمد تقي خان ، والذي ارسلها بدوره الى نادر . قام نادر بمكافأة محمد تقي خان وتم اضافة البحرين الى مقاطعة فارس . ادت هذه الحملة الناجحة ، الى تحقيق مشروع طموح وهو غزو عمان وانشاء سيادة فارسية بحرية على الخليج الفارسي .

في العام السابق ، في الوقت الذي كان فيه عبد الله باشا يسير الى هلاكه في باغوارد ، قام علي مراد ، وهو زعيم شاب لقبيلة جهار لنك البختيارية ، بالتمرد . فبعد هزيمته في اصفهان ، تراجع الى جبال بختياري حيث التف حوله حوالي ٢٠ الف رجل ، كان من بينهم عددا من اللور من منطقة خرم اباد وبعض من قبيلة هفت لنك البختيارية . الى حد ما ، كانت اهداف علي مراد تشبه اهداف محمد خان بلوش ، اي انه اعلن تأييده للشاه السابق طهماسب ، لكنه كان يطمح بأخذ جزء من المملكة لنفسه كجائزة نتيجة دعمه للشاه السابق . حيث خاطب مؤيديه " بعد ان نحطم الشاه نادر ، سأتوجه الى خراسان واحرر الشاه طهماسب من سجنه هناك ؛ وسوف نعيده على عرش فارس . سوف يحكم جلالته خراسان والعراق الفارسي اما انا فسأحكم همدان وفارس وكرمان " . ولقد لقى هذا الخطاب قبولا جيدا بين الناس .

وصلت اخبار هذه التطورات لنادر عندما كان في قزوين ، وسببت له ازعاجا شديدا . فاصدر اوامره الى حكام اصفهان ، شوشتر وكوه كيلويه بأن يجمعوا قواتهم ويسيروا نحو ارض البختياريين ويمنعوا علي مراد من الهرب ، بينما نادر نفسه فقد هاجم من ناحية الشمال ، على راس القوة الرئيسية . وزاد غضب نادر بعدما علم ان المتمردين استولوا على مبلغ ١٠ الاف تومان كانت قد احضرت لنادر من مقاطعة فارس ثم نجحوا بالانسحاب نحو الجبال .

بعد ان عبر الشاه خلال خوانسار ، ترك امتعته في شارباس ، وتوغل الى قلب جبال البختياريين . حصل الاشتباك بين قوات نادر والمتمردين لكن سرعان ما تم هزيمة المتمردين وهربوا الى اماكن معزولة . كان من بين الحصون الرئيسية التي استولى عليها نادر وحسب ما ذكره ميرزا مهدي حصن ليروك ؛ كان موقع ذلك الحصن على ما يبدو على ارض جبلية قرب دزفول . لشهرين كاملين بحث نادر شاه ورجاله عن علي مراد ، لكنهم لم يجدوا له اي اثر ، تعرضت قوات علي مراد لخسائر فادحة اما الناجين منهم فقد خضعوا لنادر . احدى دوريات نادر ، وبعدما توقفوا قرب بئر قريب من جوركاش ، مجاور لقلعة بختياري في بانافار ، شاهدوا امرأة تنزل من الجبل لأخذ المياه من البئر . وبعد يومين ، وعندما عادت مرة اخرى لأخذ المياه من البئر ، القي القبض عليها من قبل قائد الدورية وقاموا باستجوابها . حيث نفت بادئ الامر معرفتها بعلي مراد ، لكنها وبعدما تعرضت لتعذيب شديد ، اعترفت ان قائد التمرد يختبئ هو واسرته في كهف على جانب الجبل . وعلى الفور صعدت القوات الى الكهف واخذوا مواقعهم امام مدخل الكهف . عندما علم علي مراد انه تم اكتشاف مخبئه وانعدمت فرصة نجاته ، قتل زوجاته وبناته ودافع عن نفسه بشجاعة كبيرة . وبعدما بقي صامدا لثلاثة ايام متواصلة ، اجبر على الاستسلام بسبب نقص الطعام والمياه ، ثم تم تقييده وارسل الى نادر في شوشتر. كان الشاه غاضبا جدا وفي مزاج سيء ، فأمر بقطع اذنيه وانفه وقطع يديه ورجليه واقتلاع عينيه . بعد ان بقى علي مراد يعاني ليومين في بركة من الدماء لفظ انفاسه الاخيرة .

بعد ذلك امر نادر بمعاقبة البختياريين بنفي ١٠ الاف عائلة من جهار لنك وهفت لنك الى منطقة جم في خراسان . وبسبب اعجابه بالمهارات القتالية للبختياريين ، امر نادر بضم عدد كبير منهم الى جيشه ؛ واظهر هؤلاء شجاعة كبيرة خلال حصار قندهار .

لم ينسى اسم نادر في ارض البختياريين ؛ فتم اعادة تسمية قلعة ديز شاهي (تبعد ١٠ اميال ونصف عن دزفول) بسنكر نادري .

بعد ان اتم سحق البختياريين ، سافر نادر الى اصفهان عبر كاركونان ، والذي وصلها في ٩ جمادي الثاني ١١٤٩ هجري (١٥ اكتوبر ١٧٣٦ م) . تم استقبال نادر باحتفالات صاخبة ، وفي الليل كانت المدينة مضاءة بمصابيح لا حصر لها .

اقام نادر في قصر في حدائق هزار جريب حيث قابل هناك بعض المبعوثين من قبل السلطان ؛ وبعد بضعة ايام ، سمح لهم بالعودة الى تركيا بعد ان منحهم هدايا قيمة ؛ ويبدو ان هذا اللقاء لم يثمر عن اي نتائج مهمة ؛ غادرت السفارة التركية برئاسة مصطفى باشا اسلامبول متوجهة الى فارس في يوم ٢٣ نوفمبر ، ولم تصل اصفهان الا بعد وقت طويل حيث كان نادر وقتها متوجها نحو قندهار . بعد ذلك بدء نادر بالتحضيرات اللازمة للقيام بحملة ضد حسين سلطان حاكم قندهار .

استعادة قندهار

عندما قام نادر بطرد الغلزائيين من وسط وجنوب فارس في شتاء ١٧٢٩ – ١٧٣٠ م ، كان شغله الشاغل ومنذ ذلك الوقت هو القيام بحملة عسكرية هدفها استعادة قندهار وازالة خطر الافغان على بلاد فارس والى الابد ، حيث كان يكمن خطرهم اذا ما توحدوا وحاولوا مهاجمة فارس مرة اخرى .

غير ان الاحداث التي حصلت في اماكن اخرى اجلت من مخططات نادر . في البداية ، كانت الحرب التركية التي اندلعت سنة ١٧٣٠ م ؛ ثم تلاها حملة اخضاع العبدليين . ورغب نادر اثناء قيامه بهذه الحملة التوجه الى قندهار لاستعادتها في صيف او خريف ١٧٣٢ م ، لكن حملة طهماسب الكارثية ضد الاتراك حالت دون ذلك وكانت سببا لتوجه نادر ناحية الغرب . ومنذ ذلك الوقت والى خريف ١٧٣٦ م ، انشغل نادر بحربه ضد الاتراك ، تمرد محمد خان بلوش ، الحملة ضد اللزجيين ، الحملة التركية في ١٧٣٥ م ، مجلس مغان والتتويج ، واخيرا اخضاع البختياريين .

وبعد ان عقد الهدنة مع الاتراك واندلعت الحرب الروسية التركية ، ازيلت جميع المخاوف من اي تحرك جهة الغرب والشمال الغربي هدفه تهديد فارس ، اقلها في الوقت الراهن . تم تأديب اللزجيين ، اما البختياريين فتم اخضاعهم . في اوائل الربيع ، ارسل رضا قولي ميرزا حملة عقابية ضد حاكم بلخ و اندخود ونجح في فرض النظام على الجزء الشمالي الشرقي من خراسان ، في حين كانت هناك تدابير قد اتخذت الغرض منها إخضاع البلوش .

عندما كان نادر يخوض حملة ضد البختياريين ارسل اوامره الى حاكم اصفهان لجمع ضريبة قدرها ١٨ الف تومان كإسهام لتكاليف الحملة القادمة ضد قندهار . وفي نفس الوقت كان وكلاء الشاه مشغولين في كامبرون بجمع المؤن لتزويد القوات بها ، حيث نفذوا واجبهم وبشكل صارم الامر الذي ادى لزيادة المعاناة والبؤس لدى السكان . أضافة

لإجبارهم على توفير المؤن ، اجبر التجار والسكان ايضا على دفع مبلغ قدره ٧٢ الف روبية ، " كان مبلغا كبيرا جدا ، وعند قرب الانتهاء من جمعه ادى الى تضرر الجميع " . وفي مقاطعة كرمان تم ايضا جمع الامدادات التي ادت الى حدوث مجاعة هناك استمرت مدة ٧ ــ ٨ سنوات . وما جرى في اصفهان ، كامبرون وكرمان حصل في اماكن اخرى وبنفس درجة القساوة .

قرر نادر ان يتوجه الى قندهار عبر كرمان وسيستان . وبسبب ان معظم الاراضي التي يتعين عليه اجتيازها هي ذات طبيعة صحراوية ، فأمر نادر بإرسال كميات كبيرة من المؤن مسبقا الى نقاط الاستراحة . ومن اجل توفير النقل الضروري ، تولت السلطات الحكومية مصادرة اعداد كبيرة من الحيوانات ، بما في ذلك الدواب التابعة لشركة الهند الشرقية ؛ فبينما كانت القافلة التابعة للشركة تنقل بضائع الصوف من كرمان باتجاه كامبرون ، قام وكلاء الشاه بإيقاف القافلة وصادروا جميع الحيوانات ، والقوا بالبضائع على قارعة الطريق .

وقبل ان يغادر اصفهان ، قام نادر بمكافأة ضباطه بمعاطف شرف ومبالغ مالية وكل حسب منصبه ، ومنح مبلغ قدره ١٢ تومان للرتب والجنود مرة كمرتبات ومرة اخرى كمكافأة . وبعد ان مكث خمسة اسابيع في اصفهان ، سار نادر نحو قندهار في ١٧ رجب ١١٤٩ هجري (٢١ نوفمبر ١٧٣٦ م) ، يرافقه ٨٠ الف رجل ، كان معظمهم من الفرسان (١) ؛ تألف جيشه من اعداد كبيرة من الخراسانيين (اكراد تشاميشجازاك وجيرايلي واتراك بوغايري) ، العبدليين ، ومجموعة قوية من البختياريين . واخذ معه العديد من الجورجيين البارزين ، كرهائن وليس كمتطوعين ، من بينهم الملك تيموراز ، جيف اميلاخور و باردزيم ارستاف (بمعنى دوق) اراكوي .

في نفس الوقت واثناء مغادرة نادر لأصفهان ، توجه كل من بير محمد بيكلربيك هراة ، واسلماس خان (خان جان) نحو مكران وبلوش ستان على راس قوة مكونة من عدة الاف من الرجال ، بهدف اخضاع محبت خان والياس خان (المعروف بامتياز خان) ، وهما ابناء الراحل عبد الله

خان براهوي . وارسلت اوامر لهما تفيد بعودتهما نحو قندهار والالتحاق بالجيش الرئيسي هناك بعد النجاح بالمهمة الموكلة لهما .

وصل الشاه الى كرمان في اواخر ديسمبر وتوقف هناك لبضعة ايام ؛ ارسل نادر برسول الى سيستان يأمر فتح علي خان كاياني (المعروف بالسيستاني) ، وهو ابن المتوفى مالك محمود ، بالانضمام الى الجيش الملكي على حدود قندهار مع جلب قوات من زابلستان معه ، سار نادر عبر بم ، تمريق وقرق الى ان وصل الى سيستان ؛ حيث تم عبور الحدود بين سيستان وقندهار في ٢ شوال (٣ فبراير ١٧٣٧ م) ، ووصل الى جيرشك في ١٨ من ذلك الشهر ، بعد ان اجتاز كل من فراه ، دلهك ودلارام . كان يتواجد في جيرشك قوة غلزائية ، الا ان تلك القوة سرعان ما استسلمت وفتحت ابواب المدينة للفرس بعد سماعهم هدير القصف المدفعي لجيش نادر . في جيرشك ، ارسل نادر صهره كلب علي خان ، مع بعض القوات بهدف اخضاع القلعة ومنطقة زميندافار وبلدة بست .

بعد توقف دام لثلاثة ايام في جيرشك ، استؤنف المسير عبر شاه مقصود (مدينة صغيرة تبعد ٣٠ ميل عن قندهار) نحو نهر ارغنداب ، وعسكروا هناك على مقربة من الضفة الغربية .

بعد ان علم حسين سلطان ، عن طريق القوة الاستطلاعية التي ارسلها ، بنبأ وجود الجيش الفارسي على الجانب الاخر من ارغنداب ، بعث بالقائد العام محمد سيدال خان ، وقائد اخر يدعى يونس خان للقيام بهجوم ليلي مفاجئ ضد القوات الفارسية (٢) . كان كل قائد منهما على راس ٨ الاف رجل من الفرسان الذين اختيروا بعناية شديدة . كان الحظ السيء حليف الافغان ، فلم تفقد القوتان الاتصال والتنسيق مع بعضهما البعض بسبب الظلام الحالك وحسب ، بل ولم يحافظوا على سرية الخطة ايضا . حيث علم عبد الغني خان ، قائد العبدليين ، بشأن الهجوم الوشيك ، فارسل وحدة قوية من رجاله لصد ذلك الهجوم . قام هؤلاء العبدليين بخدعة مستفيدين من عامل الظلام ، حيث كانوا على اتصال برجال يونس خان ، و تظاهروا على انهم تابعين لقوات محمد سيدال خان ،

وتكلم العبدليين مع الغلزائيين بلغة الباشتو لتمويههم . بعد ذلك انقض العبدليين على رجال يونس خان موقعين بهم خسائر فادحة . وبعد سماع اصوات المعركة ، سارع محمد سيدال خان لتقديم العون ، لكنه لم يتمكن من استعادة السيطرة ، واستمرت خسائر الغلزائيين وبصورة كبيرة فاجبروا على الانسحاب نحو قندهار ؛ كما ومات العديد من الغلزائيين غرقا بعدما عبروا نهر ارغنداب اثناء هروبهم .

في صباح اليوم التالي عبر نادر ورجاله نهر ارغنداب متوجهين الى كوكاران ، وهي قرية تبعد ٧ اميال غرب قندهار ، ثم تقدم نحو تلال كايتول والتي تقع عليها دفاعات قندهار من الجهة الشمالية الغربية . وبالرغم من القصف المدفعي من حصن كوهي لاكا الشامخ ، في الطرف الجنوبي الغربي من التلال ، نجح الجيش الفارسي في العبور .

وفي ٩ ابريل ، عسكر الجيش الفارسي في منطقة تدعى سرخ شير ، تبعد ٢ ميل عن قندهار ، حيث امر نادر هناك ببناء مدينة كاملة ، احتوت على بازارات ، مساجد ، حمامات وقلعة ؛ وذكر عبد الكريم ، ان نادر امر كل رجل من رجاله ببناء منزل هناك . حيث تم تسمية هذه المدينة بنادر اباد .

وفي الوقت نفسه ، بدأت القوات الفارسية حصار قندهار . الامبراطور اورانجزيب واخيه دارا شيكوه ، عندما تم تكليفهما من قبل شاه جهان بالاستيلاء على قندهار في منتصف القرن السابق ، ذكرا ان تحصينات المدينة كانت قوية ومنيعة ، وذكرا ايضا انه لن يتمكن احد من كسر هذه الدفاعات الا بامتلاك مدفعية حصار ثقيلة وفعالة . حيث كانت قندهار محمية من الجهة الشمالية الغربية بتلال كايتول اما الجهات الاخرى فكانت تحيط بالمدينة جدران قوية ، مصنوعة من الطين المجفف ومقوى بقطع من الحجارة والقش ؛ هذه الجدران كانت لا تقل سماكتها عن ٣٠ قدم (٣) .

بسبب النقص في مدافع الحصار، تبنى نادر خطط حصار بغداد . حيث تم بناء حلقة من التحصينات حول قندهار ؛ ونصبت ابراج على بعد ١٠٠ ياردة بين هذه التحصينات .

وبما ان حسين سلطان كان يعلم مسبقا بنوايا نادر بشأن محاصرة قندهار ، لذلك خزن كميات كافية من المؤن ، تمكنه من الصمود طويلا بوجه الحصار. الا ان نادر كانت له افضلية عن اورانجزيب ، بسبب ان جيش نادر احتوى على عدد كبير من الرجال الاقوياء الذين كانوا يسكنون الجبال ، ومنهم رجال خراسان ، حيث كانوا اكثر قدرة على الصمود امام الظروف القاسية في فصل الشتاء من قوات اورانجزيب الهندية ؛ لذك فكر نادر بإطالة الحصار لعدة اشهر . كانت هناك مشكلة خطيرة وهي تزويد الجيش الفارسي بالغذاء ، حيث لم تستطع المناطق المجاورة لقندهار من توفير الغذاء وبصورة مستمرة . وقد سبقنا الاشارة الى المعاناة الرهيبة التي عاناها اهل كرمان من استنزاف مواردهم من اجل تجهيز الجيش ؛ وليس هذا وحسب ، ففي فبراير ١٧٣٨ م ، توجب على النساء والرجال ، وبسبب النقص في حيوانات النقل ، العمل كبدائل عن حيوانات النقل تلك فقاموا بنقل المؤن من منطقة كرمان الى قندهار ، فكان الرجل منهم يحمل ما يقارب ٩٧ رطل من الحبوب اما النساء فكانت تحمل ٤٥ رطل . كما وتم جلب المؤن من سيستان ايضا .

في مايو وصلت الى المعسكر الفارسي اخبار سيطرة الفرس على بست ، وسقطت مدينة صفا بعد فترة وجيزة . تقدم امام وردي بيك قريقلو ضد قلعة الغلزائي ، والتي سقطت هي الاخرى بعد حصار دام شهرين ، حيث تم اسر كل من محمد ، وهو احد ابناء حسين سلطان ، الجنرال محمد سيدال خان وعددا من القادة الغلزائيين الاخرين ، ثم ارسلوا بعد ذلك الى نادر اباد . امر نادر بتسميل عيني محمد سيدال خان وعلى الفور ، لان نادر اعتبره رجلا خطرا لا يمكن التهاون معه .

في ١١ محرم ١١٥٠ هجري (١١ مايو ١٧٣٧ م) ، بعث نادر بمحمد خان تركمان ، الجنرال الصفوي السابق ، بمهمة الى محمد شاه . وكان فحوى تلك المهمة ، انه وبعد انتصار الفرس على بعض الغلزائيين ،

على بعد بضعة فراسخ من قلعة غلزائي ، فر الناجون منهم الى الحدود الهندية ، وان سلطان الهند وبالرغم من الطلبات الفارسية المتكررة بشأن غلق حدود اراضيه بوجه الافغان الفارين ، الا انه لم يستجب لتلك الطلبات . فتم توجيه محمد خان تركمان بأن لا يبقى في البلاط المغولي لأكثر من ٤٠ يوما كحد اقصى ، الا انه وكما سيتبين لاحقا بقي هناك لأكثر من عام .

يصف محمد كاظم حملة بير محمد واسلماس خان في بلوش ستان بشيء من التفصيل . سار هذان القائدان عن طريق بندر عباس وساحل مكران الى بلوش ستان ، فنجحا بالانتصار على قوات محبت خان . ثم توجه القائدان الى شال ، وبعد ذلك سارا نحو كلات ؛ وخلال هذه المسيرة عانى الرجال من العطش الشديد ، لكنهم ومع ذلك هزموا قوات محبت خان للمرة الثانية . ثم هرب الخان الى قلعته في موستانك ، وبعد ان تشاور مع اخيه الياس ، تخليا عن فكرة المقاومة ؛ وتوجه الاخوان لنادر في قندهار حيث اعلنا خضوعهما للشاه . استقبلهما نادر بلطف كبير ، وادخل محبت خان في خدمته ، وعينه حاكما على بلوش ستان .

ان خضوع هذان القائدان لم تنهي مقاومة قبائل البلوش ، بل ان بير محمد واسلماس خان خاضا بعد ذلك قتالا مريرا . وبعد حصار طويل ، نجحا بالاستيلاء على قلعة جالق ، والتي يبدو انها قرب شال . دب بعد ذلك الخلاف بين بير محمد واسلماس خان ، بسبب رغبة كل واحد منهما بأن يصبح هو السيد على الاخر . استغل اعداء بير محمد هذا الخلاف فابلغوا نادر ان بير محمد كان يخطط للتمرد ضده ، مما جعل نادر يأمر بقطع رأسه . وبعدما اتضح لاحقا ان خبر تمرد بير محمد كان لا اساس له من الصحة ، شعر نادر بعدها بندم شديد .

بعد ان اعدم بير محمد ، تم اعفاء اسلماس خان من منصبه لصالح صهر نادر ، فتح علي خان ، والذي تمكن من اخضاع كامل بلوش ستان خلال ثلاثة اشهر تقريبا .

وخلال ذلك الوقت كانت القوات الفارسية التي انفصلت عن نادر في جيرشك تسعى لإخضاع الافغان في زميندافار ؛ حيث قاوم الافغان هناك بشراسة كبيرة الا انهم بعد ذلك هُزموا وخضعوا للفرس بنهاية يناير ١٧٣٨ م (٤) .

في بداية ١٧٣٨ م ، كان الجزء الاكبر من بلوش ستان ومناطق زميندافار وقلعة غلزائي قد خضعت جميعها لنادر ، مما ادى الى تعزيز القوات المحاصرة لقندهار بواسطة القوات التي انهت عملها في تلك المناطق سابقة الذكر . ولم يقم نادر بأي محاولة لشق طريقه عبر الدفاعات الهائلة لقندهار . لكنه قام بتدابير اكثر قوة وفاعلية .

في ٩ شوال ١١٥٠ هجري (٣٠ يناير ١٧٣٨ م) ، هاجمت قوات نادر دفاعات قندهار من اماكن مختلفة ، حيث لاقت هذه الهجمات بعضا من النجاح . وتم من خلالها الاستيلاء على عدد من المعاقل والابراج الخارجية على السهل ؛ وفي نفس الوقت قامت قوة اخرى بالتسلق من الطرف الشمالي الشرقي من تلال كايتول فنجحت بالاستيلاء على جهل زينه حيث سيطرت تلك القوة هناك على برج حجري قوي . قام الفرس بعد ذلك وبصعوبة كبيرة ، بنقل المدافع الى ذلك الموقع المطل على الحصن وباقي الابراج الاخرى ، وقصفوا عددا كبيرا من التحصينات ، بما في ذلك برج قوي للغاية يقع الى الجنوب الغربي ومعروف باسم برج دادا .

وبالرغم من ان نيران المدفعية الفارسية قد سببت اضرار كبيرة جدا في التحصينات ، الا ان المدافعين عملوا باستمرار لإصلاح تلك الاضرار وبحماسة كبيرة ، وعلى ما يبدو فأن تلك التحصينات بقت محافظة على مناعتها .

طالبت فرقة من البختياريين مرارا من نادر السماح لهم بقيادة الهجوم ، فسمح لهم نادر بعد الحاح شديد من قبلهم ، وفي ١٣ مارس ، تطوع ٩٠٠ شخص ، ثلثهم من البختياريين والبقية من العبدليين واكراد تشاميشجازاك ، للقيام بهجوم ضد الافغان . الا ان حسين سلطان استلم

معلومات مسبقة اخبرته عن خطة الهجوم تلك ، فقام بتركيز رجاله في المكان المستهدف ؛ وكانت النتيجة هزيمة المتطوعين مع خسائر قدرت بحوالي ٢٠٠ جريح وقتيل (٥) .

وحسب محمد كاظم . فقد ذكر ان رجلا يدعى داد (او يسمى بداياد) خان ، جاء الى احد قادة نادر وعرض عليه الدخول الى قندهار لجمع المعلومات عن الدفاعات هناك . واكد انه لن يجد صعوبة في الوصول الى قائد الغلزائيين والحصول على معلومات قيمة ، بسبب خدمته السابقة تحت امرة حسين سلطان حيث كان ذلك الوقت من اشد الساخطين على نادر واساليبه . تم الموافقة على عرض الخان ، وانطلق في مهمته . وقد احسن حسين سلطان وفادته ونجح بالحصول على جميع المعلومات المطلوبة . واخبر حاكم قندهار انه متوجه لاغتيال نادر . وبعد نجاح مهمته ووصوله الى الخطوط الفارسية ذكر لنادر انه كانت هناك كميات وفيرة من المؤن تكفيهم لثلاثة او اربع سنوات قادمة . وذكر ان الجدران كانت قوية جدا ، الا انه وجد وسيلة وحيدة للدخول وهي عن طريق شن هجوم حاسم على برج دادا يوم الجمعة ؛ لان معظم المدافعين في ذلك اليوم كانوا سيؤدون الصلاة في المساجد تاركين خلفهم قوة صغيرة فقط .

قرر نادر مهاجمة برج دادا وبقوة كبيرة في يوم الجمعة ٢ ذي الحجة (٢٣ مارس ١٧٣٨ م) . وتم الاعداد جيدا لهذا الهجوم ، حيث اختير الرجال بعناية من بين مجموعة كبيرة من المتطوعين . ووعد نادر المهاجمين ، انه في حالة نجاحهم ، سيتم منحهم مبلغ قدره ١٠٠٠ نادري (٦) لكل واحد منهم كما وأن غنائم الحصن ستكون من نصيبهم ايضا ، واضاف نادر " اما اذا ما حاول اي احد منكم التخاذل والهرب من المعركة فاني امرت النسقجيين بقطع راس المتخاذلين وسيكون جسده طعاما للكلاب والذباب " . احد المتطوعين البختياريين كان اسمه ملا ادينه مصطفى . فأراد نادر منعه من المشاركة في الغارة معللا بخطورة ذلك على حياته ، حيث قال له نادر مندهشا " انت ملا وكاتب والقتال ليس من واجبك " ، فرد الملا " ان روحي فداك ، ان شاء الله سترى شجاعتي " .

في ليلة الجمعة اخذ المقاتلين مواقعهم لبدء الهجوم ، وفي صباح اليوم التالي اعطيت اشارة الهجوم من فوق جهل زينه . وعلى الفور تقدم البختياريون والمتطوعون الاخرون بسرعة كبيرة حاملين معهم سلالم استخدمت لتسلق برج دادا ؛ كان اول الواصلين الى قمة البرج هو الملا ادينه . وقد تعرضت قوات نادر لخسائر كبيرة ، الا انه وبسبب قلة اعداد المدافعين الغلزائيين ، لوجود اغلبهم في المساجد ، نجح الفرس بالاستيلاء على البرج . وعندما علم حسين سلطان بما حدث ، بذل جهود يائسة لدفع الفرس وصدهم ، لكن جميع محاولاته بائت بالفشل . بدء برج بعد اخر بالسقوط ، وتراجع حسين سلطان وحرسه الشخصي الى قلعة قايتول ، حيث تم محاصرتهم هناك .

امر نادر بقصف القلعة بواسطة المدفعية الثقيلة ، وفي اليوم التالي ، قرر حسين سلطان الاستسلام ؛ فقام بإرسال شقيقته زينب يرافقها عدد من القادة الغلزائيين البارزين ، لطلب الرحمة . وافق نادر بالإبقاء على حياة كل من حسين سلطان وعائلته واتباعه ، لكنه امر بإرسالهم جميعا الى مازندران .

وجد نادر في سجن قندهار عدوه السابق ذو الفقار خان ، قائد العبدليين السابق ، واخيه الصغير احمد (الذي كان بعمر ١٤ ــ ١٦ سنة) . فقبل بضع سنوات ، هرب الاخوين من هرات الى قندهار ، لكن حسين سلطان زج بهما في السجن . تعامل نادر مع الاخوين بلطف كبير ، ومنحهما هبة من خزينته الخاصة ، وارسلهما الى مازندران .

وكما وعد نادر ، فقد كافأ القوات المهاجمة من خلال منحهم غنائم المدينة ، كما واعطى الملا ادينه ، كيسا يحوي مبلغا كبيرا من الذهب .

امر نادر بنقل سكان قندهار الى نادر اباد ، والتي جعلها عاصمة مقاطعة قندهار ، ثم اعطى اوامر بمساواة حصن الغلزائي بالأرض ؛ وبسبب قوة ومناعة هذه التحصينات نفذت الاوامر جزئيا . تم تعيين عبد الغني خان حاكما على المقاطعة ، وعين زعماء العبدليين الاخرين حكاما على جيرشك ، بست وزميندافار. وتم جلب رجال قبائل العبدليين من

خراسان ونيشابور الى قندهار (حيث كانوا سابقا يعيشون هناك) ومنحت لهم اراض كانت تابعة لهوتاكي غلزائي (العشيرة التي ينتمي لها حسين سلطان) ، في حين تم نقل هوتاكي غلزائي الى الاراضي التي كان العبدليون يقيمون عليها في خراسان . وبدل من ارسالهم الى خراسان تم تسجيل بضع الاف من الشباب الغلزائي ضمن حرس نادر الشخصي (٧) .

مع الاستيلاء على قندهار ، لم يمحو نادر عار الهزيمة المذلة للفرس على يد محمود الغلزائي قبل ستة عشر عاما وحسب ، لكنه انجز وعده بإعادة جميع الاراضي الفارسية الضائعة خلال الفترة الكارثية لحكم شاه سلطان حسين . كان نادر منقذا لبلاد فارس ، وكان على بعد خطوات قليلة لينال لقب فاتح العالم . وبسبب نجاحاته العسكرية المذهلة سرى اعتقاد ان عباءة الاسكندر او تيمور قد سقطت عليه .

مكث نادر شهرين في نادر اباد بعد سقوط قندهار ؛ خلال هذه الفترة كان مشغولا في اكمال كافة الاستعدادات للتوجه الى الهند .

استجابة لدعوة الشاه ، سار الى نادر اباد في بداية فبراير ١٧٣٨ م ، مصطفى باشا السفير التركي ومرافقيه ، الذين وصلوا الى اصفهان في نهاية يوليو ١٧٣٧ م ، ورافقهم عبد الباقي خان اثناء مسيرتهم تلك الى نادر اباد ؛ حيث وصل الوفد في ١٩ مايو . وبعد ان استقبلهم نادر شاه ، قام مصطفى باشا بتسليم رسالة السلطان له . وفي الرسالة ، قدم السلطان اعذاره بعدم الموافقة على اقتراحات نادر الدينية (٨) ؛ وذكر السلطان ان ارسال الحجاج الفرس الى مكة عبر سوريا من شأنه ان يؤدي الى حدوث مشاكل عديدة . واختتم رسالته بأن يتفهم نادر اعذاره برفض المقترحات الدينية . واقترح عليه ان يسلك الحجاج الفرس طريق النجف اثناء توجههم الى مكة ؛ وبدوره سيقوم الجانب التركي بتأمين هذا الطريق وتوفير الحماية ووسائل الراحة للحجاج الفرس .

نادر ابلغ مصطفى باشا ومستشاريه ان الاعتراف بالمذهب الجعفري وتخصيص ركن خامس في الكعبة هو شرطين اساسيين في المعاهدة ،

وان الامر يتطلب مزيدا من التوضيح من الجانب التركي . وعليه امر بتعيين علي مردان خان شاملو ، المبعوث السابق في البلاط المغولي ، سفيرا لدى تركيا ، وامره بمرافقة مصطفى باشا الى اسلامبول ، ومناقشة نقاط الخلاف بصورة مفصلة وكاملة .

كانت دبلوماسية نادر محط اعجاب . فلم يرفض المعاهدة المرسلة من السلطان رسميا ، ولم يخضع لإملاءات الاتراك . بل ماطل ووظف مسألة الجدل الديني وجعلها تخدم مصالحه ، لان هدفه هذه المرة كان الهند .

غزو الهند : من قندهار الى كارنال

عندما اعتلى نادر عرش فارس في ربيع ١٧٣٦ م ، كان محمد شاه امبراطورا على الهند منذ ١٧ سنة . ومع مرور الوقت ، عانت الدولة المغولية في الهند ، وكما هو حال الدولة الصفوية ، من التدهور في اوضاعها ، وبالمقارنة ، لم يكن محمد شاه بكفاءة بابور او اكبر وكذلك الحال بسلطان حسين فلم يكن بكفاءة اسماعيل الاول او عباس الاول . بدأت مرحلة انحلال امبراطورية مغول الهند بعد وفاة اورانجزيب مباشرة (١٦٥٨ – ١٧٠٧ م) ، فخلال الاثني عشر سنة التي تلت وفاته ظهرت عدة اسباب عجلت من اضعاف الامبراطورية كان ابرزها ، اولا ، اندلاع ثلاثة حروب كان الهدف منها الاستيلاء على العرش ، ثانيا ، انه وفي اثناء فترة حكم بهادور شاه (١٧٠٧ – ١٧١٢ م) ، تعاظم نفوذ وقوى رجال البلاط المغولي من التورانيين ، الهندوستانيين والفرس ، كما وتنامى الصراع في ما بينهم . في ١٧١٩ م ، ارتقى روشن اختر ، حفيد بهادور شاه ، عرش الهند ، واطلق عليه اسم محمد شاه . وخلال التسعة والعشرون عاما التي قضاها في السلطة " شاهد تفكك دولته ، وكان بلاطه مسرحا للتآمر والمكائد بين رجالات الدولة " ، كان من المؤسف للهند ، انه في الوقت الذي قرر فيه نادر غزو ذلك البلد ، كان يحكمها امبراطور كمحمد شاه ، وبلاط انقسم ضد نفسه (١) .

وكما ذكرنا سابقا فأن البلاط الفارسي قد طالب الامبراطور مرارا وتكرارا بغلق حدود اراضيه امام الافغان الهاربين ، فوعد الامبراطور بأنه سيتخذ التدابير اللازمة بشأن غلق الحدود . لكنه في حقيقة الامر لم يفعل شيئا ، حيث ثبت ذلك في مرحلة مبكرة من الحملة على قندهار . غضب نادر كثيرا بسبب عدم استجابة الامبراطور لمطالبه تلك ، فأرسل محمد خان تركمان الى دلهي لغرض تقديم شكوى بشأن فشل القوات المغولية في غلق حدودها بوجه الافغان ؛ وتم التشديد على محمد خان بأن لا يبقى في البلاط المغولي مدة اقصاها ٤٠ يوما . وفي الوقت المقرر ، سلم محمد خان تركمان رسالة نادر الى البلاط المغولي ، كان الامبراطور ووزرائه في حيرة من امرهم ؛ فبدلا من الرد مباشرة على

رسالة نادر ، الا انهم ماطلوا حتى يتبين لهم نتيجة حصار قندهار . وبالرغم من احتجاج محمد خان ، الا انهم رفضوا السماح له بالعودة . فانقضت سنة كاملة ، وسقطت قندهار بيد نادر ، ولم يصل اي رد لا من دلهي ولا من محمد خان ، فارسل نادر اوامر صارمة لمحمد خان بالعودة فورا كما وامره بجلب اي رد من الامبراطور (٢) .

وبدون انتظار رد الامبراطور ، سار نادر من نادر اباد متوجها الى غزنه في ٢١ مايو ١٧٣٨ م ، وعبر الحدود الهندية ، من او بالقرب من موكور . وهنا بدأت عملية غزو الهند .

علل نادر مسألة عبور الحدود الهندية بأن هدفها كان معاقبة الافغان الهاربين ، وانه لايزال يكن الاحترام والصداقة للإمبراطور . غير ان رغبته في معاقبة الافغان الهاربين كانت حجة ، لأنه عزم مسبقا على غزو الهند وكما سيتبين ادناه .

تسببت الحملات المستمرة في السنوات القليلة الماضية بالفقر والمجاعة لبلاد فارس فكانت هذه المملكة على شفير الافلاس ، كما انه كان من الصعب على نادر ان لم يكن من المستحيل عليه ، ان يجد داخل حدود مملكته عددا كافيا من المجندين ليحلوا محل القتلى والمصابين من الحملات السابقة . وادرك انه في ظل هذه الظروف ، فلن يتمكن من الزحف نحو البسفور لسحق الاتراك وتحقيق حلمه بدخول اسلامبول فاتحا . وبما ان بلاد فارس قد عجزت عن توفير احتياجاته ، فتوجب عليه البحث عن مكان اخر ؛ يوفر له الرجال لغرض تجنيدهم في جيشه فوجد ضالته في الاوزبك والافغان المعروفين ببسالتهم في الحروب ، الا انه كان من الاستحالة بقاء هؤلاء المرتزقة في جيشه دون منحهم المال . فكان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو غزو الهند . وعلى ما يبدو فأن السفراء الذين ارسلهم نادر في مناسبات عديدة الى الهند ، كانوا قد اخبروه عند عودتهم عن حجم الثروات والكنوز الهائلة هناك ، وعن الضعف المتزايد في امبراطورية مغول الهند . فباستحواذه على غنائم الهند ، سيتمكن من تجنيد المزيد من الافغان والاوزبك وسيتم دفع مستحقاتهم كاملة ، وبالتالي سيتمكن من تجديد الحرب على الاتراك ؛ كما

انه وبغزوه للبنجاب ، سيتشبه بالإسكندر العظيم ، محمود الغزنوي والامير تيمور ، وبالتالي سينال لقب فاتح العالم .

وكان هنالك سبب اخر لغزو الهند ، انه ووفقا لعدد من المصادر المعاصرة للمؤرخين الهنود (٣) والاوربيين (٤) ، فان نادر دخل الهند بناء على دعوة موجهة من قبل الداهية نظام الملك ، الذي شغل منصب نائب الملك في الدكن ؛ كما وتم التأكيد على ان سعدات خان ، الذي شغل منصب سوبيدار (حاكم) اوده ، كان مسؤولا ، وبالاشتراك مع نظام الملك ، على اغراء نادر لغزو الهند . ومن المحتمل ، بل ومن المؤكد ، ان يكون احدهما او كلاهما مذنبين بالخيانة . جين قليج خان المعروف بنظام الملك ، كان اصله من اواسط اسيا ، اما سعدات خان فهو فارسي المولد ؛ وبالتالي لم يكن لديهما اي شعور عميق بالولاء للدولة المغولية . من ناحية اخرى ، لم يتم التأكد من صحة التهمة الموجهة ضدهما الى الان ؛ حيث ان الطريقة الوحيدة لإثبات جريمة الخيانة تلك هي من خلال الوصول الى الرسائل المزعومة التي تم تبادلها .

ويرجح هانوي " ان نادر لم يكن بحاجة لهذه الوسائل (اي مساعدة نظام الملك له) لكي ينفذ مخططاته الطموحة التي لا تعرف الحدود " .

بعد عبور الحدود الهندية ، توقف الجيش الفارسي بضع ايام في قره باغ ، ٣٧ ميل جنوب غرب غزنه . وبعدما علم حاكم غزنه بوصول الجيش الفارسي الى قره باغ ، تخلى عن منصبه وهرب الى كابل ؛ فجاء العلماء ، القضاة والاعيان الى قره باغ ، وخضع جميعهم لنادر .

دخل نادر غزنه في ٢٢ صفر (١١ يونيو) ، ومن هناك توجه نحو كابل . وبعد مغادرته لغزنه مباشرة ، بعث نادر برسالة الى كوتوال كابل جاء فيها " نحن لا نستهدف بزحفنا هذا مملكة محمد شاه ، لكن هذه المناطق اصبحت تعج بالأفغان الهاربين ، ونحن اتينا لسحق هؤلاء . فلا تقلقوا على انفسكم ، ولكن عليكم التعهد بالالتزام بكرم الضيافة " .

ناصر خان ، سوبيدار كابل وبيشاور ، القى على عاتقه مهمة صد الغزاة ، حيث ناشد دلهي مرارا لغرض منحه المال اللازم توزيعه على افراد

قواته . وذكر اناند رام رسالة ناصر خان الى دلهي " طالبهم بأن يرسلوا له راتب سنة واحدة من اصل خمس سنوات متأخرة حتى يتمكن من توزيع تلك الاموال على أفراد قواته لرفع الروح المعنوية لديهم حتى يتمكنوا من صد قوات نادر وحماية كابل من الغزو الفارسي " .

قوبلت مناشدة ناصر خان بالرفض ، وترك دون دعم . ووفقا للمؤرخ غلام حسين ، فان خان دوران ، امير امراء جيش مغول الهند ، هو المسؤول الاول عن اهمال دفاعات مقاطعة كابل ؛ فلو قام بواجبه في تحصين الدفاعات وتقويتها ، فلن يرغب نادر بالمخاطرة والقدوم الى دلهي ، او على الاقل ، كان سيعرقل من زحف نادر نحو دلهي ، وبالتالي سيصل جيشه الى هناك وهو منهك القوى .

عندما وصل جيش نادر الى كابل ، خرج وفد يتكون من اعيان المدينة ، ليعلنوا خضوعهم لنادر . لكن شارزا خان ، قائد القلعة ، قرر المقاومة ، وبقى صامدا حتى نهاية يونيو .

في ١٤ يوليو ، ارسل نادر مبعوثا يحمل رسالة مطولة الى محمد شاه حيث شكى فيها نادر من سلوك ملك الهند ، وذكر فيها انه جاء الى كابل لغرض معاقبة الافغان ؛ لكن سكان كابل قاوموه ، فتوجب عليه معاقبتهم . وفي نهاية الرسالة اكد نادر على حسن نيته وصداقته لملك الهند . غادر المبعوث الى دلهي بصحبة عدد من اعيان كابل ؛ وعند وصولهم الى جلال اباد ، اوقفهم الحاكم هناك وقتل المبعوث ؛ اما الاعيان فتم ارسالهم الى بيشاور (٥) .

وبسبب ندرة المؤن في كابل ، توجه نادر بجيشه لنحو ٤٠ ميلا باتجاه الشمال الى منطقة خصبة من جاريكار ، في كوهستان ، حيث امتازت تلك المنطقة بوفرة الغذاء والاعلاف . بعد توقف دام ٢٢ يوما هناك ، غادر الجيش الى جاندماك في ٥ من سبتمبر ؛ وللوصول الى ذلك المكان ، كان يتعين على نادر الهجوم وبقوة على موقع جبلي تواجد فوقه عدد من رجال القبائل المحلية (٦) . كما وارسل نادر حملة عقابية ضد جلال اباد ، هدفها الانتقام من قتلة المبعوث الفارسي .

تقدم نادر وقواته الى بهار سفلى ؛ والتي تبعد بضع اميال عن جلال اباد ، وهناك انضم رضا قولي الى نادر في ٧ من نوفمبر ، حيث استجاب لاستدعاء والده ، فسار من بلخ عبر قندوز (بدخشان) .

في العام السابق ١٧٣٧ م ، نفذ الامير الشاب اوامر والده بإخضاع حاكم بلخ وحاكم اندخود المتمردين ؛ ثم قام بعد ذلك وبدون اوامر من نادر ، بعبور نهر اوكسوس ، وبعد ان عاقب بعض من القبائل المتواجدة هناك ، سار بجرأة نحو بخارى وحاصر مدينة قرشي وقلعة شولوك (شولوق) . سار ابو الفيض خان حاكم بخارى الضعيف ، وساعده بذلك العديد من الاوزبك ورجال القبائل من وسط اسيا ، لنجدة قرشي ، لكنهم هزموا على يد الجيش الفارسي . حيث نجحت قوات رضا قولي في الاستيلاء على قلعة شولوك وبينما كانت القوات الاخرى تحاصر قرشي وصلت الاوامر من نادر برفع الحصار عن قرشي والعودة الى بلخ . وفي نفس الوقت ارسل نادر برسالة الى ابو الفيض خان يؤكد له فيها احترامه لسلطة الخان على بخارى وانه امر ابنه بالكف عن محاربته . اطاع رضا قولي اوامر والده وانسحب الى بلخ ، حيث بقى هناك الى ان تم استدعاءه الى بهار سفلى وكان استدعاءه من اجل التشاور بخصوص دفاعات خراسان وتقويتها لأجل صد البارس حاكم خوارزم اذا ما فكر بمهاجمة خراسان . استلم نادر على ما يبدو اولى اخبار تهديدات البارس عندما كان في كابل ، حيث عزم نادر على غزو خوارزم بعد عودته من الهند مباشرة .

وبعد ان استعرض نادر القوات التي جلبها معه رضا قولي من بلخ ، عين الامير الشاب بمنصب نائب الملك على بلاد فارس " ومنحه صلاحية عزل وتنصيب الحكام وغيرهم من رجالات الدولة " . وبعد عدة ايام وضع الجيك على راس ابنه الثاني نصر الله وامر نادر ابناءه بوضع الجيك على الجهة اليمنى (طريقة تشير الى عادة الملوك) ، بدلا من الجهة اليسرى . في ٣ من شعبان (١٧ نوفمبر ١٧٣٨ م) ، سمح نادر لولده رضا قولي بالمغادرة الى بلاد فارس لتولي مهام منصبه . وفي اليوم التالي تقدم نادر وقواته الى جلال اباد ، وعسكروا فيها ؛ الا ان المؤن كانت نادرة هناك . ولدى مغادرته جلال اباد ، ارسل نادر

حرسه المتقدم والبالغ عددهم ١٢ الف رجل قوي الى الامام ، وامرهم بالحفاظ على مسافة ثابته من القوة الرئيسية .

في هذه الاثناء نجح ناصر خان حاكم كابل وبجهود ذاتية ، من جمع قوة قوامها ٢٠ الف رجل افغاني من بيشاور ومنطقة خيبر حيث تمركزوا في ممر خيبر من اجل صد التقدم الفارسي .

اخبر الجواسيس نادر عن وجود الاعداء قرب الطرف الشرقي لممر خيبر ، فقرر الالتفاف على العدو ومهاجمتهم من مكان يصعب توقعه . وبعد ان حصل على خدمات دليل موثوق به ، ترك نادر قوته الرئيسية وامتعته في قرية باريكاب ، تبعد ٢٠ ميلا شرق جلال اباد ، وقاد ٣٠ الف فارس ، نحو قرية صغيرة تسمى سياه تشوب .

لم يذكر المؤرخون المعاصرون اي موقع جغرافي عن مسيرة نادر تلك ، لكن وعلى ما يبدو ان نادر ورجاله تحركوا من سياه تشوب في الاتجاه الشرقي والجنوبي الشرقي نحو ممر تساتسوبي . ذكر ايراكل من كاخيتي ، الذي كان يرافق نادر مع عدد من الجورجيون الى حملة الهند ، " ان نادر تحرك صباحا فتقدم ٤ فراسخ قبل ان يتوقف في المساء ، ربما في مكان ما قرب الصين ، يبعد ٤ اميال ونصف عن ممر تساتسوبي . ثم تحرك الشاه مجددا وتحت ضوء القمر ، الى ان دخل في ممر تساتسوبي حيث كان البرد شديدا جدا . ونظرا لضيق الممر ووعورة الطريق ، كان هناك قلق شديد ، واستغرقت القوات خمس ساعات لعبور ذلك الممر الذي كان طوله نصف فرسخ تقريبا " .

واصل نادر مسيرته في وادي بازار حيث توجب عليه المرور في او قرب قرية جوره ، تبعد ١٢ ميل عن ممر تساتسوبي ، من جوره اتبع اتجاه شرق الوادي ثم الى الشمال الشرقي حتى وصل على بعد بضع اميال من جمرود ؛ ويبدو انه دخل ممر خيبر اما من نهايته الشرقية او على بعد ١ – ٢ ميل من الغرب ، من خلال تسلق التلال المتداخلة بينه وبين طريق جوره – جمرود . وأي كان ما فعلوه فنادر ورجاله ، وبالرغم من الارهاق الشديد الذي تعرضوا له من هذه المسيرة التي

قدرت ب ٤٨ ميل ، هاجموا موقع ناصر خان وبشراسة ، وبعد ان تكبدت القوات الهندية – الافغانية خسائر ثقيلة ، هرب الناجين منهم الى جمرود وبيشاور ، وتم اسر ناصر خان وعددا من القادة الاخرين والكثير من المقاتلين .

واستؤنف المسير نحو بيشاور بعد ثلاثة ايام من المعركة ، وفي ذلك الوقت انضم الجيش الرئيسي والامتعة وسلاح المدفعية الى نادر عبر ممر خيبر . وبعد ان علم سكان بيشاور بأخبار هزيمة جيش ناصر خان واسره ، تملكهم رعب شديد فقرروا الخضوع وعدم مقاومة قوات نادر .

بقى نادر في بيشاور قرابة الاربعة اسابيع ؛ وعند وجوده هناك ، استلم خبرا محزنا مفاده موت اخيه ابراهيم خان في كاخ ، في شيروان ، على يد لزجيُ جار وتالا .

وقبل ان يواصل طريقه ، ارسل نادر قوة قوية لتدمير الاراضي بين بيشاور ونهر السند وامر ببناء جسر من القوارب فوق ذلك النهر في اتك . ولدى علمه باكتمال بناء الجسر ، غادر نادر بيشاور في ٢٥ رمضان (٦ يناير ١٧٣٩ م) ، ووصل الى الضفة الاخرى من نهر السند هو و كامل قواته في ٤ شوال (١٥ يناير) . من هذا الموقع ، توجه الجيش الفارسي الى وزير اباد ، وعبر نهر جيلوم (كان يشبه انهار البنجاب الاخرى لكن منسوبه كان منخفضا ذلك الموسم) بدون صعوبة تذكر .

بالقرب من قلعة صغيرة في كونجا مزرا ، التي تقع على بعد ١٢ ميل من وزير اباد ، اعترض التقدم الفارسي هناك قوة مؤلفة من ٥ – ٦ الاف رجل من قوات لاهور ، بقيادة القائد قلندر خان ، لكن الهنود تراجعوا الى الحصن ، حيث نجح الجيش الفارسي بالاستيلاء على ذلك الحصن ؛ وتمكنوا من قتل قلندر خان والعديد من رجاله .

استؤنف التقدم الفارسي ، وتم عبور تشيناب بأمان . ثم زحف الجيش نحو وزير اباد ونجحوا باحتلالها ونهبها وكذلك كان الحال في يمين اباد (امين اباد) كما ولاقت اماكن اخرى كانت على خط سير الجيش الفارسي نفس المصير ايضا . كان الكثير من سكان البنجاب في حالة

يرثى لها ؛ ليس لانهم عانوا كثيرا من القوات الفارسية الغازية وحسب ، بل واصبحوا ضحية للصوص وقطاع الطرق . اما بعض السكان الذين هربوا باتجاه التلال طلبا للسلامة فتم سلبهم على يد السيخ المتواجدين هناك .

من يمين اباد سار نادر نحو ديغ نالا ، والذي نجح بعبوره بواسطة جسر شاه دولة . علم نادر هناك ان زكريا خان ، حاكم لاهور ، قام بوضع تحصينات قوية على ضفاف نهر رافي الى الشمال من المدينة ، مباشرة على خط سير نادر نحو لاهور . وبدلا من ان يتوجه مباشرة نحو لاهور ، قرر نادر الانعطاف شرقا ، ليدور حول التحصينات الهندية على نهر رافي ، ويهاجم من اتجاه غير متوقع . في مولكبور (او مباركبور) شاهدت القوات الفارسية تقدم قوة هندية قوية بقيادة زميندار (لقب بمعنى حاكم) دينا ناغار حيث كانوا في طريقهم لمساعدة زكريا خان . فهجم الفرس وأوقعوا بالقوة الهندية خسائر فادحة ، لكن عددا من هؤلاء الهنود نجحوا بالفرار وتمكنوا من الوصول الى لاهور . عبر الجيش الفارسي نهر رافي بالقرب من لاكوديهر . وبعد فترة وجيزة ، بدأت المعركة ، كانت قوات زكريا خان ، وحسب الشيخ حزين ، تتألف من ١٤ ــ ١٥ الف فارس وعددا من الميليشيات (٧) . استطاع الابن الاكبر لزكريا خان ، الذي يدعى يحيى خان ، من اجتياز الخطوط الفارسية ، واسرع نحو دلهي لمقابلة الامبراطور واعلامه بالوضع هناك . ويقال انه في هذا الاقتتال برز محارب هندي كبير في السن يدعى ميرزا عزيز بيك ، حيث اثبت كفاءته عن اقرانه بسبب شجاعته وجرأته . وفي اليوم التالي المصادف ٢٢ يناير ، استؤنفت المعركة مرة اخرى ، لكن زكريا خان ، وبسبب النقص في اعداد قواته وعدم مجيء الدعم له من قبل جنرالات الامبراطور ، ادرك عدم تمكنه من الصمود والمقاومة لفترة طويلة ، فطلب الرحمة . وافق نادر على استسلامه ، وامر عبد الباقي خان ، في ٢٣ يناير ، بمقابلة زكريا خان وجلبه له . ولدى وصول حاكم لاهور ، عامله نادر باحترام كبير . وبعد يومين حصل لقاء اخر بين نادر وزكريا خان ؛ وفي هذا اللقاء قدم زكريا خان لنادر إسهاما قدره ٢٠ لاك روبية

على هيئة ذهب ، عدد من الافيال و هدايا اخرى . وبسبب خضوع زكريا خان ودفعه للفدية ، حافظ على لاهور من النهب .

لمدة اثني عشر يوما ظل نادر في لاهور ، حيث تصرف هناك كما لو انه سيد الهند الفعلي . فسمح لزكريا خان بالحفاظ على منصبه كحاكم على لاهور ، واعطى اوامر بإعادة فخر الدولة الى منصبه السابق كحاكم على كشمير ، حيث نجح المتمردون الساخطون عليه في وقت سابق بعزله من منصبه وطردوه الى خارج كشمير ، فكان يعيش في فقر وبؤس في لاهور . كما امر نادر بتعيين خصمه السابق ناصر خان ، سوبيدار على كابل وبيشاور .

عندما تواجد نادر في لاهور وصلت اليه اخبار مفادها ان الامبراطور جهز جيشا ضخما لصد تقدم الجيش الفارسي . فبعث نادر برسالة الى الامبراطور ، اكد له فيها على مشاعر الصداقة والود التي كان يكنها للإمبراطور ؛ كما واكد ان الغرض من حملته كان لمعاقبة الافغان الذين سببوا الضرر للهند اكثر مما سببوه لفارس نفسها . وكرر في رسالته على مسألة معاملة الامبراطور لمبعوثيه ، و في الختام حذر محمد شاه ، من معارضة الجيش الهندي لزحفه ، واخبره انهم اذا ما فعلوا فسيصب جام غضبه عليهم وبلا رحمة ؛ اما اذا خضعوا له فسيعفو عنهم .

غادر نادر لاهور في ٢٦ شوال (٦ فبراير ١٧٣٩ م) ، وسار متوجها الى سرهند ، حيث وصلها بعد عشرة ايام ، وعلم نادر خلال مسيرته تلك ان محمد شاه وصل الى كارنال بجيش قوامه ٣٠٠ الف رجل ، ٢٠٠٠ فيل واعداد كبيرة جدا من المدافع . ووفقا لأشوب ، فان نادر اتخذ تدابير فعالة قبل مغادرته لاهور ، حيث منع الجواسيس من مغادرة تلك المدينة نحو المعسكر الامبراطوري ، بهدف إعلام الامبراطور عن تحركات الجيش الفارسي .

اصبح من الضروري وصف الاحداث التي حصلت داخل البلاط المغولي بشيء من الايجاز . بعدما وصلت اخبار غزو كابل الى دلهي ، " لم يهتم رجال البلاط لتلك الاخبار " (٨) . وبسبب وصول الاخبار التي

تفيد باستمرار تقدم نادر ، استدعى الامبراطور نظام الملك من الدكن لغرض تقديم المشورة له . وبعد وصول نظام الملك الى البلاط ، وجد عدوه اللدود خان دوران ، زعيم الفئة الهندوستانية ، والذي شغل منصب القائد العام لجيش مغول الهند ، كان رجلا قويا جدا وذو نفوذ وامتلك تأثيرا قويا على الامبراطور الضعيف ؛ لذلك فإن اي نصيحة كان يقدمها نظام الملك لاقت القليل من الاهتمام او لم يتم العمل بها من الاساس . كان هناك حديث كثير عن القيام بمحاولات لصد زحف نادر ، الا انهم لم يقوموا بأي محاولة جادة لمساعدة زكريا خان . في بداية شهر رمضان (١٣ ديسمبر ١٧٣٨ م) ، غادر دلهي كل من خان دوران ، قمر الدين خان اعتماد الدولة ونظام الملك على راس جيش ضخم ، الا انهم لم يتجاوزوا حدائق شاليمار حيث عسكروا هناك لبقية الشهر . كتب خان دوران الى ساواي جاي سنغ وقادة الراجبوت الاخرين ، طالبا مساعدتهم ، وذكر ساكار " كان موقف الراجبوت ميؤوس منه منذ ايام اورانجزيب ، وكان جاي سنغ وغيره من رؤساء القبائل يحاولون الخلاص السياسي من خلال اعلان استقلالهم فكانوا هم والماراثا يتعاونون من اجل تفكيك واضعاف الامبراطورية . فاختلق الراجبوت الاعذار وأخروا من وصولهم " .

ثم ارسل الامبراطور نداء الى باجيراو ، بيشوا الماراثا ، لتقديم المساعدة لكنه لم يستجب هو الاخر . كما وارسل الامبراطور استدعاء الى سعدات خان ، برهان الملك سوبيدار اوده ، فلبى طلب الامبراطور و تقدم للالتحاق به في الاسبوع الثالث من شهر يناير ١٧٣٩ م .

في بداية شوال (١٢ يناير) ، وعندما وصلت الاخبار الى دلهي بوصول طلائع جيش نادر الى نهر السند (٩) ، كان الجيش المغولي قد بدء مسيرته ، الا ان هذا التقدم كان بطيئا حيث استغرق الامر شهرا وعلى اربع مراحل للتقدم من شاليمار الى كارنال . واستجابة للطلبات الملحة من قبل خان دوران ونظام الملك ، غادر الامبراطور نفسه دلهي في ١٨ شوال (٢٩ يناير ١٧٣٩ م) ، ووصل الى باني بت ، على بعد ٢٠ ميل جنوب كارنال ، وفي ٢٧ شوال (٧ فبراير) ؛ وصل الى

كارنال بعد بضع ايام قضاها في المسير . رغب قادة الهند بالتقدم الى ابعد من كارنال ، الا ان مزايا موقع كارنال حال دون ذلك ، كانت اهم تلك المزايا انبساط ارضه التي تمتد الى الشمال من كارنال فكانت مناسبة للتخييم ، كما وتوفر الماء هناك وبكثرة بسبب وجود قناة علي مردان ، اما الغابات الكثيفة التي تقع الى جهة الشمال فكانت توفر الحماية المناسبة للمعسكر ، وكان هناك سبب اخر حال دون تقدم قادة الجيش الهندي الى ابعد من ذلك وهو انتظار وصول سعدات خان والقوة التي ترافقه من اوده . تم بناء جدار طيني حول المعسكر بلغ محيطه ١٤ ميل ، اما القناة المائية التي تدعى علي مردان فكانت تحيط بالجانب الشرقي من المعسكر . ثم وضعت المدافع الكبيرة ، حول المعسكر ، في اماكن متفرقة من ذلك الجدار .

بلغ عدد المقاتلين في المعسكر الهندي رقما تراوح بين ٨٠ الف – ١٢٠٠٠٠٠ ؛ ومن المحتمل ان يكون الرقم ٨٠ الف هو الرقم الاقرب للواقع . واذا ما اردنا احتساب اعداد افراد المعسكر الاخرين من غير المقاتلين ، فان المجموع ، وحسب ساكار ، سيقترب من المليون (١٠) .

من سرهند ، ارسل نادر قوة قوامها ٦ الاف فارس من الاكراد ، بقيادة حجي خان ، للقيام بمهمة استطلاع مواقع الهنود وجلب المعلومات عنهم . في اليوم التالي غادر الجيش الفارسي الى امبالا عبر راجا ساراي . وفي امبالا ترك نادر امتعته وحريمه هناك ، وسار الى شاه اباد ، التي تبعد ٣٥ ميل شمال كارنال ، في ١٩ من فبراير . وفي نفس الليلة قامت القوة الاستطلاعية الكردية التي ارسلها نادر من سرهند بالاشتباك مع قوة هندية ، حيث نجحت بقتل واسر عدد من المقاتلين الهنود . ثم عادت القوة الكردية الى ساراي (عظيم اباد) ، وهي قرية تبعد ٢٣ ميل جنوب شاه اباد و ١٢ ميل شمال كارنال ؛ ومن هذه القرية ارسلوا لنادر تقاريرهم كما وارسلوا عددا من السجناء ايضا . ارسل الشاه اوامر جديدة لهذه القوة باستطلاع مواقع العدو الشرقية والغربية .

في ١٢ ذي القعدة (٢١ فبراير) ، سار نادر الى الامام عبر تراوري ، ووصل الى ساراي في الصباح الباكر في يوم ١٣ ذي القعدة ؛ وهناك اظهر حاكم امبالا بعض المقاومة لفترة من الزمن .

علم نادر من القوة الاستطلاعية ومن بعض السجناء الهنود مراكز القوة لدى جيش الامبراطور ، اضافة الى ذلك فقد علم نادر ان في جنوب ساراي (عظيم اباد) ، غابة كثيفة ، كانت الطريقة الوحيدة لاجتيازها عبر قطع طريق واحد ضيق جدا ، تمتد الى مسافة ٨ اميال باتجاه كارنال . ثم علم نادر ايضا بوجود مسار مفتوح وسالك يمكنه من الالتفاف الى الشرق من ذلك المكان ، والذي بواسطته سيتمكن من تفادي تحصينات العدو وكذلك سيجنبه دخول الغابة ايضا . وهنا سيواجه الامبراطور معضلتين فاذا ما خرج من تحصيناته ، فسيمنح نادر معركة على ارض منبسطة ومكشوفة ، بعرض ٧ اميال ، تمتد شرقا من كارنال الى جمنا ؛ اما اذا فضل الامبراطور البقاء داخل تحصيناته ، فسيتوجه نادر الى باني بت ومن ثم الى دلهي .

لم يحصل اي تقدم في ١٣ من ذي القعدة ، لكن في صباح اليوم التالي (الاثنين ٢٣ فبراير) ، غادر نادر ساراي ، وقاد قواته عبر قناة علي مردان ، وسار بالاتجاه الجنوبي الشرقي لبضع اميال ، وخيم في منطقة الى الشمال من قرية كونجبورا ، والتي تبعد ٥ اميال ونصف عن كارنال وميل ونصف غرب جمنا . اقترب الشاه من المعسكر الهندي برفقة عدد من حراسه ؛ وبعد ان سجل ملاحظاته الدقيقة عن مواضع العدو وتحصيناته ، عاد الى المخيم الخاص به .

في المساء قامت قوة استطلاعية بإخبار نادر بنبأ قدوم سعدات خان ، سوبيدار اوده ، على راس قوة قدرت ب ٣٠ الف رجل لتقديم المساعدة الى الامبراطور ، كما واخبرته ايضا بوصول سعدات خان الى باني بت (١١) . وعلى الفور ارسل نادر قوة قوية لاعتراض سعدات خان ورجاله .

غزو الهند : كارنال

في صباح ١٥ ذي القعدة (٢٤ فبراير) ، قسم نادر جيشه الى ثلاث فرق . وامر ابنه نصر الله ميرزا ، الذي كان ذلك الوقت قائدا للجناح الايسر ، بالتحرك من جمنا باتجاه كارنال ، بينما نادر نفسه ويرافقه عددا من الرجال ، ساروا جنوبا بين جمنا وقناة علي مردان من اجل استطلاع مواضع العدو وفحص ميدان المعركة . عادت القوات التي ارسلها نادر ليلا لاعتراض تقدم سعدات خان ، بأخبار مفادها ان سعدات خان قد افلت من قبضتهم وتمكن من الوصول هو وقواته الى المعسكر الامبراطوري في منتصف الليل (١) ؛ كما واخبروا نادر ايضا انهم استمروا بملاحقة قوات سعدات خان ونجحوا بأسر بعض من رجاله الى جانب حصولهم على غنائم كثيرة .

وبعد سماعه لهذه الاخبار ، توقف نادر في موقع يبعد ٣ اميال ونصف شرق المعسكر الهندي ؛ وهناك انضم اليه نصر الله مع قواته .

وفي غضون ذلك ، توجه سعدات خان الى محمد شاه لإلقاء التحية . وخلال لقائه مع الامبراطور ، علم سعدات خان ان وحدات من القزلباش قامت بنهب امتعته (٢) . فشعر بغضب شديد ، واخذ اذنا سريعا من الامبراطور للمغادرة ؛ وعلى الرغم من كل المساعي التي بذلت لمنعه من الهجوم ، استدعى رجاله لغرض حمل السلاح ، واسرع محاولا استرجاع امتعته . كان افراد قوات سعدات خان مرهقين جدا بسبب مسيرتهم التي استغرقت شهرا كاملا ، ونتيجة لذلك ، فقد استجاب لندائه قلة قليلة من رجاله ؛ ويقال ان بعضا من رجال سعدات خان اعتقدوا انه كان لا يزال مع الامبراطور ، والبعض الاخر منهم كانوا يهتمون بخيولهم المتعبة ، لذلك رفضوا التحرك والاستجابة للأوامر . ومع ذلك فقد بلغ عدد افراد قوة سعدات خان من الذين استجابوا لندائه الف فارس وبضع مئات من المشاة (٣) .

ظهر سعدات خان على راس قوة صغيرة قادمة من الخطوط الهندية ، حيث اشتبكوا مع بعض القوات الفارسية المتقدمة من الاتجاه الاخر .

وعلى الفور انسحبت تلك القوات الفارسية انسحابا تكتيكيا متفق عليه ، على امل خداع سعدات خان وقواته لسحبه بعيدا عن الخطوط الهندية . نجحت الحيلة ، فبعد ان شاهد سعدات خان تراجع القوات الفارسية ، اسرع بإرسال نداء عاجل الى المعسكر الهندي يطلب منهم الاسراع بإرسال تعزيزات حتى يتمكن (وكما تصور هو) من متابعة نجاحه بهزيمة الاعداء الفرس . اراد الامبراطور الذهاب شخصيا لسعدات خان والمشاركة في المعركة ، لكن نظام الملك وخان دوران منعاه من ذلك واخبراه " انه من الخطأ الهجوم في هذا اليوم " .

طلب الامبراطور النصيحة من نظام الملك ، فأشار عليه بإرسال خان دوران ، الذي كان قائدا للجناح الايمن ، بهدف تقديم المساعدة لسعدات خان لقرب المسافة بينهما (٤) . وافق الامبراطور ، ونتيجة لذلك قاد خان دوران ٨ – ٩ الاف فارس واتجه صوب الميدان . واكد اشوب الذي كان متواجدا في كارنال ، ان رجال خان دوران تصوروا ان المعركة ستكون مشابهة لقتال العصابات في شوارع وبازارات دلهي . لكن سرعان ما تبددت آمالهم . وحسب ميرزا مهدي ، " كان نادر ينتظر ذلك اليوم " ، حيث ارتدى درعه وخوذته ، ووضع نفسه على قيادة الف من الفرسان الافشار المختارين بعناية ، وكان يتنقل من مكان الى اخر ويوجه العمليات ويديرها . وبعدما سمع عن تقدم سعدات خان وخان دوران ، وضع ٣ الاف من رجاله في كمائن ، وارسل وحدتين قويتين من الجزايرجيين ، كل قوة منها تتألف من ٥٠٠ رجل ، مع اعطاءهم اوامر بسحب العدو الهندي الى الكمين .

يذكر هانوي ، ان نادر امر بوضع منصات تُحمل بواسطة زوج من الجمال لغرض تخويف الفيلة الهندية ؛ حيث احتوت هذه المنصات على نفط ومواد قابلة للاشتعال ، وكان من المقرر اشعالها خلال المعركة (٥) .

بدأت المعركة الساعة الواحدة من بعد الظهر . شكل سعدات خان وقوته الصغيرة الجناح الايمن للهنود ، فتبعوا الفرس الى كونجبورا . الجزايرجيون هناك ، وبقيادة القائد فتح علي خان كاياني ، انتشروا خلف الجدران والبنايات في كونجبورا ، وفتحوا نيرانهم المدمرة على قوات

سعدات خان عند وصولهم الى هناك . بعد ذلك بقليل ، بدأ خان دوران ، الذي مثل الان المركز الهندي ، بالاشتباك مع المركز الفارسي بقيادة نصر الله ميرزا . كانت هناك مسافة كبيرة بين خان دوران وسعدات خان ومسافة كبيرة اخرى ابعدت خان دوران عن الجناح الايسر الهندي . لهذا السبب ، انقطع الاتصال والتنسيق بين القادة الهنود وانعدمت المعلومات في ما بينهم . علاوة على ذلك ، فأن الهجوم السريع للقادة الهنود مع المشاركة القليلة والغير فعالة لسلاح المدفعية في المعركة ، او لربما عدم اشتراكها من الأساس ، كل تلك العوامل عجلت من انكسار الجيش الهندي .

كان رجال سعدات خان اول من تراجع من الميدان ، بالرغم من قتالهم الشرس ، حيث تعرضوا لإصابات بليغة وهجوم عنيف قاده الفرس ضدهم . سعدات خان نفسه ، المحاط بعدد من اتباعه ، استمر في القتال وبشراسة قل نظيرها حتى اصيب فيل ابن اخيه ، ويدعى شير جانغ ، الذي اندفع نحو فيل سعدات خان ، سعدات خان بدوره فقد السيطرة على فيله واتجه به الى داخل صفوف الفرس ، فتم أسر سعدات خان هناك .

اما المركز الهندي بقيادة خان دوران ، فقد قاتلوا بشجاعة هم ايضا ، لكن مصيرهم كان كمصير رجال سعدات خان ، حيث عانوا من خسائر كبيرة جدا بسبب سرعة ودقة نيران الجزايرجيين والزانبورك . ان فن المبارزة الذي يفخر به الهنود ، كان ذو تأثير محدود امام اساليب الفرس القتالية ؛ وكما قال عبد الكريم " لا يستطيع السهم الرد على الجزاير " . عندما علم الامبراطور ان خان دوران كان في خطر اكيد ، بعث برسالة مستعجلة الى نظام الملك يستفسر منه عن سبب عدم ذهابه لمساعدة القائد العام للجيش كما وامره بالذهاب الفوري لنجدته وبدون اي التأخير . وضع نظام الملك عداؤه الشخصي نصب عينيه قبل التفكير بمصلحة الوطن ، حيث جلس بهدوء على ظهر الفيل واحتسى القهوة ورفض اطاعة اوامر الامبراطور .

وجاءت النهاية عندما تلقى خان دوران ، الذي اصيب بجروح عديدة ، جرحا مميتا من طلقة مسكيت فسقط في هودجه فاقدا للوعي ؛ اما شقيقه

وابنه والعديد من الامراء فسقطوا قتلى . كما وتم هزيمة الفئة القليلة الناجية من المركز الهندي وبسرعة ، وفي الساعة الخامسة انتهت المعركة . نجح خادم خان دوران ، وبشق الانفس ، بإيصال سيده الى المعسكر الهندي .

وعلى الرغم من نجاحه في الميدان ، الا ان نادر تجنب الهجوم على موقع الامبراطور ؛ وكما سيتبين لاحقا ، حيث كانت لديه اساليب تمكنه من اخضاع محمد شاه وجيشه دون الهجوم عليه .

كانت اهم نقاط هذه المعركة هي ، اولا ، التفاوت الملحوظ بين براعة نادر العسكرية بالمقارنة مع القادة الهنود ؛ اما من ناحية التكتيكات والاستراتيجية ، فكان نادر متفوقا عليهم وبصورة كبيرة ، اضافة الى ذلك فان القادة الهنود وكما رأينا كانوا غير قادرين على ركن مشاكلهم الشخصية وغيرتهم من بعضهم البعض فكان الاحرى بهم الاتحاد ووضع مصلحة البلد نصب اعينهم . ثانيا ، الاعداد التي اشتركت في المعركة كانت قليلة جدا بالمقارنة مع المجموع العام . فعلى الجانب الهندي لم يشترك الكثير من افراد قوات خان دوران وسعدات خان في المعركة ، بينما الجناح الايسر للجيش الهندي ، والذي كان تحت قيادة نظام الملك ، فلم يشترك نهائيا في المعركة .

ذكر بعض المعاصرين ارقاما مبالغا فيها بشأن خسائر الجيش الهندي ، كان ميرزا مهدي احدهم ، حيث ذكر انه تم قتل ٣٠ الف رجل هندي (٦) . ويبدو انه رقم مبالغ فيه ، فمن المرجح ان يكون الجيش الهندي قد فقد ١٠ الاف رجل ؛ حيث لا يمكنهم خسارة اكثر من ذلك الرقم ، لان جميع المشاركين في المعركة من الجانب الهندي لم يتجاوزوا كثيرا ذلك الرقم . ووفقا لرسالة معاصرة نقلها فريزر ، ذكر ان خسائر الفرس كانت ٢٥٠٠ قتيل و ٥٠٠٠ جريح ، ولكن يبدو ان هذه الارقام مبالغ فيها هي ايضا (٧) .

ويقال ان نادر وبعد المعركة سجد شاكرا لله ؛ ثم هنأ وكافأ قادته ؛ وحسب رأي محمد كاظم ، فأن نادر اطلق على ولده مرتضى قولي اسم نصر الله .

في المساء ، ذهب كل من نظام الملك ، اعتماد الدولة وعدد من خصيان الحريم الامبراطوري لرؤية خان دوران . تمتم القائد العام بكلمات تكاد تكون مسموعة بسبب كثرة جراحاته ، " لقد انجزنا ما علينا من مهام ... لا تدعوا الامبراطور يقابل نادر شاه وامنعوا دخول نادر الى دلهي .... ازيلوا هذا البلاء من هنا وبأي وسيلة " (٨).

وفي مساء ذلك اليوم ، احضر سعدات خان امام نادر . وبعد ان اجاب عن بعض اسئلة نادر بخصوص ثروة الامبراطور ، نصح الشاه بضرورة استدعاء نظام الملك ومناقشة شروط السلام معه . عمل نادر بنصيحة سعدات خان ، وبعد ان منح الامبراطور الصلاحيات الكاملة لنظام الملك بشأن التفاوض ، ذهب الى المعسكر الفارسي ، حيث وصل بعد حلول الليل في ٢٥ فبراير .

بعد ان استقبله الشاه ، ناقش نظام الملك شروط التسوية مع عبد الباقي خان ، وتم الاتفاق على ان لا يلحق نادر شاه اي ضرر بالهند وان يعود الى فارس مقابل تعويض قدره ٥٠ لاك روبية ، تدفع على اقساط (٩) . سمح نادر لنظام الملك بالعودة ، بعد ان طلب منه دعوة الامبراطور لوليمة الغداء في اليوم التالي .

وعلى الرغم من نصيحة خان دوران ، وهو على فراش الموت ، وافق محمد شاه على قبول دعوة نادر . يذكر ميرزا مهدي ، ان الامبراطور في ١٧ ذي القعدة (٢٦ فبراير) ، تنازل رسميا عن العرش ، فبعد ان خلع التاج عن رأسه ، غادر باتجاه المخيم الفارسي (١٠) . ومن الغريب انه اهمل ذكر في ما اذا قام محمد شاه بتسليم التاج رسميا لنادر في هذا اللقاء او لقاء لاحق اخر . لكن لاحقا تبين ان الامبراطور قد تنازل عن عرشه لنادر ، وان نادر تولى لفترة من الوقت حكم الهند ، ولكن على ما

يبدو انه لم يحصل اي حفل رسمي لتتويج نادر على عرش الهند حيث لم تذكر الوثائق مثل هكذا حدث .

عند وصول الامبراطور الى المعسكر الفارسي ، كان في استقباله نصر الله ميرزا الذي رافقه الى خيمة الشاه . وعند اقتراب الامبراطور من الخيمة ، خرج نادر شخصيا لاستقبال محمد شاه بالطريقة المعتادة ، وعند اللقاء اكد نادر للإمبراطور عن اصلهم التركماني المشترك . بعد ذلك اخذ نادر بيد محمد شاه ، ثم سارا معا الى الخيمة واجلسه على العرش بجانبه . بعد ان تحدثا معا باللغة التركية ، تم تقديم الطعام للشاه و لضيفه ملك الهند . ولكي يبين نادر لضيفه ان الطعام غير مسموم ، تم تبادل الصحون قبل البدء بتناول الطعام . مر الاجتماع بين الاثنين بشكل ودي ؛ وخلال هذا اللقاء الذي استغرق ربع يوم كان الاحترام والتأكيد على الصداقة سمة ذلك الاجتماع . ثم بعد ذلك عاد الامبراطور الى معسكره ؛ ويقال انه وبسبب ايجابيات ذلك الاجتماع الذي حصل بين نادر شاه من جهة ، والامبراطور ونظام الملك من جهة اخرى ، شعرت القوات الهندية بارتياح كبير حيث تجددت امالهم بالعودة الى منازلهم .

منذ مساء بعد المعركة ، ابقى نادر المعسكر الهندي مغلقا ؛ حيث لم يسمح لهم بالانسحاب ، ولا بدخول المؤن اليهم . وادرك نادر انه وبهذه الطريقة سيضمن الامتثال الفوري لشروطه .

توفي خان دوران بعد يوم من المعركة ، واصبح منصب القائد العام للجيش ومنصب مسؤول صرف الرواتب شاغرين . حصل نظام الملك على منصب مير بخشي (مسؤول دفع الرواتب) ، ويقال ان سعدات خان كان يمني النفس بالحصول على ذلك المنصب (١١) . فبعدما علم سعدات خان ان المناصب ذهبت لنظام الملك ، جن جنونه وشعر بغضب شديد . وعلى الفور ، ذهب لمقابلة نادر شاه حيث اخبره ان المبلغ الذي ذكر في المعاهدة قليل جدا حيث سعى جاهدا لإحباط جهود منافسه الداهية نظام الملك . كما واخبر نادر ، انه اذا ما سار لدلهي ، فسيحصل على كميات لا تحصى من الذهب ، الجواهر والاشياء الثمينة الاخرى من خزائن الامبراطور ومن بيوت النبلاء والتجار . واضاف سعدات خان "

لم يبقى في البلاط الامبراطوري اي شخصية بارزة سوى اصف جاه ، فهو ماكر وحكيم . واذا ما اوقعت هذا الماكر في الشرك ، فأي شيء يرغب به جلالتكم سوف يحدث " . ابدى نادر سعادته من كلمات سعدات خان تلك وعزم على اتباع النصيحة .

وبعد ان انتظر عمدا بضعة ايام ، استدعى نادر نظام الملك مرة اخرى في يوم ٢٤ ذو القعدة (٥ مارس) ، وامره بأن يطلب من الامبراطور زيارته مرة اخرى في المخيم . احتج نظام الملك على هذا الاجراء الذي يتعارض مع بنود المعاهدة ، لكن الشاه اخبره بأنه لن يخرق شروط المعاهدة ولن يلحق الضرر بالإمبراطور، وذكر نادر ان اجراء مقابلة اخرى مع الامبراطور هو امر ضروري لا بد منه (١٢) .

كان الحصار المفروض على المعسكر الهندي محكما ، وأصبح النقص في الطعام هناك حادا جدا حيث لم يكن هناك خيار امام نظام الملك سوى الامتثال للأوامر (١٣) . فبعث لمحمد شاه برسالة جاء فيها ان نادر يرغب بلقائه مرة اخرى . ولدى استلامه الرسالة ، وبالرغم من اعتراض بعض النبلاء الذين نصحوه باستئناف القتال وعدم الخضوع لنادر ، الا ان محمد شاه سار الى المعسكر الفارسي في ٢٦ ذي القعدة (٧ مارس) ، وكان برفقته ٢٠٠٠ شخص .

وعلى الرغم من ان نادر تظاهر بمعاملة الامبراطور معاملة حسنة كما وامر عبد الباقي الخان بتلبية جميع احتياجاته ، الا ان محمد شاه كان اسيرا في الواقع ، وكذلك حال النبلاء في حاشيته . بعد وصول الامبراطور ، تم ارسال قوات القزلباش الى المعسكر الهندي لغرض الاستيلاء على كل المدافع واعتقال القادة والنبلاء الذين كانوا لا يزالون هناك (١٤) . وتم ابلاغ القوات الهندية على انهم مخيرين في البقاء في كارنال او الذهاب الى دلهي او الى منازلهم . تم قتل اعداد كبيرة من افراد الجيش الهندي اثناء محاولتهم الهرب الى ديارهم بعد ان اضعفهم الجوع ، حيث قتلوا على ايدي فرسان القزلباش وقطاع الطرق وسكان الارياف .

الا ان نادر رفض قبولها ، لكن وبعد الحاح طويل من الامبراطور قبلها نادر اخيرا . ولا نحتاج ان ننوه ، ان هذه الممانعة التي قام بها نادر كانت مجرد تمثيلية لا غير .

بعد الانتهاء من مراسم الاستقبال تلك ، مكث نادر في القصر الذي بناه شاه جهان ، قرب الديوان الخاص ، والذي كان مقر اقامة محمد شاه سابقا ، اما محمد شاه فقد شغل بناية قرب برج الاسد واتخذها مقرا له . بينما افراد القزلباش ، فبعضهم استقر في او حول القلعة اما الاخرون فتواجدوا داخل المدينة .

في صباح يوم السبت ١٠ ذو الحجة (٢١ مارس) ، والذي صادف فيه حلول عيدي النوروز والاضحى المبارك معا ، ووفقا للتعليمات التي اعطيت مسبقا ، تم ذكر اسم نادر في الخطبة بجميع مساجد المدينة ؛ اضافة الى ذلك ، تم سك القطع النقدية في دلهي والتي حملت عبارة : " السلطان فوق سلاطين الارض نادر ملك الملوك وصاحب الاقتران السعيد " (٣) . في ذلك اليوم احتفل نادر بالنوروز ومنح ضباطه البارزين اردية الشرف .

في نفس ذلك اليوم توفي سعدات خان ؛ حيث تباينت الآراء حول سبب وفاته ، فبعضها ذكر انه انتحر ، والبعض الاخر ذكر انه مات نتيجة جروح اصيب بها مسبقا . لكن وعلى ما يبدو ، فأنه مات منتحرا بالسم لأنه ، وبعد ان تكلم نادر معه بقسوة شديدة ووجه له الاهانة ، اصيب باليأس والاكتئاب (٤) .

في فترة ما بعد الظهيرة في ١٠ ذو الحجة ذهب نادر الى مقر اقامة الامبراطور ، ردا على زيارة الامبراطور له في اليوم السابق . وفي ختام ذلك اليوم ، وبعد ان عاد الشاه الى مقر اقامته في القصر ، سرت شائعات في المدينة تفيد بموت نادر ؛ كما وسرت شائعات اخرى تتحدث عن قيام الامبراطور باحتجاز نادر وإيداعه السجن (٥) . لم يتم التأكد من صحة هذه الشائعات ، التي انتشرت بسرعة البرق بين ازقة الشوارع المزدحمة والبازارات . حيث حُشد الغوغاء بسرعة ، وبحماسة كبيرة

هاجموا قوات القزلباش المنتشرين في المدينة وكالاتي : في ظهر ذلك اليوم ارسل طهماسب خان جالاير عددا من الفرسان النسقجيين الى مخازن الحبوب في بهار كانج ، والتي تقع الى الجنوب الغربي من المدينة ، مع اوامر تقضي بفتح تلك المخازن وتحديد اسعار بيع الحبوب . نفذ النسقجيون الاوامر على اتم وجه ، الا ان السعر المتدني الذي حددوه اغضب تجار الحبوب الذين قاموا بدورهم بتحشيد الغوغاء . قام هؤلاء الغوغاء بمهاجمة النسقجيين وقتلهم كما وقتلوا بعضا من الجنود الفرس الذين قدموا لشراء الحبوب . بعد ذلك نشر المحرضون على الهجوم اشاعة تفيد بقيام الامبراطور بسجن نادر ، كما وأشاع البعض منهم بأن نادر مات مسموما . وخلال تقدمهم في المدينة ، نمت هذه الشائعات اكثر فاكثر كما وتم تحريفها بشكل خيالي ، " فقام الاشخاص الحمقى بحمل السلاح والادوات الجارحة واندلعت اعمال الشغب بعد ذلك " . كان العديد من الجنود القزلباش يسيرون فرادى او على شكل ازواج في شوارع دلهي الضيقة ، حيث هوجموا بشكل مفاجئ وسقطوا فريسة سهلة بأيدي مهاجميهم . الكاتب الهندي محمد بخش (اشوب) ، كان يتناول وجبة العشاء في منزله قرب بوابة كابل " فبعد سماعه ضجة كبيرة " ؛ صعد الى سطح منزله لمشاهدة ما يحدث ، فرأى جنودا من القزلباش وهم صرعى على ايدي مجموعة من الرجال المنتمين لجيش سعدات خان ، الذين جاء معظمهم من كابل وبيشاور ، للثأر لرفاقهم الذين قتلوا في كارنال . اما الجنود الفرس ، وبعد سماعهم لإشاعة مقتل نادر ، اصابهم فزع شديد لدرجة انهم عجزوا عن المقاومة .

وعلى الرغم من عدم تورط الامبراطور او اي احد من النبلاء البارزين في التحريض على هذا الهجوم ، الا انهم لم يتخذوا اي خطوات لكبح جماح هؤلاء الغوغاء حال وقوع الاضطرابات ؛ وعلاوة على ذلك ، قام بعض من الاعيان الهنود ، ولدى سماعهم اشاعة مقتل نادر ، بذبح الحراس الفرس الذين ارسلهم نادر ، بناء على طلبهم ، لحماية اسرهم وممتلكاتهم .

قدر اعداد الفرس الذين فقدوا حياتهم جراء هذه العمليات من بضع مئات الى اكثر من ٧ الاف رجل ؛ لكن يبدو ، وعلى الارجح ، ان حوالي ٣ الاف رجل لقوا حتفهم بالفعل (٦) .

خلال الاضطرابات ، قام بعض من النبلاء الهنود ، ومن ابرزهم سيد نياز خان ، صهر قمر الدين خان ، وشاه نواز خان ، بجمع ٥٠٠ رجل ، ثم شنوا غارة على اسطبل الفيلة الملكية ، فنجحوا بقتل المسؤول عن الاسطبل كما واستولوا على الفيلة ايضا . بعدها غادروا المدينة وتحصنوا بحصن يقع خارج المدينة مباشرة .

عندما وصلت اولى تقارير الاضطرابات الى نادر ، رفض تصديقها ، وغضب غضبا شديدا ملقيا باللوم على بعض من جنوده حيث اتهمهم بالافتراء على السكان ليتسنى لهم نهب المدينة . فامر نادر احد حراسه بالذهاب والبحث عن الحقيقة ومن ثم ابلاغه . هذا الرجل ، وبعد خروجه من القلعة ، قُتل مباشرة على ايدي الغوغاء ، ثم قام نادر بإرسال رجل اخر ، لكنه لاقى نفس مصير الاول . بعد ذلك ادرك نادر خطورة الوضع ، فارسل الف من الجزايرجيين لقمع التمرد ، الا انهم ، وبسبب الظلام ولقلة اعدادهم ايضا ، فشلوا في استعادة النظام . بعدها امر الشاه رجاله بعدم ترك اسلحتهم وان يكونوا متأهبين لأي طارئ طوال الليل ، للدفاع عن انفسهم اذا ما هاجمهم الاعداء ، كما وحذرهم من القيام بأي تصرف دون علمه .

عند شروق شمس صباح اليوم التالي ، امتطى نادر جواده واخذ معه قوة قوية ، وشقوا طريقهم عبر الشوارع الضيقة باتجاه مسجد روشن الدولة ذو القباب الذهبية ، في وسط حي تشاندي تشوك . ويقال انه عند اقتراب نادر من المسجد ، قام شخص ما بأطلاق النار عليه من الشرفة او النافذة بقصد قتله . فأخطأت الرصاصة الهدف ، لكنها قتلت ضابطا كان يقف بجانبه . ولدى وصوله المسجد ، صعد نادر الى السطح ؛ وبعد تحديد أحياء المدينة التي تم فيها مهاجمة رجاله ، امر نادر قواته بعدم ترك اي شخص على قيد الحياة في تلك المناطق . في التاسعة صباحا بدأت القوات الفارسية تنفيذ مهمتها الرهيبة . بعد ان تم تطهير الشوارع من

المتمردين ، شق الجنود طريقهم نحو المحال التجارية والمنازل ، مما ادى الى مقتل شاغليها كما قام الجنود بالاستيلاء على اي شيء ذو قيمة . بازارات تصريف العملة ، محلات الصاغة والمجوهرات و محال التجار كلها نهبت ، واعداد كبيرة من المباني احرقت ودمرت ، اما ساكنوها فهلكوا بلهب النيران . لم يكن هناك فرق بين مذنب وبريء ، بين رجل و امرأة ، او كبير وصغير الكل لاقى نفس المصير اما الموت او الاسر .

بقى نادر على سطح المسجد ، وسيفه مسلول الى جانبه ، في حين استمر مشهد الموت والخراب . بعد ان استمرت المذبحة لعدة ساعات ، بعث الامبراطور بنظام الملك وقمر الدين خان لمقابلة الشاه (٧) . وبعد ان استمع لتوسلاتهما بشأن ايقاف المجزرة ، امر نادر الكوتوال ، حجي فولاد خان ، بالتوجه الى شوارع المدينة بصحبة قوة فارسية من النسقجيين ليأمر الجنود بالكف عن مهمتهم . والحقيقة تقال تم اطاعة اوامر نادر وعلى الفور ، دل هذا الموقف على ان نادر كان مسيطرا على رجاله بصورة تامة وان رجاله كانوا يطيعوه طاعة عمياء . اشاد عبد الكريم بهذه الطاعة العمياء للأوامر حيث ذكر " كانت من اكثر الامور دهشة في الكون " . توقفت المجزرة في تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر ، حيث استمرت لست ساعات تقريبا . بعدها امر نادر قواته بإعادة الاسرى الى عوائلهم .

كم من الاشخاص ، الذين كان معظمهم من الابرياء ، فقدوا حياتهم بسبب هذه المجزرة المروعة ؟ لا يمكننا معرفة الخسائر بدقة متناهية لكنها تراوحت بين ٨ الاف – ٤٠٠ الف شخص (٨) . ويرى السير ساكار ، انه وبسبب صغر المساحة التي حصلت فيها المجزرة وكذلك لقلة الفترة الزمنية في ارتكاب المجزرة ، فأن عدد من قتل كان لا يتجاوز ٢٠ الف . مضافا الى هذا الرقم عدة مئات من الاشخاص (غالبيتهم من النساء) قاموا بالانتحار (٩) .

وفي خطوته التالية ارسل نادر شاه قوة بقيادة عظيم الله خان وفولاد خان بهدف القبض على اثنين من النبلاء الهنود وهما سيد نياز خان وشاه نواز خان وأتباعهما ، فبعد ان كانوا متحصنين في الحصن ، تم مهاجمتهم من

قبل قوات نادر ، وتم اسر النبلاء الهنود واتباعهم ؛ وفي وقت لاحق من نفس اليوم اعدموا جميعهم (١٠) .

وحسب ميرزا زمان ، اتخذ نادر تدابير عقابية صارمة ضد سكان ساراي التابعين لروح الله خان وكذلك ضد المغول التتار التابعين لمغول بورا بسبب اشتراكهم في قتل عدد من افراد القوات الفارسية الذين ارسلوا في وقت سابق الى ساراي حاملين معهم اوامر من نادر تقضي بمصادرة مدافع كانت موجودة هناك .

بعد ان عاد النظام الى المدينة والمناطق المحيطة بها ، ابقى نادر على حجي فولاد خان في منصبه السابق .

بعد عدة ايام من المذبحة ، ظلت شوارع المدينة ممتلئة بالجثث ؛ ولخوفه من تفشي الاوبئة ، امر نادر الكوتوال بجمع وحرق هذه الجثث . حيث استخدم الخشب من المنازل المهدمة وقودا لإحراقها ، فتم تكديس جثث المسلمين والهندوس واحرقت جميعها دون التمييز بين طائفة او عقيدة او مكانة اجتماعية . وكذلك جمعت عدة الاف من الجثث المتبقية وتم القاءها في نهر جمنا .

بعد ذلك بدء نادر بجمع الجزية من النقود والجواهر . فتم الاستيلاء على ممتلكات خان دوران ومظفر خان ، وتم ارسال قوة قوية من القزلباش الى اوده لمصادرة ممتلكات سعدات خان وجلبها الى دلهي . ثم قام نادر بتعيين لجنة ، يترأسها طهماسب خان جالاير ، غرضها تحديد قيمة الاموال الواجب دفعها من قبل النبلاء والتجار والمواطنين .

عملت القوات الفارسية على تطويق المدينة بالكامل ، فسمحوا بدخول الاشخاص الى دلهي ، لكنهم منعوا اي شخص من الخروج منها . وعلاوة على ذلك ، تم غلق مخازن الحبوب وحراستها من قبل القوات الفارسية ؛ ومن الواضح ان هذه التدابير قد اتخذت للإسراع في جمع الجزية .

كان للأحداث الرهيبة التي وقعت في دلهي تأثير هائل على كل انحاء الهند . حيث ذكر اناند رام ، ان دلهي لم تشهد مثل هذه الكارثة منذ ان تم احتلالها على يد قوات تيمور في ديسمبر ١٣٩٨ م ؛ فبعد ان ثار الاهالي ، قام جيش تيمور بنهب المدينة وذبح الالاف من السكان ، وفي ١٧٣٩ م اعاد التاريخ نفسه . ذكر اشوب عن طبيعة التورانيين وعن تعطشهم لسفك الدماء ، كما وذكر ان نادر مع كل الجرائم التي ارتكبها ، لم يرتقي لوحشية جنكيز خان وتيمور . واشار السير بيرسي سايكس بانه حتى يومنا هذا لا تزال دلهي تستذكر المذبحة التي ارتكبها نادر ، ففي بازار دلهي وجدت عبارة نادر شاهي ، للدلالة على المجزرة . وحسب تقرير بُعث من سورات الى مومباي ، ذكر ان التجارة في المدينة قد توقفت تماما .

باجيراو ، الذي لم يستجب لنداء الامبراطور بشأن إرسال تعزيزات الى كارنال لصد الزحف الفارسي ، كان يشعر بقلق كبير بعدما وصلت اليه اخبار نتيجة معركة كارنال والاحداث التي رافقت احتلال دلهي . فعمل هدنة مع خصومه في وسط الهند ، وذكر " الان اصبح هناك عدو واحد لهندوستان " . بعث باجيراو بأوامر الى تشيمانجي آبا للانضمام اليه سريعا بهدف محاربة الفرس بسبب انتشار اشاعة مفادها عن نية نادر الزحف من دلهي نحو الجنوب بهدف توسعة الغزو ، في ذلك الوقت ، كان آبا يقود قوة من الماراثا لقتال البرتغاليين في كونكان ، الا ان آبا رفض اطاعة اوامر باجيراو حتى بعد ان نجح بهزيمة البرتغاليين والاستيلاء على جميع حصونهم ؛ وخلال ذلك الوقت كان نادر قد غادر دلهي متوجها الى موطنه .

في ١٦ ذو الحجة (٢٧ مارس) ، ارسل نادر فرمانا اعفى فيه جميع المقاطعات الفارسية من دفع الضرائب ولمدة ثلاثة سنوات . وفي نفس الوقت ، كافأ نادر ضباط جيشه بسخاء ، كما ومنح الجند مستحقاتهم المتأخرة ، مع مكافأة لكل واحد منهم ؛ ثم اعطى لغير المقاتلين في الجيش وللخدم هدايا تراوحت قيمتها من ٦٠ – ١٠٠ روبية ، وكل على حسب عمله (١١) .

بينما كان الحزن يخيم على سكان دلهي بسبب فقدان احبتهم ، زوج نادر ابنه نصر الله من الاميرة الهندية ابنة يزدان بخش والحفيدة الكبرى للإمبراطور اورانجزيب . يذكر السير جون مالكوم انه طُلب من نصر الله ، وفقا للعادات المغولية ، ان يذكر جذوره حتى الجيل السابع . وحينما علم نادر اخبر نصر الله بأن يخبرهم " انه ابن نادر شاه ، ابن السيف ، حفيد السيف حتى السبعين جيلا لا سبعة اجيال وحسب " . حصل الزواج في ٢٧ ذو الحجة (٦ ابريل) . وعلى شرف هذه المناسبة ، امر نادر بإقامة احتفال عظيم رافقه عرض للألعاب النارية (١٢) . وفي ليلة الزفاف قام ١٥ – ٢٠ قزلباشي برثاء الامام الحسين عليه السلام . وبعد ان علم نادر بهذا الامر ، غضب غضبا شديدا وقال " لسنوات عديدة كنت امر بعدم اظهار اي شعائر دينية في صفوف جيشي وقد تجاهل هؤلاء اوامري ولم يبدوا احتراما لحفل زفاف ولدي لذلك وجب علي اعدامهم " . في اليوم التالي القي القبض عليهم وأعدموا خارج احدى بوابات المدينة ؛ حيث تركت جثثهم هناك لمدة شهر تقريبا ، لتحذير الاخرين من تكرار ما فعلوه . عند حلول شهر محرم حرص نادر على منع اقامة اي شعائر شيعية في صفوف جيشه ، لأن جيشه ضم افراد من مذاهب مختلفة وكان هذا من شأنه ان يؤدي الى حدوث انقسامات في صفوف الجيش .

تم تحديد مقدار الضريبة ، وبدء العمل على جمعها . رجال الكوتوال ، يرافقهم النسقجيين الفرس ، ساروا من منزل الى منزل لجرد الممتلكات ، حتى يتسنى لهم حساب الضريبة المترتبة على الاهالي ؛ كما وتم اعتماد مظهر الاشخاص في ذلك ايضا ، وبناء على ذلك فرض على الرجال الاغنياء ضريبة عالية وصلت الى ٥٠ % . ويقال ان نادر اصدر اوامر منع فيها الاعتداء على سكان المدينة واستخدام العنف ضدهم وامرهم بأن يتم معاملتهم بالحسنى اثناء عملية حساب الضرائب المترتبة عليهم ، كما وسمح نادر للقوات الفارسية باستخدام العنف في حال تطلب ذلك .

عند الانتهاء من عملية الجرد ، تم مطالبة دلهي بمبلغ قدره ٢ كرور روبية (١٣) ، امر نادر كل من نظام الملك ، ساربولاند خان وثلاثة نبلاء اخرين بجمع المال . ولهذا قسمت دلهي الى خمس مناطق ، وقع على

عاتق كل شخص من هؤلاء النبلاء مسؤولية جمع المال من المنطقة المخصصة له . نفذ ساربولاند خان مهمته على نحو انساني قدر المستطاع ، اما بعض النبلاء الاخرين فنفذوا الاوامر بقسوة كبيرة وصلت الى حد التعذيب ، فكان حصيلتها تدمير وافلاس العديد من العوائل ، فأدى ذلك ، ونتيجة ليأسهم ، الى انتحار الكثير منهم (١٤) .

ان القيمة الاجمالية لجميع الاموال ، الجواهر والاشياء القيمة الاخرى التي حصل عليها نادر من الامبراطور ، النبلاء والسكان وجب ان تكون على اقل تقدير ٧٠ كرور روبية (١٥) (٧٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية) ؛ ذكر اناند رام ، " ان الكنوز المكدسة منذ ٣٤٨ سنة اصبحت بحوزة الشاه في لحظة " (١٦) . اضافة الى عرش الطاووس ، كان الاكثر شهرة وقيمة من غنائم نادر ماسة كوهي نور العظيمة (١٧) .

في ٣ صفر ١١٥٢ هجري (١٢ مايو) ، عقد نادر اجتماعا عظيما ، دعا اليه الامبراطور والنبلاء الهنود البارزين ، حيث وضع نادر وبكلتا يديه تاج هندوستان على راس محمد شاه ، كما واهداه سيفا وحزاما مرصعين بالجواهر ؛ ثم منح اردية شرف رائعة الى النبلاء .

وحسب ميرزا مهدي ، قام محمد شاه ، نظير اعادته الى سابق عهده كملك على الهند ، بالإصرار على نادر شاه لقبول الاراضي التي تقع الى الغرب من نهر السند " من حدود التبت وكشمير الى نقطة التقاء ذلك النهر في المحيط ، اضافة الى مقاطعة تتا وجميع الموانئ والحصون المنتمية الى هذه الاراضي " . ذكر ميرزا مهدي ايضا :

" ان الجزء الاكبر من الاراضي التي تقع الى الشمال والغرب من نهر السند كان دائما ينظر اليها على انها اراض تابعة لخراسان ، وافق الشاه على اضافة هذه الاراضي وتم كتابة سند من قبل محمد شاه تنازل فيه رسميا عن تلك الاراضي لصالح بلاد فارس بعدها سُلم السند لنادر شاه ليتم حفظه في الخزينة الامبراطورية " .

بعد ذلك وجه نادر النصائح الى الإمبراطور حول كيفية ادارة الدولة ، ونصح النبلاء الهنود بطاعة سيدهم (١٨) ؛ وأختتم قوله " اذا ما اراد

الامبراطور اي مساعدة من فارس ، فسيتم ارسال قوة من قندهار تصل دلهي خلال ٤٠ يوما ، واذا تطلب الامر حضوري فسأحضر شخصيا " .
ووفقا لميرزا زمان ، قام نادر بنصيحة محمد شاه للإبقاء على جيش مكون من ٦٠ الف فارس ، كما ونصحه بمصادرة اراضي النبلاء وارجاعها الى ادارته المركزية ، وان يمنعهم من امتلاك قوات خاصة بهم .

ذكر اسم محمد شاه في الخطبة ونقش اسمه على النقود بدلا من اسم نادر . وهكذا عادت السلطة مرة اخرى الى محمد شاه ، الا ان حدود مملكته قد تآكلت ، والقائد الاعلى لجيشه كما الالاف من جنوده قد قتلوا جميعا . جواهره قد اختفت ، وخزائنه اصبحت خاوية ، وهيبته قد اهتزت بسبب خوفه .

بعد ان انجز نادر كل اهدافه في دلهي ، قرر ان يغادرها ؛ وفي الواقع ان اقتراب فصل الصيف عجل من العودة الى الوطن .

وقبل مغادرته دلهي ، ارسل نادر عددا من صانعي القوارب الهنود والنجارين الى نهر اوكسوس ، عبر كابل وبلخ ، مع اوامر ببناء القوارب حتى يتم استخدامها في نقل الجيش اثناء حملة تركستان . كما واخذ نادر معه عددا من النجارين ، قاطعي الاحجار ، البنائين ، الصاغة وعدد من الحرفيين الاخرين ، لمساعدته على تشييد مدينة في فارس على غرار دلهي (١٩) . دخل في خدمة الشاه عدد من الاشخاص البارزين ؛ كان اهمهم علوي خان حكيم باشي او كبير الاطباء ، الذي عمل على معالجة نادر من مرض الاستسقاء الذي اصيب به قبل غزوه للهند . ورجل اخر دخل في خدمة الشاه ، وهو الخواجة عبد الكريم صاحب كتاب بيان الواقعة وهو ابن عقيبات محمود من كشمير .

تم اعداد قافلة هائلة تتكون من البغال والجمال لنقل جميع الكنوز ، وعدة مئات من الفيلة واعداد كبيرة جدا من الاحصنة كانت من بين الغنائم ايضا (٢٠) . في ٧ صفر (١٦ مايو) ، امتطى نادر حصانه العراقي ، وسار في شوارع دلهي الى بوابة كابل . كان اشوب احد المتواجدين

هناك ، حيث شاهد الشاه بوضوح تام . وذكر ، كان على راس نادر قبعة حمراء كان عليها جيك مرصع بالجواهر ؛ وكان يلف قبعته بشال من الكشمير الابيض . وذكر اشوب ان نادر بدى شابا ، ببنية قوية منتصبة ؛ وكانت شواربه ولحيته سوداء اللون . سار عبر شوارع دلهي مرفوع الراس وكان ينظر امامه . وعندما هتف له الناس ، القى بالروبيات نحوهم بكلتا يديه .

بعدما وصل نادر وجيشه الى حدائق شاليمار توقف للاستراحة حتى اليوم التالي . ليبدأ بعدها مسيرة العودة الطويلة الى ارض الوطن .

غزو الهند : من دلهي الى نادر اباد

من حدائق شاليمار تقدم نادر نحو سرهند واتخذ نفس المسار الذي سار به مسبقا اثناء زحفه صوب الهند . مثلت قافلة الامتعة الطويلة والغنية عامل جذب لا يمكن مقاومته لكثير من ساكني الارياف الجريئين ، حيث استغلوا عدة فرص للهجوم ونهب القسم الخلفي من القافلة ؛ ويقال ان نادر وقبل وصوله الى تانيسر خسر الفا من الحيوانات المحملة بالغنائم . غضب نادر كثيرا من جرأة الفلاحين تلك ، وامر بارتكاب المذابح وحرق القرى المجاورة ، وبالتالي اضيف دمار اضافي فضلا عن الدمار الذي خلفه الجيش الفارسي في الطريق المؤدي الى دلهي .

كانت الحرارة على السهول مرتفعة جدا حيث عانت منها القوات الفارسية كثيرا . ومن اجل الوصول الى سفوح الجبال وبسرعة اكبر لتجنب الحرارة اللاهبة ، سار نادر الى شمال سرهند ، ثم سار عبر سيالكوت الى ان وصل الى اخنور الى نهر تشيناب . كما كان هناك سبب اضافي اخر لتغيير مسار العودة وهو ان الريف بين سرهند ولاهور تم تخريبه اثناء المسيرة السابقة للجيش الفارسي وبالتالي لا يمكن لهذه الاراضي ان توفر مؤنا كافية للجيش ولا اعلافا للحيوانات .

بعد مغادرته دلهي ، ارسل نادر الابن البكر لزكريا خان ، ويدعى حياة الله خان ، الى لاهور مع اوامر بجمع مبلغ قدره ١ كرور روبية من المدينة ، ورافقه في مسيرته تلك عبد الباقي خان . بعدما علم زكريا خان بتلك الاوامر ، جمع اكثر من المبلغ المقرر ، وحملها بنفسه الى نادر ، حيث التقى بنادر قرب لاهور . ثم سارا معا الى ان وصلا الى تشيناب .

تم الوصول الى اخنور في ٢٧ صفر (٥ يونيو) ؛ هناك قامت القوات الفارسية بالاستجمام والتمتع بالمياه الباردة وكانت فرصة جيدة لهم لتجديد نشاطهم ؛ حيث عانت هذه القوات كثيرا من الحرارة العالية وما فاقم الوضع اكثر ثيابهم الثقيلة ، حيث وقعت العديد من الوفيات بين صفوف الجيش الفارسي نتيجة لذلك .

تسببت الامطار الغزيرة في المنطقة الجبلية الى الشمال بارتفاع منسوب النهر بصورة ملحوظة ، فكانت التيارات المائية قوية جدا . بدأت القوات الفارسية بالعبور على جسر من القوارب في اخنور ، لكن الجسر وبسبب التيارات المائية القوية والاحمال الثقيلة قد تحطم فتسبب بغرق ٢٠٠٠ شخص ، الا ان قسما من الجيش نجح بالوصول الى الضفة الاخرى من النهر قبل تحطم الجسر . وحسب عبد الكريم ، فانه اشار الى تحطم الجسر وكالاتي : عندما علم سكان اخنور باقتراب نادر نحوهم ، هربوا الى التلال وقاموا بتقطيع اعداد كبيرة من الاشجار . بعد ذلك قاموا بألقاء جذوع الاشجار تلك في نهر تشيناب حيث ارتطمت هذه الجذوع بالجسر بقوة بفعل التيارات المائية القوية فحطمت السلاسل التي تربط القوارب وبالتالي انهار الجسر . كان من المستحيل اصلاح الجسر او بناء جسر اخر ، لذلك امر نادر بقية قواته ، حملة الامتعة والمدفعية بأن يعبروا عبر كولوال ، تم العبور بواسطة القوارب وأُستغرق وقت طويل لإتمام عملية العبور الى الضفة الاخرى ، حيث انتهت في ٧ ربيع الثاني (١٤ يوليو) .

جمع رجال نادر الكثير من غنائم دلهي ، وقبل البدء بعملية العبور ، اصدر نادر امرا بتسليم تلك الغنائم لكنه سمح لهم بالاحتفاظ بالشيء القليل منها وكان هذا شرطا للعبور الى الضفة الاخرى . اطاع العديد من الرجال الاوامر ، الا ان البعض منهم رفض تسليم غنائمه ، وعندما علم نادر بذلك امر بنشر رجال موثوق بهم في مكان العبور للقيام بتفتيش الرجال اثناء توجههم الى الضفة الاخرى . قام بعض الرجال بدفن غنائمهم الثمينة ، على امل اخراجها فيما بعد ؛ وقيل ان البعض الاخر منهم قد غضب كثيرا من هذا القرار فقاموا بإلقاء غنائمهم من الجواهر والنقود في النهر (١) .

وقبل ان يغادر نادر الى الضفة الاخرى من نهر تشيناب ، امر بإطلاق سراح السجناء الهنود كما وكلف زكريا خان بمساعدتهم للعودة الى ديارهم سالمين ؛ ثم سمح لزكريا خان بالانصراف الى لاهور .

ويبدو انه في ذلك الوقت ، ارسل نادر اوامر الى محمد تقي خان بيكلربيك مقاطعة فارس ، بأن يجلب التعزيزات الى السند بحرا . هذه الاوامر وصلت الى محمد تقي خان في نهاية اكتوبر او بداية نوفمبر .

تحت الامطار الغزيرة واصل الجيش تقدمه من تشيناب الى جيلوم ؛ وبعد ان عبروا نهر جيلوم بواسطة الجسر ، واصل الجيش تقدمه عبر راولبندي متوجها الى حسن ابدال . وفي منطقة حسن ابدال ، ارسل نادر سفارات الى اسلامبول وسانت بطرسبيرغ لإعلامهم بإخبار غزوه للهند . انطلق السفراء نحو وجهتهم بمسيرة طويلة في ٢٠ من رجب (٢٣ اكتوبر) ، حاملين معهم هدايا ثمينة جدا ، وعدد من الافيال ، لتقديمها الى سلطان تركيا وامبراطورة روسيا .

في نهاية رجب (٤ نوفمبر ١٧٣٩ م) ، تلقى نادر رسالة من خراسان مفادها قيام البارس والاوزبك بالزحف نحو خراسان (كان ميرزا مهدي مخطأ عندما ذكر ان منطقة ابيورد وناسا قد تم احتلالهما) . هذه الاخبار جعلت من نادر اكثر تصميما من ذي قبل على غزو تركستان .

ولدى مغادرة منطقة حسن ابدال ، توجه نادر غربا باتجاه نهر السند . وخلال مسيرته تلك دخل في اراضي يوسفزي وهم من القبائل المعروفة بشجاعتهم وحبهم للحرب ، حيث ابدوا مقاومة كبيرة . وبعد عدة معارك عنيفة بينهم وبين الجيش الفارسي ، دخل نادر معهم في صلح ، وجند الكثير منهم في جيشه ؛ ولو لم يحدث هذا الصلح ، لكان من الممكن ان يؤدي ذلك الى تأخر كبير في مسيرة العودة ، وبالتالي لن يتمكن نادر ورجاله من الوصول الى الاراضي المرتفعة حول كابل ، حيث كانوا يسعون للوصول الى هناك قبل حلول موسم الثلوج لان الطرق في ذلك الموسم ستكون صعبة الاجتياز ان لم تكن مستحيلة .

بعد عبور نهر السند ، توجه نادر الى بيشاور وبعد ذلك عبر ممر خيبر وجلال اباد الى ان وصل الى كابل ، حيث دخلها في ١ رمضان (٢ ديسمبر) . وقد حضر جميع القادة الافغان والاعيان من المقاطعة للترحيب بوصول نادر الى كابل . لا يقل عن ٤٠ الف من افغان بيشاور

، كابل ، هزاره جات وغيرها من المناطق انضموا الى جيش نادر حيث ارسلوا الى هرات لانتظار وصول نادر هناك .

سابقا استدعى نادر حاكم السند القوي ، مايان نور محمد خدايار خان ، للحضور الى كابل لتقديم فروض الطاعة ، لكن زعيم كلهورا تجاهل هذا الامر . حيث ظن بأن نادر لن يتمكن من قيادة قواته والتوجه بهم جنوبا بهدف اخضاعه لعدة اسباب ، اولهما ، بعد المسافة بينه وبين نادر ، ثانيا ، إن الجيش الفارسي كان مرهقا بسبب مسيرة العودة الشاقة والطويلة ، واخيرا ، لحلول فصل الشتاء الذي من شأنه عرقلة مسيرة الجيش بسبب الثلوج والبرد القارس . في ٨ رمضان (٩ ديسمبر) ، وبالرغم من سوء الطقس والبرد الشديد سار نادر من كابل باتجاه الجنوب بهدف معاقبة خدايار خان (٢) . وخلال تلك المسيرة ، تخلى الجيش عن الفيلة حيث ارسلوها الى فارس عبر غزنه ، قندهار وهرات .

لا نعلم اي مسار سلكه نادر من كابل الى وادي كورم . حيث يبدو انه سار جنوبا لمسافة ١٥ ميل الى زاهد اباد ؛ هناك ربما اتجه الى الجنوب الشرقي وعبر الى وادي كورم العلوي عبر علي خيل واحمد خيل . وبدلا من ذلك ، ربما سار باتجاه الجنوب من زاهد اباد الى خاك هزاره ، وعلى ثلاثة مراحل من كابل ؛ من خاك هزاره سار شرقا الى هزاره دارخت ، قرب منبع كورم . ويبدو ان الطريق الثاني الذي سلكه هو الاكثر احتمالا وخصوصا في فصل الشتاء . وهناك اعتقاد انه سار جنوبا قبل ان ينعطف شرقا ، الى ان وصل الى منطقة بانو عبر وادي داور . ويقال ان نادر اخضع قبيلة داور بصورة تامة كما وفرض عليهم دفع جزية سنوية قدرها ١٢ الف روبية تدفع الى مقاطعة كابل حيث استمروا بدفع الجزية الى وقت زمان شاه دراني . كذلك ذكرت مصادر اخرى ان نادر اجتاز بنكش ويبدو من خلال الوقت الطويل الذي قضاه الفرس في وادي كورم انهم ساروا عبر اراضي بنكش وليس من طريق وادي داور ، لكن يبدو ان نادر ارسل قوة الى وادي داور لإخضاعها .

كانت مسيرة الجيش الفارسي متعبة جدا وقاسية ، فأولئك الذين نجوا من حرارة الصيف الحارقة في السهول مات العديد منهم بسبب البرد القارس

. وكان على الجيش وقافلة الامتعة الطويلة عبور نهر كورم بما لا يقل عن ٢٢ مرة ؛ العديد من الحيوانات المخصصة لحمل الامتعة غرقت خلال هذه المعابر حيث ان ربع الغنائم الهندية قد فقدت .

اخيرا ، في ١ شوال (١ يناير ١٧٤٠ م) ، خرج الجيش من كورم ، حيث اطلق عليه الفرس لقب وادي الشيطان لما عانوه هناك من مصاعب كثيرة في اجتيازه ؛ وعندما دخلوا الى الاراضي المنخفضة ، كانوا سعيدين لما رأوه من حقول خضراء وتنفسوا الهواء الدافئ .

وبالرغم من ابتهاج الجنود لاجتياز وادي كورم ، الا ان هذه البهجة لم تدم طويلا . حيث قام الحكام المحليون بالتحصن في معاقلهم وفضلوا المقاومة على الخضوع ، قام بعض من رجال قبيلة بنوشي بالهجوم على الفرس . ويقال ان بعضا من رجالهم ذعروا عندما شاهدوا الفرس وهم يرتدون اللون الاحمر وكذلك حال لون خيامهم ايضا . تعامل نادر مع رجال القبائل الذين هاجموه بقسوة شديدة ؛ ومثال ذلك عشيرة غري التي كان قوامها الف رجل ، كان ذلك قبل الاشتباك بجيش نادر ، لكن وبعد انتهاء المعركة ومغادرة الجيش الفارسي تبقى من عشيرة غري شخصان فقط .

ارسل خدايار خان اوامر الى رجال القبائل والزعماء المحليين بإجلاء اراضيهم وان يقوموا بتخزين كميات كبيرة من الحبوب ويخفوها بعيدا عن انظار الفرس ويقوموا بحرق المتبقي منها ليزيد من معاناة الجيش الفارسي ، لذلك تعين على الفرس ارسال بعض من القوات بعيدا للحصول على مؤن كافية .

ويبدو ان نادر ، عندما كان قرب بازار احمد خان ، اتجه جنوبا من كورم الى نهر توجي ، وعبر خلال او بالقرب من مدينتي بهارت و كاكي واجتاز منطقة نار وصحراء مروت . كان يجب ان يمر عبر ممر بيزو ، بين بتاني ومروت ثم سار جنوبا الى ديرا اسماعيل خان ، حيث وصلها في ٥ من شوال (٥ يناير ١٧٤٠ م) . جاء صادق خان ، رئيس قبيلة داود بوترا ، للترحيب بقدوم نادر الى ديرا اسماعيل خان وليعلن

خضوعه ايضا ، كما ووعد بتقديم المساعدة ضد خدايار خان . قبل وقت ليس ببعيد ، ازدادت قبيلة داود بوترا قوة وثراء وبسبب ذلك اشتعلت نيران الغيرة والحقد في صدر خدايار خان ؛ لذلك هاجمهم حاكم السند ومنذ ذلك الوقت اصبحوا يكنون العداوة والبغضاء لخدايار خان .

في ديرا اسماعيل خان نقل نادر الجزء الاكبر من جيشه بواسطة القوارب وتقدموا عبر النهر الى ديرا غازي خان حيث وصلها في ١٥ شوال (١٥ يناير) . ومن هناك ارسل نادر استدعاء اخز لخدايار خان ، لكنه لم يمتثل الى الاوامر مرة اخرى .

وبعد ان اخضع جميع القبائل في المناطق المجاورة ، سار نادر باتجاه الجنوب ، ووصل الى لاركانا في ١٤ ذو القعدة (١٢ فبراير) ؛ وهناك علم ان خدايار خان هرب باتجاه كجرات . ترك الشاه امتعته في لاركانا ، وسارع للسعي خلف الخان . ولدى وصول نادر الى شهدادبور وجد في انتظاره بعض الهدايا وتوسل من الخان ؛ لكن وبالرغم من ذلك استمر خدايار خان بهربه عبر الصحراء الى قلعته في عمر كوت ، مسقط راس اكبر .

في ٢٨ ذو القعدة (٢٦ فبراير) ، غادر نادر شهدادبور وقام بمسيرة شاقة عبر الصحراء الى عمر كوت حيث قطع بمسيرته تلك ثلاثين فرسخا ، وفي اليوم التالي تمكن من الوصول الى هناك . بعد ان خبأ كنوزه ، استعد الخان للهرب مرة اخرى ، لكنه وجد ان الوقت قد تأخر فقوات نادر تحيطه من كل جانب . طلب من نادر لقاء استسلامه ، ان يحافظ على حياته وحياة اسرته ؛ فوافق نادر على شرطه هذا ، لان قواته كانت بلا ماء او مؤن لذلك فان عامل التأخير لا يصب بمصلحة نادر ورجاله .

هناك روايات مختلفة تتحدث عن لقاء نادر بخدايار خان وعن طريقة تخلي الاخير عن كنوزه . يذكر عبد الكريم ، ان عددا من المقتنيات الثمينة التي كانت تعود ملكيتها سابقا الى الاسرة الصفوية قد اكتشفت بين كنوز خدايار خان ؛ وتبين ان الافغان الغلزائيين في قندهار ، ولدى

علمهم بقدوم نادر نحوهم ، قد اخرجوا الغنائم الفارسية في كل اتجاه ، وان البعض من هذه الغنائم تم شراؤها من قبل خدايار خان . بلغت قيمة جميع الذهب ، الجواهر والآلئ ، الذي اجبر الخان على تسليمها ، رقما تجاوز ١ كرور روبية .

بعد ان قضى نادر اياما قليلة في عمر كوت ، عاد الى لاركانا ، جالبا معه خدايار خان الذي كان مقيدا بالسلاسل . بعد وصوله بخمسة ايام الى لاركانا ، احتفل نادر بعيد النوروز حيث كان احتفالا عظيما .

في ذلك الوقت ، استجاب زكريا خان لاستدعاء نادر ، وعند وصوله الى لاركانا ، عامله الشاه بلطف واحترام كبيرين (٣) .

يبدو ان نادر كان راضيا عن سلوك خدايار خان ونواياه بعد ان اعلن الاخير استسلامه وخضوعه ، فعفى عنه وامر بتعيينه خانا على تتا وجزء من السند ، اي ما يقارب ثلث اراضيه التي كان يحكمها سابقا ؛ كما ومنحه نادر لقب شاه قولي خان (عبد الشاه) . وفي المقابل ، وجب على خدايار خان دفع مبلغ سنوي قدره ١٠ لاك روبية كما وتوجب عليه ايضا مد جيش نادر بحوالي ٢٠٠٠ فارس بقيادة احد ابناءه . اما المتبقي من اراضي خدايار خان فقسمها نادر ؛ حيث منح محبت خان جزء من السند المتاخم لبلوش ستان وكجهي ، كما وكافأ صادق خان ، رئيس قبيلة داوود بوترا ، بمنحه منطقة شكاربور والهضبة العليا للسند .

عندما كان نادر في لاركانا ، وصله سفير من محمد شاه حاملا معه رسالة وهدايا ثمينة . فرد نادر على الرسالة ردا مناسبا ، وارسل الى الامبراطور هدايا تمثلت ببعض الخيول الرائعة وقافلة مكونة من مئتي جمل تحمل بطيخا من بلخ كانت هدايا تافهة مقارنة بعرش الطاووس وكنوز الهند الاخرى التي تم منحها لنادر (٤) .

بعد ان اكد نادر على زكريا خان وابنه حياة الله على خدمة الامبراطور بإخلاص ، سمح لهما بالعودة .

بعد ذلك ارسل نادر توجيهات الى رضا قولي ميرزا (الذي كان متواجدا في طهران حينها) بالذهاب نحو هرات ، غادر نادر لاركانا متوجها الى نادر اباد في ١٣ محرم ١١٥٣ هجري (١٠ ابريل) ، جالبا معه اثنين من اولاد خدايار خان كرهائن . اما الطريق الذي سلكه نادر فكان عبر غاندافا وسبي ، ثم اجتاز ممر بولان ، ثم صحراء دشتي باي دولت الرهيبة ، ثم سار الى شال (كويته) والى بوشنك (بيشين) ؛ وصل نادر وجيشه الى نادر اباد في ٧ صفر (٤ مايو) ، حيث قضى اكثر من عامين قمريين منذ ان خرج من هناك لغزو الهند .

غزو رضا قولي ميرزا لتركستان واخر حملات ابراهيم خان

بينما كان نادر مشغولا في حملته ضد قندهار ودلهي ، حصلت عدة حوادث مهمة اثناء غيابه في خراسان ، تركستان ، اذربيجان والخليج الفارسي .

وكما سبق ذكره ، كان نادر قبل تتويجه في مارس ١٧٣٦ م ، قد عين ابنه الاكبر رضا قولي ميرزا حاكما على خراسان ، وامره بالذهاب الى اندخود لمعاقبة حاكمها المتمرد علي مردان خان افشار . توجه رضا قولي الى مشهد في ربيع ١٧٣٦ م ، لكنه لم يتقدم الى اندخود الا بعد ١٢ شهرا ، ربما لان قواته لم تكن مستعدة بعد . في تلك الاثناء استلم رضا قولي اوامر من نادر بالتوجه من اندخود الى بلخ ، لتأديب حاكمها المتمرد ابو الحسن خان .

عندما غادر رضا قولي مشهد لبدء حملته ، رافقه في مسيرته تلك طهماسب خان جالاير ، الذي كلفه نادر بمرافقة ولده وادارة العمليات العسكرية نيابة عنه بسبب ان رضا قولي كان لا يزال شابا يافعا (كان عمره ١٧ عاما) ؛ كما ورافق الامير ايضا بابا خان شوشلو ، الذي كان قائدا اخر برتبة عليا . في ماروشاق تم تعزيز قوات الامير بقوة قادمة من هرات (١) .

عندما وصل جيش الامير الى اندخود ، قام بعض الافشار المحليين بالتخلي عن علي مردان خان ، لكنه وبالرغم من ذلك فقد تمكن من المقاومة لستة اسابيع قبل ان يضطر اخيرا الى الاستسلام (٢) . عُين حاكمٌ جديدٌ على اندخود (اما علي مردان فارسل الى هرات حيث اعدم هناك) ، وتم اخضاع تشاجكتو وشيبارقان ، ثم تقدم الامير وجيشه صوب بلخ . فبعد ان هزم قوة من الاوزبك قرب اغجا واستولى على تلك المدينة ، توجه الجيش صوب بلخ ، فوصل اطرافها في ٣ ربيع الاول (١ يوليو ١٧٣٧ م) . اراد حاكمها ابو الحسن ، الذي ينحدر من سلالة جنكيز خان ، الخضوع مباشرة لرضا قولي ، الا ان اصرار زعيم اوزبكي ، يدعى سعيد خان ، على المقاومة حال دون ذلك . وبعد معركة قصيرة

وعنيفة تم هزيمة الاوزبك حيث تكبدوا خسائر ثقيلة بعد ذلك تقدم الفرس نحو بلخ . ابو الحسن ، وبعد صموده لفترة قصيرة في القلعة ، استسلم لرضا قولي ، حيث تمت معاملته بصورة جيدة بسبب انتسابه لعائلة جنكيز خان ، ثم ارسل مع بعض القادة الاخرين واعيان بلخ الى نادر في قندهار .

بعث رضا قولي بقائد قوات مرو ، ويدعى شاه قولي بيك قاجار ، لملاحقة سعيد خان ورجاله ؛ فنجح شاه قولي بيك بهزيمة الاوزبك موقعا بهم خسائر فادحة ثم عمل على ملاحقتهم مرة اخرى . كان من المتوقع ان يتلقى سعيد خان تعزيزات قوية من زعماء الاوزبك الاخرين ، فتم ارسال بابا خان شوشلو وعدة الاف من الرجال لتعزيز قوات شاه قولي بيك ايضا ؛ بعد ذلك نجح سعيد خان بالهرب من ملاحقيه الى منطقة قندوز .

وفي الوقت نفسه ، امر رضا قولي باستدعاء دانيال بيك ، زعيم قبيلة قونقرات ، لتقديم الطاعة ، لكن دانيال بيك ارسل ردا غامضا . شعر رضا قولي بالحيرة ، فاستشار طهماسب خان ، الذي بدوره نصحه بالاتي " يكون اخضاع الاراضي من خلال السعي وبذل الجهد " . نفذ الامير هذه النصيحة ، وتقدم مع جزء من قواته الى الاوكسوس ، دون استخدام سلاح المدفعية ، يرافقه بمسيرته تلك طهماسب خان جالاير ؛ وبعد ان نجحوا بعبور النهر ، ساروا لمدة ٤٨ ساعة الى معسكر قونقرات وسرعان ما تم هزيمة دانيال بيك ورجاله .

وبالرغم من عدم تلقي رضا قولي اي اوامر من نادر للقيام بعمليات عسكرية على الجانب الاخر من نهر الاوكسوس ، الا انه سار وبكل جرأة نحو قرشي ، ثم ارسل رضا قولي اوامر الى بلخ لجلب المدفعية الى هناك .

علم محمد رحيم باي (٣) ، الذي شغل منصب كبير وزراء ملك بخارى ابو الفيض خان وكان احد مستشاريه البارزين ، بإخبار العمليات العسكرية في بلاد ما وراء النهر وبتقدم الجيش الفارسي الى قرشي .

فجمع قوة كبيرة ونجح في الوصول الى قرشي قبل مجيء القوات الفارسية الى هناك . وعندما ظهر الجيش الفارسي ، وقعت معركة شديدة خارج المدينة ، فتم هزيمة الاوزبك ، كما وقتل العديد من قادتهم . قام محمد رحيم باي وعلى الفور بإرسال رسالة الى بخارى ، جاء فيها " ان لم ترسلوا التعزيزات فأن المدينة ستسقط بيد الفرس " . استدعى ابو الفيض خان رجال قبائل انديجان ، سمرقند ، خجند ، طشقند وغيرهم من المناطق لإرسال المساعدة ، ثم ناشد البارس (٤) ، خان خوارزم ، ان يفعل بالمثل . كما وطلب من قره قالباغ والقازاق (الكازاخ) ارسال الرجال ايضا .

عندما رأى ان قواته اصبحت قوية بما يكفي ، غادر ابو الفيض عاصمته ونجح في اختراق الخطوط الفارسية حول قرشي ودخل المدينة . وبعد ايام قليلة خرج جيش بخارى من اجل خوض المعركة .

بعد ان شاهد اضطراب رجاله ، امر رضا قولي قادة جيشه لعقد اجتماع طارئ ، حيث قال الامير " بسبب اعدادهم الكثيرة فأرى من الحكمة ان نتراجع الى بلخ " . فرد طهماسب خان " اذا ما تراجعنا فإن الاوزبك سيلحقون بنا ويهاجموننا موقعين بجيشنا خسائر فادحة فأن كان نادر بيننا الان سيأمرنا بالهجوم وعدم التراجع بالرغم من الصعاب الكثيرة " . عمل الامير بنصيحة طهماسب خان جالاير وفي تلك الاثناء وصلت المدفعية ، وهنا نود التنويه بأن من قاد المعركة هو طهماسب خان وليس الامير ، بسبب اوامر نادر سابقة الذكر بأن تكون لطهماسب خان اليد العليا في الشؤون العسكرية .

ذهبت المعركة في البداية لصالح الاوزبك ، الا ان الفرس وعلى الرغم من تراجعهم لم يخسروا القلب . تسببت المدفعية الفارسية بالفوضى في صفوف الاوزبك ، واحدثت دمارا هائلا في صفوفهم ، فانقلبت الافضلية لصالح الفرس . ادينه بيك ، قائد رجال قبيلة اق يالان وزعيم خجند وطشقند ، قد قتل ، كما وقتل العديد من القادة البارزين في صفوف الاوزبك ايضا ، اما الجيش الاوزبكي فأجبر على الانسحاب الى قرشي ، وضرب الحصار حول المدينة من قبل الفرس (٥) . بعد ان ترك من

الرجال ما يكفي لحصار قرشي ، سار رضا قولي برفقة طهماسب خان جالاير وبابا خان شوشلو الى حصن شولوك المجاور ، حيث سقط هذا الحصن بعد حصار دام شهرا كاملا . وخلال هذا الحصار تلقى الفرس ضربة موجعة بعدما قام رجل اوزبكي بارع في الرماية بقتل بابا خان شوشلو .

في هذه الاثناء ، وصل البارس خان خوارزم ، الذي كان متأخرا بعض الشيء ، الى اطراف بخارى لمساعدة ابو الفيض خان ، لكنه وجد ان الملك قد غادر الى قرشي . ففكر في الاستيلاء على بخارى لنفسه ، مستغلا غياب ابو الفيض . وبناء على ذلك ارسل البارس رسالة الى المدينة مفادها ان الملك قد تم اسره من قبل قوات القزلباش وان هذه القوات مستمرة في تقدمها للاستيلاء على بخارى ؛ ولذلك فقد رغب بمنحه الاذن للدخول الى المدينة ، ليكون قادرا على مساعدة السكان في الدفاع عن المدينة ضد القوات الفارسية . وفي تلك الاثناء ، انتشرت اشاعة مفادها ان الفرس استأنفوا تقدمهم ، وفي حالة من الذعر ، تخلى البارس عن خطته واسرع للعودة الى خيوة .

بعد ان نجح في الاستيلاء على شولوك ، عاد رضا قولي الى قرشي بهدف الاستيلاء عليها . في خضون ذلك ، تلقى نادر رسالة جاء فيها عن عمليات رضا قولي ضد القونقرات وعن عملياته ضد قرشي وشولوك . وبسبب ان تركستان كانت مملكة شاسعة وكانت مصدرا دائما للمقاتلين منذ ايام جنكيز خان وتيمور ، فخشى نادر من اتحاد جميع الاوزبك ثم سحق جيش رضا قولي قليل العدد قبل وصولهم الى الاوكسوس . فبعث برسالة الى رضا قولي يوبخه فيها عن تصرفاته تلك وامره بالانسحاب الفوري الى بلخ ، والبقاء هناك ريثما تصله توجيهات اخرى . ثم بعث برسالة الى طهماسب جاء فيها :

" ايها القواد الخرف لقد امرتك بالبقاء في بلخ بعد اخضاعها ولكنك عصيت اوامري وفضلت الغزو بدلا من ذلك ثم ادخلت افكارك الشيطانية تلك الى رأس ابني الحبيب رضا قولي مستغلا صغر سنه ففي عمره هذا يكون الشاب مندفعا لا حكيما في قراراته اوقعت نفسك واوقعت معك

ابني وجيشه المنتصر في محيط المصائب اتمنى من الله ان لا تتحد جيوش الاوزبك القازاق قلميوق الجاغطائيون الروس والانان مع بعضها البعض ويخوضوا معركة ضد القوات المنتصرة قليلة العدد الذين هم تحت قيادتك عند استلامك كتابي هذا وعلى الفور عد الى قبة الاسلام بلخ وسآمر بفصل راسك عن جسدك " .

وفي نفس الوقت ، وحسب ميرزا مهدي ، ارسل نادر رسالة الى ابو الفيض خان ، يؤكد له فيها احترامه لسلطة الخان على بخارى لأنه سليل جنكيز خان من جهة كما كان تركمانيا من جهة اخرى ، كما واخبره بأنه امر ابنه بالكف عن محاربته (٦) .

وصل الرسل بهذه الرسائل الى قرشي في الوقت الذي كان فيه محمد رحيم باي قد فقد الامل في الصمود لفترة اطول . لكنه ابتهج بعدما علم بانسحاب رضا قولي وطهماسب خان جالاير ؛ اعتقد محمد رحيم باي ان اوامر الانسحاب تلك كانت بسبب هزيمة نادر ، فاستعد لمهاجمة قوات القزلباش حال انسحابهم . طهماسب خان ، وبحكم خبرته ، كان يعلم بحركة الهجوم تلك ، لذلك بقى في مؤخرة الجيش ، وفعلا عندما انسحب الفرس هاجمهم الاوزبك فوجدوا طهماسب خان لهم بالمرصاد ، نجح طهماسب خان بصد الاوزبك وقام بهجوم مضاد اجبرهم على العودة الى بوابات قرشي كما وكبدهم خسائر كبيرة . ثم سارع الجيش الفارسي للسير نحو الاوكسوس ، الا ان الرجال عانوا من البرد القارص (شتاء ١٧٣٧- ١٧٣٨ م) . بعد عبورهم النهر ، وصلوا الى بلخ بأمان .

سار رضا قولي وطهماسب خان الى منطقة قندوز ، بسبب ان حاكمها ، وبتحريض من القائد الاوزبكي سعيد خان ، قد تمرد . كان الهجوم الفارسي ناجحا ، وادى الى مقتل كل من حاكم قندوز وسعيد خان . بعد ان جعل شؤون قندوز مستقرة ، قام الامير ، وبسبب اندفاعه ، بالتوجه الى بدخشان ، لكن عند وصول الامير وطهماسب خان جالاير الى كولاب ، في الجزء الغربي من تلك المنطقة ، تلقيا اوامر من نادر تأمرهما بالعودة الى بلخ والبقاء هناك وانتظار التوجيهات الجديدة ؛ فتم اطاعة الاوامر .

عندما غادر رضا قولي مشهد للقيام بحملته ضد اندخود وبلخ ، نصب ابن عمه علي قولي خان ، الابن الاكبر لإبراهيم خان ، حاكما على مشهد . كان علي قولي بنفس عمر رضا قولي ، لكنه كان شابا فاسقا منغمسا في الملذات حيث كرس وقته لملذاته الشخصية اكثر من ادارة شؤون المقاطعة .

تم استدعاء العديد من الرجال للمشاركة في حملات نادر شاه ورضا قولي ، لذلك بقى القليل من الرجال للدفاع عن خراسان . زار محمد امين مهتار ، وهو مسؤول بارز كان في خدمة حاكم خوارزم ، مدينة مشهد في ذلك الوقت ، فلاحظ رعونة علي قولي في ادارة خراسان ، كما وشاهد الاعداد القليلة للقوات المكلفة بحماية خراسان ايضا . ولدى عودته الى خيوة ، ابلغ البارس بما شاهده هناك ، وعلى الفور امر البارس بجمع قوة كبيرة للقيام بحملة هدفها الاستيلاء على خراسان . بعد وصول البارس الى خيوة قادما من بخارى ، استدعى جميع القوات من الحصون الخمسة لخوارزم ، كما وطلب من القازاق ، آرال ، تكه ، ياموت ، ساريق ، ارساري وقبائل تركمانية اخرى إرسال التعزيزات . وبعدما قام بجمع قوة كبيرة (ذكر محمد كاظم ان البارس جمع قوة قوية قوامها ١٠٠ الف رجل ، ولكن يبدو انه رقم مبالغ فيه) ، قيل ان البارس ذكر بتفاخر عن استطاعته غزو خراسان ، كما وذكر انه بهزيمة نادر في الهند فسيتمكن من ضم خراسان الى مملكته .

علم علي قولي ، من خلال الجواسيس القادمين من خيوة ، بنوايا البارس ، رفض تصديقهم بادئ الامر . الا ان تقارير اخرى ، اكدت له ولمستشاريه باقتراب الخطر ، وعلى الفور قام علي قولي بإرسال هذه التقارير الى نادر . ولدى سماعه بتلك الاخبار ، بعث الشاه برسل الى رضا قولي وطهماسب خان جالاير في بلخ يأمرهما بالتوجه لمقابلته فورا من اجل تنظيم دفاعات خراسان من اي هجوم خارجي ؛ وفي نفس الوقت ، صمم الشاه على معاقبة البارس لدى عودته من الهند . سافر الامير وطهماسب خان عبر قندوز ، كابل ووصلا الى بهار سفلى حيث التقيا بنادر هناك . استقبل الشاه ابنه بعطف كبير ، ولكنه تجاهل

طهماسب خان ، فكان الاخير خائفا من ان ينفذ نادر وعده بقطع راسه . بعد ذلك امر نادر باستدعاء طهماسب خان للمثول امامه فوبخه بشدة على تصرفاته ، الا انه ، وبعدما شاهد اسف طهماسب وعمق حزنه الصادق جراء عدم اطاعة اوامره ، امر بمسامحته .

ثم تلا ذلك تعيين رضا قولي بمنصب نائب الشاه على بلاد فارس . اقيم احتفال كبير بهذه المناسبة ، وزعت فيه معاطف الشرف على الاشخاص البارزين . وبعد الانتهاء من مراسم الاحتفال تلك ، اخذ نادر ولده رضا قولي الى مقره ، وعلى انفراد اعطاه الارشادات والتوجيهات ، كما وامره نادر بالعمل بها ان لم تصل اي اخبار عنه لمدة ستة اشهر :

" عندما تصل الى فارس شدد الحراسة على الشاه طهماسب المسجون في سبزوار وامنع اي شخص من الوصول اليه واظهر اهتمامك وتقديرك للحكام والنواب الذين قمنا بتعيينهم في المقاطعات التابعة للملكة ولا تعمل على عزلهم من مناصبهم الا اذا تمردوا وابقي عينيك مفتوحة ولا تغفل عن ساكني السهول (الاوزبك) ولا سامح الله اذا ما قام اي جيش من تركستان تركيا او اوروبا بمهاجمة فارس فاستشر الزعماء والقادة ورؤساء القبائل فيما يتعلق بمحاربتهم وفي مثل هذه الحالة خذ مشورتهم ولا تكن متهورا في الذهاب الى الحرب بينما يمكنك عقد سلام معهم اسحق اللصوص والاشرار والمخربين عامل التجار والقوافل القادمة من خارج حدود المملكة جيدا فستزداد شهرتك في جميع ارجاء العالم على انك رجل ذو كرم ومرؤة وعدالة لا تسرف في الاموال وكن حريصا ولكن ان كانت هناك كارثة تهدد مملكتك فلا تتردد بان تبسط يديك وتمنح الاموال الى الجنود لدرء الخطر عنك وعن مملكتك " .

في وقت لاحق ، اعطى نادر توجيهات الى رضا قولي بعدم مهاجمة البارس وأن يبقي المدينة في حالة تأهب ودفاع ، وامره بكتابة تقرير مفصل له عن الاوضاع لحظة بلحظة ، ذكر نادر " سأُعاقبه واجعل منه عبرة للمتمردين والاشقياء " . بعد ذلك سمح للأمير بالرجوع ، فسافر على وجه السرعة نحو هرات ، حيث انضم اليه ٦ الاف رجل كانوا متوجهين الى بلخ . وبعد ارساله رسالة الى علي قولي في مشهد تخبره

بالانضمام اليه ، اتجه رضا قولي الى نهر تجن لمعرفة اخبار البارس ورجاله (ويبدو ان البارس وجيشه كانوا حذرين في شن هجومهم المرتقب) . ابلغ الكشافة رضا قولي عن اقتراب قوة اوزبكية كبيرة جدا ، وبعد ان استشار قادة جيشه ، فضل الانسحاب الى ابيورد . عندما وصل البارس الى نهر تجن ، تشاور مع قادة جيشه ، وتوصل الى تجزئة جيشه للقيام بهجوم متزامن على مشهد وعدد من المناطق الاخرى . حدثت خصومة في هذه الاثناء بين قره قالباغ وارال تركمان من جهة وبين تكه من جهة اخرى ، لكن البارس تمكن من حل هذه الخصومة بصعوبة كبيرة . وبينما كان هذا النزاع في ذروته ، وصل رسول من خوارزم مع اخبار مفادها ان زعيم القازاق ، ويدعى طوقتاميش خان ، قد استغل غياب البارس عن خوارزم وكان ينوي مهاجمة اراضيه . تسببت هذه الانباء بتخلي البارس عن فكرة غزو خراسان كليا واسرع بالعودة الى مملكته . ارسل رضا قولي رسلا الى نادر في الهند لأعلامه بابتعاد الخطر عن خراسان ثم توجه بعد ذلك من ابيورد الى مشهد .

الان يجب وصف الاحداث التي جرت شمال غرب فارس :

كان منصب ابراهيم خان في الجزء الشمالي الغربي لفارس مماثلا لمنصب ابن اخيه رضا قولي في الجزء الشمالي الشرقي ؛ الا ان ابراهيم وبسبب كبر سنه وخبرته ، أنيطت به مسؤولية ادارة العمليات العسكرية في المنطقة .

لم يشكل الروس والاتراك اي تهديد على الجزء الشمالي الغربي لفارس ، طوال فترة ولاية ابراهيم خان ؛ اما الجورجيين ، الذين اخضعهم نادر ، فكان لهم رأي اخر حيث اعلنوا التمرد ، لكن هذا التمرد سرعان ما تم قمعه على يد صافي خان بوغيري ، قائد تفليس ، فتم أسر تيموراز مع عدد اخر من الجورجيين البارزين وارسلوا جميعهم الى نادر كرهائن . الا ان الخطر الحقيقي الوحيد قد تمثل باللزجيين ؛ فعلى الرغم من خضوع العديد من قادتهم ، الا ان هؤلاء المتوحشين كانوا على استعداد دائم لاغتنام اي فرصة للإغارة على المناطق المجاورة الغنية الواقعة الى الجنوب والجنوب الشرقي .

حصلت غارة للزجبين في اكتوبر ١٧٣٦ م ، الا ان قوة فارسية – جورجية مشتركة نجحت بصدهم واجبرتهم على الانسحاب .

في وقت ما من الخريف او بداية الشتاء ، توفيت احدى زوجات ابراهيم ؛ حيث كانت ابنة الشاه سلطان حسين وعلى ما يبدو ، فإنه تزوجها قبل خمس سنوات . امر ابراهيم خان والد المؤرخ محمد كاظم ، والذي " كان من اصدقاءه المخلصين " ، بنقل الجثمان الى مشهد للقيام بمراسم الدفن . فقام بمهمته تلك ، وعاد هو وابنه محمد كاظم الى اذربيجان ؛ عامل ابراهيم خان الشاب محمد بلطف كبير وعينه ، بناء على طلبه ، كأحد حراسه الشخصيين .

وخلال ذلك الشتاء ، وبناء على اوامر من نادر ، ارسل ابراهيم ابنه الاكبر علي قولي خان الى مشهد ، ليعين حاكما هناك . وبعد فترة وجيزة ، تم ارسال ابنة تيموراز وتدعى كيثوان الى مشهد ، حيث تزوجت من علي قولي حال وصولها الى هناك ، واقيمت احتفالات كبيرة على شرف هذه المناسبة (٧) .

سياسيا ، كان عام ١٧٣٧ م هادئا نسبيا في الشمال الغربي ، الا انها كانت سنة بلاء ، بسبب ظهور مرض الطاعون قرب كنجه حيث انتشر بسرعة كبيرة الى المناطق المجاورة . كان ابراهيم خان مرعوبا من هذا الوباء ، وعلى الفور غادر الى تفليس ، ولكن عند اقترابه من هناك علم ان الوباء قد انتشر في المدينة ؛ لذلك غادر نحو ايروان ، لكنه لم يصل الى هناك بسبب الوباء . محمد كاظم ، الذي رافق ابراهيم خان ، اعطى وصفا رهيبا لحجم الدمار الذي خلفه ذلك الوباء في نخجوان ، بالقرب من مخيمهم . وعلى امل الهروب من الوباء ، عادوا الى تبريز ؛ ولدى وصولهم الى هناك ، توفي والد محمد كاظم بصورة مفاجئة ، وعلى ما يبدو ، فأن سبب الوفاة تلك لم يكن من مرض الطاعون . بقى ابراهيم لفترة من الوقت في تبريز ، لكنه غادرها بسرعة بعد ظهور الوباء هناك وحسب محمد كاظم (لا يقل عن ٤٧ الف شخص لقوا حتفهم هناك خلال شهرين فقط) . بعد قضاء بعض الوقت في اردبيل ، عاد ابراهيم خان

الى تبريز بعد ان وصلته تأكيدات بخلوها من الوباء (كان هذا على ما يبدو في بداية ١٧٣٨ م) .

في ربيع او اوائل صيف ١٧٣٨ م ، تلقى ابراهيم خان اخبار بطولات رضا قولي العسكرية في تركستان ، حيث اشعلت في صدره نار الغيرة والمنافسة . فقال عن حملة رضا قولي " بالرغم من انه ما زال شابا الا انه استولى على كامل الاراضي في بلاد ما وراء النهر لذلك توجب علينا الاستيلاء على مملكة داغستان " . صدرت الاوامر الى زعماء القبائل في اذربيجان والمناطق المجاورة للتجمع في تبريز مع رجالهم . وبعدما تجمعت هذه القوات ، سار ابراهيم خان الى قره باغ حيث انضمت اليه قوات من شيروان ، ايروان ، جورجيا واماكن اخرى ؛ وكان من بين الجورجيين الذين انضموا اليه ، تيموراز العائد توا من قندهار . تقدم ابراهيم خان عبر بردعة وعبر نهر اراس وكورا ، واستدعى كل من زعيم الكاخ وقانيق ، احمد خان زعيم القاراقيتاق ، الشمخال (يبدو انه سورخاي وليس القاص فولاد) ، ابن سورخاي ويدعى مرتضى علي وغيرهم من زعماء القبائل الاخرى . باستثناء زعيم الكاخ وقانيق ، رفض الجميع الحضور ، اما مرتضى علي فأعلن تمرده علنا .

كان ابراهيم خان على راس ٣٢ الف رجل ، فتوجه بجيشه بعد عبور نهر اغري تشاي الى كاخ ، حيث تشاور هناك مع قادة جيشه . فقرر بناء حصن قوي في كاخ لترك الامتعة الثقيلة فيه ؛ وكان من المقرر ارسال القسم الاعظم من الجيش غربا الى منطقة تسمى اق برج ، حيث شيدها الشاه عباس كمقر له . كما وامر ببناء حصن اخر في اق برج ، ليكون بمثابة قاعدة متقدمة للعمليات ضد جار وتالا .

عند هذه المرحلة وصل رسولان مبعوثان من نادر الى ابراهيم خان يحملان اوامر بالسماح لقادة مرو وقواتهم بالمغادرة ؛ وارسلت اوامر اخرى مماثلة الى اجزاء اخرى من البلاد . محمد كاظم ، الذي كان شابا متحمسا ، اقترح البقاء مع ابراهيم خان ، فقبل الاخير مقترحه . اما رجال مرو فقاموا بالترتيبات اللازمة لسفرهم ، وكان مجموعهم ما يقارب ٦٠ شخص ، حيث قرروا المغادرة في اليوم التالي . في تلك الليلة

حلم محمد كاظم ان اللزجيين هاجموا الفرس وانتصروا عليهم ورأى في منامه ايضا ان علم ابراهيم خان كان اسودا وكان الخان نفسه مغطى بالطين والتراب وكذلك حال جواده . فاعتبر هذا الحلم فأل سيء لبقائه ، فذهب الى ابراهيم خان في صباح اليوم التالي وقال له ، دون اخباره بتفاصيل الحلم ، " ان جميع اصدقائي سيعودون الى ديارهم ، وانا لا استطيع العيش من دونهم " . عندما شاهد ابراهيم حزن الشاب ، منحه هدية وسمح له بالعودة رفقة اصدقاءه . سافر محمد كاظم عبر تبريز ، وهناك استخرج جثة والده لدفنها في مشهد .

تقدم ابراهيم خان الى اق برج ، حيث تم الانتهاء من بناء الحصن على وجه السرعة وتم التحضير للهجوم المرتقب على جار وتالا . وفي الوقت نفسه ، تم تحذير اللزجيين من نوايا ابراهيم خان ؛ فحشدوا جميع الرجال المتاحين في الجوار ، ثم ارسلوا مناشدة عاجلة الى اللزجيين والقاراقيتاق في داغستان لتقديم العون ، فحشدوا ٢٠ الف رجل لتقديم المساندة . نشر ابراهيم ديفانا وخليل ، وهما من لزجيي جار كانا في قيادة القوات المشتركة ، رجالهما في الممرات التي توجب على القوات الفارسية اجتيازها . ولمواجهة هذه الخطوة ، امر ابراهيم خان بإرسال قوات جورجية واخرى من شيروان الى هذه الجبال والممرات . فاندلعت معركة عنيفة ، لكن نتيجتها لم تحسم للطرفين حتى قام الجزايرجيون من خراسان بقلب نتيجة المعركة لصالحهم . ثم شن الفرس غارة ناجحة للاستيلاء على امتعة اللزجيين ، الا ان محاولاتهم في اقتحام موقع قوي على قمة التل ، والذي تمسك فيه كل من ابراهيم ديفانا وخليل ، بائت بالفشل ونتيجة لذلك تكبد الفرس خسائر كبيرة . قرر ابراهيم خان القيام بهجوم امامي ، الا ان قادة جيشه نصحوه بالعدول عن هذا القرار ، بسبب قوة تحصينات ذلك الموقع . وبالتالي تم اخذ طريق اخر للوصول الى العدو حيث توجب عليهم عبور التل العالي بمسار شديد الانحدار كان على جانبيه غابة كثيفة جدا . فعلم القادة اللزجيون بخطة ابراهيم خان تلك ، فجمعوا متطوعين ووضعوهم في كمائن على جانبي ذلك المسار الذي توجب على ابراهيم خان عبوره . عندما ظهرت قوات ابراهيم خان ، انتظر اللزجيون ولم يطلقوا النار فعبرت قوات شيروان ، الاكراد و

الجورجيون ، لكن عند وصول ابراهيم خان والجزايرجيين المرافقين له ، فتح اللزجيون نيرانهم المدمرة وبشكل مركز على الخان ومرافقيه . تم مباغتة الفرس ، حيث لم يتمكنوا من رؤية اعدائهم ، وتعرضوا لخسائر كبيرة جدا . تعرف ابراهيم ديفانا ، الذي كان احد المتطوعين اللزجيين ، على ابراهيم خان واطلق النار عليه ، فأصابه في رأسه ؛ وتم قتل حامل راية الجيش الفارسي بأطلاق النار عليه ، وكذلك تم قتل حاكم كنجه اوغور خان ، عند محاولته الهرب مع ابراهيم خان من الكمين . وعندما شاهدا ارتباك الفرس ، امر كل من ابراهيم ديفانا وخليل اللزجيين بالهجوم على الجيش الفارسي . اصيب ابراهيم خان برصاصة اخرى حطمت ذراعه ؛ ومرة اخرى اطلق ابراهيم ديفانا النار على ابراهيم خان ، فارداه قتيلا على الفور . ثم تبع ذلك قتال يائس بالسيوف ، الا ان قلة قليلة من اولئك الذين كانوا مع ابراهيم خان تمكنوا من الفرار حيث نقلوا اخبار الهزيمة تلك الى بقية الجيش . عند وفاة ابراهيم خان ، انتقلت القيادة الى محمد خان افشار ، حيث نجح بصعوبة بالغة من الوصول الى نهر اراس ؛ كان تيموراز احد الناجين ، حيث رافق القوات الجورجية في تلك الحملة .

تم التعامل مع جثة ابراهيم خان باحترام بادئ الامر حيث وضعت في نعش لدفنها بصورة لائقة ، ولكن بعد ذلك تم اخراج الجثة بواسطة البعض من لزجيي جار ، فعلقت على شجرة واحرقت . بعدما علمنا طريقة تعامل اللزجيين مع جثة ابراهيم خان ، فيمكننا معرفة شعور نادر تجاه اللزجيين وغضبه الشديد منهم ورغبته الكبيرة في الانتقام .

لم يفتقر ابراهيم خان الى الشجاعة ، لكنه لم يمتلك عبقرية نادر العسكرية ؛ كان رجلا بسيطا ورحيما ، اذا ما قارناه برجالات زمانه ، وان كان في بعض الاوقات غير عادل . خير دليل على ذلك سلوكه تجاه محمد كاظم حيث بين لنا اللطف الذي كان يتعامل به مع التابعين له . ومن ناحية اخرى ، كان ، مثل تقي خان شيرازي ، بخيلا ومولعا بتلقي الهدايا ؛ ففي احدى المرات ، عندما ارسل له حاكم شيروان هدية كانت عبارة عن ١٠٠ تومان نقدا ، عدد من الاحصنة وبعض الملابس الجميلة

، كما ووعده بإرسال المزيد من الهدايا الفخمة في وقت لاحق ، الا ان ابراهيم خان ، وعلى الفور ، بعث برسول الى الحاكم لجمع المزيد من الهدايا ، وهو ما اثار ذعر الحاكم .

لم يتسنى تحديد الوقت الدقيق لوفاة ابراهيم خان ؛ ووفقا لمحمد كاظم ، حصلت المأساة في شهر شعبان ١١٥١ هجري . هذا يعني ان وفاته حصلت بين ١٤ نوفمبر – ١٢ ديسمبر ١٧٣٨ م ، وبالمقارنة مع وصول خبر مقتل ابراهيم الى نادر عندما كان في بيشاور ، يبدو انه قتل في يوم ما من اكتوبر .

نيابة رضا قولي ميرزا

بعد ان تخلى البارس عن نيته في غزو خراسان وعاد الى خوارزم ، غادر رضا قولي ابيورد متوجها الى مشهد وارسل بالرسل الى والده لإعلامه بابتعاد الخطر عن خراسان .

اتخذ رضا قولي من مشهد مركزا لحكومته ، وسرعان ما تبين انه لم يعمل بنصائح والده . ولمعرفة سلوكيات رضا قولي اثناء فترة توليه نيابة الحكم ، توجب علينا معرفة بعض الحقائق التالية . اولا ، بمقتل ابراهيم خان ادرك رضا قولي ان الساحة قد فرغت له وانه اصبح الرجل الثاني بالدولة بعد والده نادر . فبعد ان عين نادر ابنه بمنصب نائب الشاه على بلاد فارس ، كلف اخيه ابراهيم خان بالأشراف عليه ومتابعة تصرفاته ، الا ان ابراهيم خان ، وكما ذكرنا سابقا ، قد لقى حتفه على يد اللزجيين . لذلك شعر رضا قولي ، وبسبب بعد نادر عنه ، بأنه اصبح حرا في قراراته وتصرفاته . ثانيا ، كان الامير في بعض الاحيان مندفعا وطائشا لا حكيما في قراراته . اخيرا ، لم ترده اي اخبار موثوقة عن مصير والده ؛ لفترة طويلة ، تجاوزت العشرة اشهر ، اي من مايو ١٧٣٩ م الى مارس ١٧٤٠ م ، لكن يبدو ان هذا الامر غير مقبول .

خلال الاشهر الثلاثة الاولى من وجوده في مشهد ، شكل رضا قولي قوة خاصة تابعة له مكونة من ١٢ الف رجل جزايرجي من خراسان ، حيث جهزهم بملابس نظامية رائعة مطعمة بخيوط ذهبية واسلحة مطعمة بالذهب والفضة .

لم يخلو بلاط نائب الشاه من المتملقين الطامعين في المناصب . كان رضا قولي شابا عديم الخبرة ، ولكونه قرب رجالا غير اكفاء كان همهم الوحيد السعي وراء مصالحهم ، فكان من الطبيعي جدا ان لا ينتج عن مشورتهم سوى القرارات الخاطئة ، حيث اقترح عليه هؤلاء تبديل الحكام المعينين من قبل والده خوفا من اعلانهم التمرد بسبب عدم ورود اي انباء مؤكدة عن مصير الشاه ، فعمل بمشورتهم . حيث عزل عددا منهم واستبدلهم باخرين تابعين له . اضافة الى ذلك ، اصبح رضا قولي

رجلا مستبدا ظالما ، حيث فرض عقوبة الاعدام على جرائم وصفت بأنها تافهة . ذكر هانوي عن تصرفات الامير :

" بسبب وحشيته وظلمه حاز على كراهية الشعب له كما واتصف بالجشع ايضا لذلك فقد فرض ضرائب هائلة على التجار " .

وذكر هانوي ان رضا قولي احتكر تجارة الحرير لنفسه . وصل التون وغرايم الى جيلان في يونيو ١٧٣٩ م ، جالبين معهم شحنة من البضائع التابعة الى بعض افراد الشركة الروسية ، حيث ذكرا :

" اصبح التجار التابعين لنائب الشاه هم الوحيدين القادرين على شراء البضائع المستوردة الجيدة وكذلك حال الحرير الخام المنتج من جيلان والمقاطعات الاخرى المنتجة للحرير فكان يتم شراءه من قبل نائب الشاه وبسبب ذلك فنحن مجبرون على التعامل مع تجار نائب الشاه " .

الا ان التون وغرايم ذكرا في وقت لاحق ان الشخص المعني باحتكار التجارة لم يكن رضا قولي ، وانما تاجر من اصفهان (عينه رضا قولي امينا على خزينته) فكان يشتري لنفسه البضائع الاوربية وبأعداد كبيرة .

بالرغم من قساوة وظلم رضا قولي ، الا انه اظهر في مناسبات عديدة اهتمامه بمصلحة وسعادة شعبه . ففي وقت ما من عام ١٧٣٩ م ، ارسل تقي خان ، بيكلربيك فارس ، امرا الى حاكم كرمان بجمع ضريبة قدرها ١٥٠٠ تومان ، فقام حاكم كرمان بتقديم احتجاج الى رضا قولي ، واستجابة لذلك قام الامير بإلغاء ذلك الامر . الا ان تقي خان عاد وكرر طلبه السابق بجمع المبلغ المقرر ؛ فامتثل الحاكم وجمع ما يمكن جمعه من سكان كرمان والذي كان مبلغا قليلا ، لكنه اقترض بقية المبلغ من شركتي الهند الشرقية الانكليزية والهولندية في كرمان . بعث حاكم كرمان بشكاوي عديدة الى نائب الشاه بهذا الخصوص ، الامر الذي ادى الى اصدار اوامر فورية الى البيكلربيك بإعادة الاموال واطاعة الاوامر .

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة التي تدخل فيها الامير وبشكل مباشر لإلغاء بعض الاجراءات المشددة من قبل تقي خان . ففي خريف ١٧٣٨ م ، قام

البيكلربيك باتخاذ اجراء سبب الضرر لشركة الهند الشرقية . فأحال الوكيل في كامبرون تلك المسألة الى رئيس الشركة في بومباي ، والذي كتب بدوره الى نادر يشكو له من تصرفات البيكلربيك . وصلت هذه الرسالة الى فارس في فترة غياب الشاه ، حيث تعامل معها الامير واتخذ قرارا يصب بمصلحة الشركة .

في اكتوبر ١٧٣٩ م ، سار ابن تقي خان من اصفهان متوجها الى بلاط رضا قولي . ويقال ان الامير ، وبتحريض من اعداء تقي خان ، قد امر بتجريد متاع ابن تقي خان وكذلك خيوله واسلحته . اصبح واضحا بأن الامير وتقي خان كانا يكرهان بعضهما البعض كراهية شديدة ، ومن المحتمل ان يكون البيكلربيك قد استخدم مكانته لدى نادر ليلحق الاذى برضا قولي .

اتخذ رضا قولي خلال فترة نيابة الحكم ، وبسبب قلة خبرته واندفاعه ، عدة قرارات خاطئة غير مدروسة الا ان الخطأ الاعظم الذي ارتكبه تمثل بإعدام الشاه السابق طهماسب وابناءه . كانت جريمة وحشية يندى لها الجبين ووصمة عار في سيرته .

في وقت مبكر من ربيع ١٧٣٩ م ، شاعت اخبار في بلاد فارس بأن كارثة قد حلت بالجيش الفارسي في الهند وان الشاه نفسه قد قتل ، وتكررت هذه الشائعات مرارا وتكرارا ؛ وبسبب غياب الاخبار الموثوقة عن مصير الشاه وجيشه ، ولفترة طويلة ، تم تصديق تلك الشائعات . وفي وقت متأخر من عام ١٧٣٩ م وصلت اخبار الى فارس تؤكد مقتل نادر . بسبب انقضاء عدة اشهر دون معرفة خبر مؤكد عن مصير الشاه ، قام محمد حسين خان قاجار من استراباد ، والذي كان في خدمة الامير حينها ، بحث رضا قولي على اخذ تدابير احترازية بإعدام الشاه السابق طهماسب وابناءه ، لأنهم كانوا يخشون من اندلاع ثورة في سبزوار تنادي بعودة السلالة الصفوية اذا ما تأكدت اشاعة مقتل نادر ؛ وثورة كهذه ستهدد عرش الامير شخصيا لأنها ستجذب مؤيدين كثر وبالتالي ستزداد رقعة التمردات لتعم ارجاء المملكة . ايد بعض القادة رأي محمد حسين قاجار ومنهم رحيم سلطان من مرو ، وبعد ان استمرت

المشاورات ليومين ، قرر الامير تنفيذ الاعدام بحق الشاه السابق وابناءه .
توجه محمد حسين خان الى سبزوار للإشراف شخصيا على تنفيذ حكم الاعدام . وبعد وصوله الى مكان اقامة الشاه السابق وعائلته ، قيل ان طهماسب اكتشف ما بنية محمد حسين ، فهرب نحو جناح الحريم ، فبدأت النسوة بالصراخ والعويل " حيث وصل صراخهن الى عنان السماء " . الا ان محمد حسين لم يكترث لصراخ حريم الشاه السابق وتوسلاتهن ، فشق طريقه من خلالهن ، وامسك بطهماسب وخنقه بالحبل امام ولديه وحريمه . ابن طهماسب الاكبر ، ويدعى عباس (١) ، والذي كان بعمر الثمان سنوات ، القى بنفسه على جثة والده واخذ بالبكاء والصراخ ، فقام القاجاري بقتله ايضا ، بعدها القى بإسماعيل وهو الابن الاصغر لطهماسب في البئر (٢) . الا ان شخصا ما نجح بإخراجه من البئر ، فبدلا من الهرب ، عاد وركض باتجاه جثة والده واخيه وهو يبكي ويصرخ . وعلى الفور، وبدون اي رحمة ، قام القاجاري بقطع راس الصبي ليلتحق بابيه واخيه . يقال ونتيجة لهذه الجريمة البشعة عم الحزن بين سكان سبزوار ؛ وخصوصا على اسماعيل حيث كان صبيا جميلا وحظى بشعبية واسعة . بعدها تم نقل الجثث الى مشهد لغرض دفنها .

بعدما اعدم الشاه السابق وولديه ، وبسبب انتشار الشائعات التي تؤكد على مقتل نادر ولعدم وصول اخبار موثوقة عن مصير الشاه ، وكذلك بسبب تشجيع المتملقين من حوله ، استعد رضا قولي ليعلن نفسه شاها على بلاد فارس . الا ان مخططاته واحلامه سرعان ما تلاشت ، بسبب وصول رسول من دلهي ، وبصورة مفاجأة ، يحمل خبر انتصار نادر واحتلاله العاصمة .

يذكر محمد كاظم ، ان رضا قولي ، وبعد سماعه بتلك الاخبار ، شعر بندم شديد على ما فعله من اعمال غير لائقة ، وبعد ذلك اعطى الاوامر بأن تزين الشوارع والبازارات في مشهد احتفالا بانتصارات والده ، حيث استمرت تلك الاحتفالات لعدة ايام . ويذكر نفس المؤلف ان فاطمة سلطان بيجوم ، زوجة رضا قولي ، لم تكن تعلم اي شيء عن مقتل اخيها وولديه بادئ الامر . لكنها خلال فترة الاحتفالات لاحظت بكاء مربيتها ؛

وبسؤالها عن سبب بكائها ، علمت الحقيقة . فأصابها اكتئاب شديد ثم انتحرت اما بشنق نفسها او عن طريق السم الذي كان بإحدى خواتمها . وبعدما علم رضا قولي بخبر انتحار زوجته ، تملكه حزن شديد ثم قام بدفنها الى جوار اخيها في ضريح الامام الرضا ؛ وبعد عدة ايام ذهب الى طهران ، حيث عقد مجلس النوروز هناك . ومن المرجح ان تكون جريمة قتل طهماسب وولديه قد تمت بنهاية شهر فبراير ١٧٤٠ م .

وقبل عقده المجلس ، وتنفيذا لتوجيهات والده ، اصدر الامير امرا الى اصفهان وربما الى جميع المقاطعات المهمة في المملكة :

" ان كل شخص مطالب بجلب ما يملكه من نقود فضية متداولة سابقا كالعباسي ، المحمودي والنادري الى دار سك النقود لتبديلها بروبيات حديثة على غرار تلك التي سُكت في الهند بأمر من الشاه " .

ذكر الوكيل في كامبرون بأن عملية تغيير العملة سيكون لها تأثيرا جيدا على التجارة ، اذا ما استمر التبادل بالانخفاض هناك . وذكر عن عدم سماعه لأي تغيير قد طرأ على النقود الذهبية .

انتشرت شائعات في اصفهان واماكن اخرى مبالغ فيها حول انعقاد مجلس النوروز في طهران حيث افادت :

" بأن رضا قولي قد استدعى جميع حكام المقاطعات في فارس للحضور اليه في طهران ، حيث شُبه هذا المجلس بمجلس نادر الذي عقده في مغان ، وقيل ايضا بأن نادر قد تنازل عن عرش فارس رسميا لصالح ولده " .

فتبين بعد ذلك ان الهدف من مجلس النوروز كان لتدقيق الحسابات السنوية .

في ربيع ١٧٤٠ م ، سرى اعتقاد في البصرة بأن احمد باشا كان يأمل في الحصول على عرش فارس بعدما انتشرت شائعات موت نادر . لم يتسنى لنا معرفة صحة هذه المعلومة ، لكن وكما هو معروف فأن احمد باشا كان رجلا طموحا وقد نجح في وقت سابق من احتلال الجهة الغربية

لفارس ، فلربما اراد تكرار بطولاته تلك واستغلال الاضطرابات التي ستندلع بعد مقتل نادر ، ليؤسس مملكة لنفسه تتكون من المقاطعات الفارسية كرمانشاه ، اردلان وهمدان فضلا عن بغداد والبصرة .

وعلى الرغم من الاوامر الكثيرة التي ارسلها نادر الى ولده للحضور اليه في هرات (حيث كان من المقرر ان يصل في وقت مبكر من يونيو ١٧٤٠ م) ، الا ان رضا قولي ماطل بتنفيذ تلك الاوامر ، بحجة تنظيم شؤون الدولة في طهران ؛ ومن الصعب معرفة في ما اذا كانت هذه الحجة صحيحة ام كانت مجرد ذريعة لتأجيل الاجتماع مع والده الغاضب . يبدو ان رضا قولي كان متهورا بما يكفي لمغادرة طهران بموكب اتسم بالجلال والعظمة والهيبة كما ورافقه بمسيرته تلك الجزايرجيين بملابسهم المطعمة بالذهب واسلحتهم البراقة المطلية بالذهب والفضة ، وبسبب تأخره في طهران فوت الاجتماع مع والده في هرات ، فتوجب عليه قطع الطريق ، الذي سلكه نادر ، من هرات الى ماروشاق . حيث حصل الاجتماع في قرة تبهِ ، في بادغيس ، يوم ٢٦ يونيو ١٧٤٠ م .

محمد كاظم ، الذي رافق الشاه من هرات ، ذكر بأن نادر قد استعرض الحرس الشخصي لرضا قولي حيث كان مندهشا من زيهم النظامي الرائع ومن تجهيزاتهم ، لكنه اخفى دهشته تلك ورحب بولده بلطف . لكن الشكوك ساورته بشأن صحة التقارير التي وصلته اثناء تواجده في الهند والتي تتحدث عن سلوك الامير وعن مخططاته لارتقاء العرش . امر نادر وعلى الفور بحل قوات ابنه ؛ وخلال نصف ساعة تقريبا ، اصبحت اعداد مرافقي الامير ٣٠ – ٤٠ شخصا فقط بعد ان كانوا ١٢ الف شخص تقريبا .

شعر الامير باستياء وغضب شديدين بسبب حل حرسه الشخصي ، و في وقت متأخر من بعد الظهيرة استدعى نادر رضا قولي الى خيمته بشأن استجوابه :

" لقد بدأت الوساوس والظنون تنفذ الى عقلي وشككت بك بعدما علمت بتأسيس جيشك الخاص . لم يتعود الفرس على رؤية بلاطين ملكيين ،

هذه المملكة والجيش والعظمة والخزائن ليست لك . نظم من سلوكك وافعالك بحيث لا يستطيع احد ان يتحدث بالسوء عنك " .

ثم اعرب نادر عن انزعاجه الشديد لقتل الشاه السابق طهماسب . بعد ذلك توجه نادر بالحديث الى قادة جيشه والنبلاء :

" لقد انزعجت وتملكني غضب وقلق شديد بعدما علمت بجريمة ابني اتجاه الشاه طهماسب وولديه لهذا السبب امرت بعزله من منصبه كنائب للشاه " .

امر نادر بتعيين ابنه نصر الله ميرزا بمنصب نائب الشاه بدلا من رضا قولي ، كما وامر بإرسال نصر الله وامام قولي وحرمه الى مشهد ، لكنه ابقى على رضا قولي معه اثناء مسيرته الى تركستان .

اما بخصوص جنوب فارس ، فسببت عمليات الابتزاز التي قام بها تقي خان بالكثير من البؤس والفقر لسكان المناطق التابعة لسلطته ، اما بخصوص العديد من المتطوعين الشباب المشاركين بحملة عمان فلم يروا منازلهم مرة اخرى . وبخصوص اوضاع مركز وغرب فارس ، فأعطى اوتر صورة متشائمة عن اوضاع الفلاحين عند رحلته من اصفهان الى بغداد في ابريل ومايو ١٧٣٩ . كان الشعب فرحا بسبب فرمان نادر الذي الغى فيه الضرائب عن بلاد فارس لمدة ٣ سنوات ، لكن سرعان ما تلاشت هذه الافراح بعدما استؤنف جمع الضرائب . اما رضا قولي فأن مستقبله بالدولة شارف على نهايته .

حملة عمان الاولى والعمليات العسكرية

في الخليج الفارسي ١٧٣٧ – ١٧٤٠ م

في وقت ما من سنة ١٧٣٦ م ، لجأ الامام سيف بن سلطان ، حاكم عمان ، الى طلب مساعدة نادر للتدخل في قمع المتمردين الذين ثاروا عليه بسبب ظلمه . لطيف خان ، ولدى سماعه بهذه التطورات ، اقترح على نادر استغلال الاوضاع في عمان وارسال حملة عسكرية الى هناك ، ظاهرها مساعدة الامام ، الا ان حقيقتها غزو البلاد . ابدى نادر موافقته على هذا الاقتراح ، لأنه ادرك اذا ما سيطر على مسقط وكامل الساحل العماني ، اضافة الى البحرين ، فسيتمكن من تأسيس سيادة فارسية بحرية على الخليج الفارسي وخليج عمان .

في ١٤ مارس ١٧٣٧ م ، وصل الاسطول الفارسي بقيادة لطيف خان الى كامبرون قادما من بوشهر " كانت الراية البيضاء ، يتوسطها سيف فارسي احمر ، ترفرف فوق ذلك الاسطول " ، احتوى ذلك الاسطول على اربعة سفن (اثنان منها تم شراؤها من الانكليز اما السفينتان المتبقيتان فكانتا من نوع غراب) وعدد من القوارب الصغيرة . وبعد ان جُهز الاسطول بحوالي ٥ الاف رجل و ١٥٠٠ حصان ، ابحر في ١٢ ابريل متوجها الى خور فكان ، وهو خليج عميق مع مرسى امن يقع على ساحل عمان ويبعد ٧٤ ميل جنوب راس مسندم ؛ وبعد مرور اربعة ايام نجحوا في الوصول الى هناك . فقام الادميرال بإنزال بعض القوات هناك ، ثم ابحر باتجاه الشمال قرب راس مسندم ، حيث انزل بقية رجاله في جلفار ، كما والتقى بالإمام هناك . تقدم لطيف خان ، يرافقه سيف بن سلطان ، الى داخل البلاد وفي منطقة فلج سميني نجحوا بهزيمة زعيم التمرد ويدعى عرب بن حمير اليعربي ، الذي كان احد اقرباء سيف بن سلطان ، ثم نجحت القوة المشتركة الفارسية – العمانية بالسيطرة على مدينتي الجوف وابراء ، وفي المدينة الاخيرة ، وبسبب ان الفرس بدئوا يتصرفون كما لو انهم سادة البلاد ، نشب خلاف حاد بين لطيف خان وسيف بن سلطان كان نهايته كسر الحلف بين الفرس والعمانيين ، وانسحاب لطيف خان الى جلفار .

لم تحدث اي محاولات للسيطرة على عمان خلال صيف وخريف ١٧٣٧ م ، الا انه في نوفمبر استلم تقي خان ، بيكلربيك مقاطعة فارس ، رسالة من نادر تأمره بالمشاركة الفورية بالحملة على عمان .

في يناير ١٧٣٨ م ، وبعد الاستيلاء على جميع الترانكي التابعة لشركتي الهند الانكليزية والهولندية في كامبرون ، ابحر كل من تقي خان ولطيف خان الى جلفار على راس قوة تتكون من ٦ الاف رجل ، الا ان خلافا حادا نشب بينهما خلال تلك الحملة . غير ان البيكلربيك والادميرال نسيا ذلك الخلاف وركزا على سير الحملة ، وفيما بعد انضم اليهما سيف بن سلطان ، الذي فشل بقمع تمرد اخر ظهر ضده فاضطر مرة اخرى الى طلب مساعدة الفرس . نجحت القوة المشتركة بهزيمة المتمردين بزعامة عرب بن حمير ، وبعد السيطرة على مدينتي بهلا ونزوى ، تقدمت القوات المشتركة الى مسقط . فسيطرت عليها دون اي صعوبة تذكر ، لكنهم فشلوا بالسيطرة على الحصون الشرقية والغربية (١) ، بالرغم من محاصرتها لمدة خمسة اسابيع . دب الخلاف بين الامام وتقي خان في مسقط ، بسبب المحاولات الفارسية للاستيلاء على هذه الحصون . فانسحب سيف بن سلطان بأسطوله وقواته من الفرس وانضم الى عرب ، الذي وعده بتقديم المساعدة ضد الفرس .

بعد فشله في الاستيلاء على تلك الحصون في مسقط ، سار تقي خان الى بركاء بنهاية مايو ، لكنه فشل ايضا في الاستيلاء على الحصون هناك . في بركاء اشتعل الخلاف مجددا بين تقي خان ولطيف خان ، فادى ذلك الى قيام تقي خان بقتل الادميرال عن طريق السم . وهكذا انتهت حياة قائد البحرية الفارسية ، الذي كان يتوقع له مستقبلا مشرقا ، ويبدو انه اكتسب الكثير من الخبرة في الشؤون البحرية من خلال الملاحين الفرس المخضرمين المتواجدين في سيراف .

بدء تقي خان ورجاله بالوقوع في الكثير من المتاعب ، فبعد محاولة فاشلة في السيطرة على مدينة صحار ، اجبروا على العودة الى جلفار بحرا . وفي تلك الاثناء حلت كارثة على الحامية الفارسية في بهلا .

عامل البيكلربيك البحارة العرب (الذي كان معظمهم من الهولة) ببخل شديد ؛ من خلال عدم دفع مستحقاتهم ، فمنحهم الطعام فقط بدلا عن النقود ، فادى ذلك الى اندلاع تمرد خطير كان نتيجته فقدان السيادة الفارسية على الخليج لفترة من الزمن . فقام المتمردون وحلفاءهم من الهولة وعرب عمان ، بشن غارة على باسيدو ثم هاجموا البحرين ، وحاصروا الحامية الفارسية هناك ، وبعد ذلك فرضوا سيطرتهم على الخليج فكانت ترسل المؤن الى القوات الفارسية في جلفار بواسطة السفن الانكليزية .

واستمر هذا الحال لفترة من الزمن ، الا انه بنهاية عام ١٧٣٨ م نشب خلاف بين العرب انفسهم فاستغل الفرس ذلك الخلاف ونجحوا باسترجاع ثلاثة سفن ، سفينة واحدة من نوع بريجانتين ، وسفينتان من نوع غراب والعديد من الترانكي . وفي نهاية يناير ١٧٣٩ م ، حدثت معركة بحرية قُتل فيها الادميرال العربي ؛ وبمقتله فقد المتمردون والثوريون حماسهم ورغبتهم على مواصلة القتال فتوقفت المعارك هناك .

في مارس وصل البيكلربيك الى كامبرون ، وبسبب اندلاع ثورة في مقاطعة كوه كيلويه ذهب الى هناك دون اتخاذ اي اجراء ضد عمان . وبعد قمع الثورة ، استلم تقي خان اوامر من نادر في اكتوبر او بداية نوفمبر ، بالتوجه الى السند عندما كان نادر متأخرا في تشيناب .

بعد ان استعار سفينة هولندية كبيرة واشترى مؤنا وذخائر من الانكليز ، غادر تقي خان كامبرون في ٣ ديسمبر ، على راس ٢٠٠٠ فارس ، متوجها الى السند عبر اليابسة من خلال مكران . وابحر الاسطول ، الذي كان على متنه عدة الاف من الجنود الفرس ، في نفس ذلك اليوم . وكانت نقطة الالتقاء في كوادر ، سار تقي خان في داخل البلاد الى كيش ، وفي وقت ما من فبراير ١٧٤٠ م ، تعرض لهزيمة ثقيلة على يد قبائل البلوش بقيادة مالك دينار من مكران . وبسبب قلة المؤن على الساحل وفي الاسطول ، أدى ذلك الى موت العديد من الرجال جوعا . بين ٥ – ١٦ نيسان ، عاد تقي خان الى كامبرون من حملته الكارثية تلك . وبعد يومين ، وصل الادميرال ، السيد علي خان ، حيث اعلمه بوفاة العديد من

الرجال بسبب نقص المياه والغذاء . وفي نهاية ابريل ، تلقى تقي خان استدعاء اخر من نادر للتوجه الى نادر اباد . بين ١ – ١٢ مايو تم تجميع الاسطول مرة اخرى في كامبرون ، الا ان ذلك الاسطول لم يكن مؤهلا بمن عليه لخوض معارك اخرى .

ولدى وصول تقي خان الى البلاط ، وبخه نادر وبشدة ثم عزله من منصبه لفترة من الزمن .

حملة تركستان

قرر نادر ، اثناء مسيرته من كابل الى دلهي ، غزو تركستان حال انتهاء حملة الهند مباشرة . كان هناك سببين بارزين لاتخاذه مثل هكذا قرار ، اولا ، اراد معاقبة البارس ، حاكم خوارزم ، على وقاحته وجرأته ؛ ثانيا ، لشغفه بالغزو ، لا يوجد دليل ملموس يؤكد ان نادر اراد توسعة حدود مملكته بعيدا نحو الشرق والشمال الشرقي ، ليس فقط على حساب ملوك اسيا الوسطى امثال البارس وابو الفيض خان وخانات طشقند وخجند وحسب ، بل وعلى حساب الامبراطورية الصينية ايضا . وان وجدت مثل هذه المخططات في راسه ، فانه رغب بتأجيلها لحين معاقبة اللزجيين على جريمة قتل اخيه ابراهيم خان وسحق الاتراك العثمانيين . لذلك يبدو ان هدف نادر في تركستان كان محدودا .

فيما يتعلق بالبارس . ففي وقت مبكر من سنة ١٧٣٥ م ، عندما كان نادر مشغولا بحربه ضد الاتراك لطردهم من اذربيجان ، ارسل البارس قوتين من تركمان ياموت للإغارة على شمال غرب خراسان ونهبها . وعلى الرغم من نجاح الاكراد المحليين بصد التركمان وتكبيد المعتدين خسائر ثقيلة ، الا ان نادر لم ينسى تلك الحادثة . بعد ذلك بثلاث سنوات ، عندما كان نادر مشغولا بحملته ضد الهند ، توجه البارس على راس قوة كبيرة جدا بهدف احتلال خراسان ؛ الا ان الحملة ، وكما اشرنا سابقا ، قد فشلت ، وبالرغم من فشلها فأن البارس هدد بغزو بلاد فارس ؛ وخصوصا مقاطعة نادر ، خراسان ، التي نشأ وترعرع بها ، كل هذه الاسباب كانت كافية لجعل نادر عازما على سحق البارس .

اما من ناحية اخرى ، فلم يكن هناك اي سبب حقيقي لمحاربة ابو الفيض خان ، ملك بخارى ، حيث قام بواجبه في الدفاع عن ارضه ضد الحملة التي قادها رضا قولي وطهماسب خان جالاير والتي لم تحضا بتأييد نادر نفسه . اضافة الى ذلك ، وبعد سماعه باستعدادات نادر لغزو تركستان ، بعث ابو الفيض خان برسالة الى الشاه تطرق فيها الى نسبه كما وقدم فيها خضوعه الى الشاه واضاف بأنه غير قادر على مقاومة جيش نادر وكان يأمل في ان يحل الشاه عليه ضيفا لا غازيا.

وصل نادر الى منطقة نادر اباد في ٤ مايو ١٧٤٠ م . وخلال اقامته القصيرة هناك ، والتي استمرت ثمانية ايام ، اصدر امرا الى عبد الغني خان ، بيكلربيك المقاطعة ، بالتقدم في بداية الخريف الى شيروان ، لمعاقبة اللزجيين وبلا رحمة على جريمة قتل اخيه ابراهيم خان . كان من المقرر ان يتقدم زعيم العبدليين لقتال اللزجيين حالما تبدأ ثلوج الشتاء بقطع طريق الهرب الى افاريا . رافق عبد الغني خان خلال مسيرته تلك فتح علي خان ، صهر نادر ، والذي كان على راس ١٥ الف رجل من خراسان ، كما وارسل نادر اوامر الى اذربيجان وجورجيا لتعزيز القوات الفارسية وتقديم المساعدة لهم .

بعد فترة وجيزة من مغادرة نادر اباد ، اصدر الشاه اوامر الى الحكام ، نواب الحكام ، الزعماء والشخصيات البارزة من خراسان لمقابلته في هرات ، حيث رحب بهم لدى وصوله الى هناك في ١٠ يونيو . كان من بين هؤلاء كلب علي خان ، بيكلربيك مرو شاهي جان ، محمد كاظم الذي اصبح من حاشية الشاه .

اعطى نادر اوامره لنصب خيمته العظيمة في هرات ، يروي محمد كاظم ان رياحا عاتية مفاجأة اسقطت الخيمة ارضا ، وبالرغم من جهود الاف الرجال لإعادة نصبها مرة اخرى ؛ الا انه في اليوم التالي حدث نفس الشيء ايضا . وبعدما نجحوا في تركيبها ، وضع بداخلها عرش الطاووس وكنوز الهند الاخرى كما وتم السماح لعامة هرات ، الجنود ، والمسافرين العابرين بدخول الخيمة ومشاهدة المعروضات النفيسة (١) .

بعد ايام قليلة على وصول نادر ، حضر ابن اخيه علي قولي وحفيده شاه روخ (الذي كان في السادسة من عمره) الى هرات . وخلال لقائه بعلي قولي ، قام نادر بمواساته على فقدان ابيه كما ووعده بالذهاب شخصيا الى داغستان للانتقام من قتلة والده حال انتهاء حملة تركستان . وعلى شرف شاه روخ ، اصدر نادر امرا لدار سك النقود في هرات بأن تُسك النقود باسمه ، كما كان يحدث هناك قبل ٣٠٠ سنة عندما كان ينقش على النقود اسم ثالث ابناء تيمور شاه روخ .

بعد توقف دام لنصف شهر تقريبا في هرات ، توجه نادر الى تركستان ؛ فبعد لقائه بابنه رضا قولي ، في قرة تبه ، سارا معا الى بلخ عبر ماروشاق ، تشاجكتو واندخود . وبعيد خروجه من هرات ، امر نادر ببناء حصن هناك ؛ ولدى سؤاله عن الغرض من بناء ذلك الحصن في حين كانت فارس ، افغانستان والهند تحت سلطانه ، اجاب " لان اعداء الداخل اشد خطرا من اعداء الخارج " .

ووفقا للأوامر الصادرة من الهند ، جهز الضابط المسؤول عن قيادة الحامية في بلخ ١١٠٠ قارب (كان القارب الواحد قادر على حمل من ٥ – ٨ طن) ، حيث بنيت تلك القوارب على ضفاف نهر الاوكسوس من قبل النجارين الهنود وصانعي السفن الذين ارسلوا من قبل نادر لذلك الغرض . وبعد وصول الجيش الفارسي الى ضفاف نهر الاوكسوس الى موضع مقابل لمدينة صغيرة تدعى كيليف ، كان هذا الاسطول الصغير متأهبا ، فوضعت الذخائر والحبوب والمدافع على متنها . ثم ابحر جزء من الجيش عبر الاوكسوس الى كيليف ، اما الجيش الرئيسي فبدأ مسيرته نحو المصب على طول الضفة اليسرى ، وعملت هاتان القوتان المنفصلتان على مواكبة بعضهما البعض . وصل الجيش الى كركي في ٢٧ جمادي الاول (٢٠ اغسطس ١٧٤٠) وبعد عشرة ايام تمكن من الوصول الى جهارجوي . بعد ارساله ١٢ الف جزايرجي عبر القوارب ، امر نادر ببناء جسر قوي من القوارب ، ليتمكن بقية الجيش وحيوانات حمل الامتعة من العبور . كما وامر ببناء حصون قوية عند نهايتي الجسر .

بعدما علم ابو الفيض خان بوصول نادر وجيشه الى نهر الاوكسوس ، تملكه رعب شديد فأناب عنه محمد رحيم باي الذي استقبل الفاتح بإجلال كبير ؛ ذكر محمد رحيم باي لنادر " اذا وافقتم على الذهاب نحو كاراكول فستحل ضيفا عزيزا على ابو الفيض خان كما وسنبرم معك معاهدة الوحدة " . استمع نادر لهذه الكلمات بصدر رحب ، لكن ، وبعدما انهى المبعوث كلامه ، ذكر له نادر " ان الشرط الاساسي لإحلال السلام هو

بحضور الملك الحامل لعظمة افراسيب (يقصد ابو الفيض) الى بلاطي بشخصه " .

عندما عاد المبعوث الى ابو الفيض خان وسلمه رسالة نادر ، غادر ملك بخارى للقاء الشاه ، لكنه عاد الى المدينة بعدما علم بقدوم عدة الاف من رجال القبائل التابعة لمناطق ميان ، كال ، اق يالو ، خجند ، انديجان ، قنقرات واماكن اخرى ، بهدف مساعدته ، لانهم ارادوا الانتقام لدماء ابنائهم من رضا قولي . بعد وصول زعماء العشائر ، الحوا على ابو الفيض خان بعدم الخضوع لنادر وبوجوب مقاتلته ؛ وعلى الرغم من تحذيرات محمد رحيم ، الا ان ابو الفيض خان قرر المقاومة . فسار هو وحلفاءه وعسكروا بالقرب من بخارى ، وانتظروا وصول القوات الفارسية الى هناك .

بعد انتظار دام يومين دون جدوى ، بعث نادر بالكشافة لمعرفة مجريات الاوضاع هناك ؛ فعاد هؤلاء بإخبار تؤكد على وصول تعزيزات كثيرة جدا الى ابو الفيض خان وانه كان عازما على الحرب لا على الاستسلام ، اخذ نادر تدابير فورية استعدادا لخوض القتال . وفي اليوم التالي بدأت المعركة . هاجم الاوزبك بعنف ، لكنهم تراجعوا مذعورين بعدما فتحت المدفعية الفارسية والزانبورك نيرانها المدمرة ضدهم ، لان الكثير منهم لم يسمع او يرى المدافع من قبل . الا ان الاوزبك وبالرغم من ذلك تحشدوا وهاجموا مرارا . فقاد نادر هجوما شرسا مضادا ، ادى الى اصابة زعيم اق يالو بالذعر ، فهرب هو ورجاله من ارض المعركة . وبهروبه ، كُسرت الروح المعنوية لجيش ملك بخارى ، فتراجع الملك الى عاصمته ؛ كما وسقط عدد كبير من الاوزبك في هذه المعركة بين قتيل وجريح اضافة الى ذلك فقد قتل واصيب الكثير منهم جراء هروبهم من الميدان (٢) .

اعرب ابو الفيض خان عن اسفه لعدم العمل بنصيحة وزيره محمد رحيم باي ، وعلى الفور استدعى الملك وزيره وطلب منه الذهاب مرة اخرى للقاء نادر وبذل المزيد من الجهد لإقناع الشاه بمسامحته . نجح محمد رحيم بمهمته تلك ، ومثلما فعل محمد شاه بعد معركة كارنال فعل ابو

الفيض خان ، حيث حضر الى منطقة كاراكول ليعلن عن خضوعه لنادر . عامل نادر ملك بخارى بلطف واحترام شديدين كما ومنحه عددا من الهدايا القيمة . ولدى وصول نادر الى بخارى ، ومثلما حصل في الهند ، اعطيت توجيهات بذكر اسم نادر في الخطبة ، وبسك العملة باسمه . اما الملك وشعب بخارى فقاموا بتوفير المؤن اليومية للقوات الفارسية ، ومن ناحية اخرى ، اصدر نادر اوامر صارمة الى القوات الفارسية بعدم نهب المدينة او مضايقة السكان بأي شكل من الاشكال ؛ وتنفيذا لهذه الاوامر ، قام النسقجيون بعمل دوريات مكثفة في المدينة وما يجاورها لتطبيق تعليمات نادر ومعاقبة مخالفيها بشدة . ويقال ان نادر ، وبعد ان امتلك كنوز الهند ، اخذ ينظر بازدراء الى ثروات البخاريين التي كانت عديمة القيمة اذا ما تم مقارنتها بكنوز الهند .

كل اراضي بلاد ما وراء النهر الى الشرق والشمال الشرقي من بخارى الى سمرقند وما وراءها اصبحت الان بيد نادر . وبناء على اقتراح محمد رحيم باي ، ارسل نادر ، صهره ، لطف علي خان ، على راس قوة مكونة من ٢٠٠٠ رجل الى سمرقند بهدف إخضاع قبيلة يوز ، المعروفين ببأسهم وتهديدهم الدائم لبخارى . وبعد ان نجح بإخضاع القبيلة ، قام لطف علي خان ، وبناء على توجيهات نادر ، بإخذ شاهد قبر تيمور العظيم والبوابات البرونزية التابعة للمدرسة ثم ارسلت تلك الغنائم من سمرقند الى مشهد (٣) .

وبينما كان لطف علي خان مشغولا بحملته تلك ، ضم نادر قرابة ٣٠ الف اوزبكي الى جيشه ووضعهم تحت قيادة ابن محمد رحيم باي .

في ١٥ رجب (٦ اكتوبر ١٧٤٠ م) ، قام الشاه شخصيا بوضع تاج بخارى على راس ابو الفيض خان ثم اهداه معطفا رائعا ومنحه لقب شاه . وفي الوقت نفسه ، ضم نادر رسميا جهارجوي وجميع الاراضي التابعة لبخارى جنوب الاوكسوس . بعدها استدعى نادر محمد رحيم باي لغرض إبلاغ ابو الفيض عن رغبته في طلب يدي ابنتيه لرضا قولي وعلي قولي . لم يكن لدى ابو الفيض خان اي خيار اخر سوى الموافقة ، عندئذ ارسل نادر العديد من النساء التابعات لجناح حريمه الى القصر في

بخارى لطلب يدي الاميرتين بصفة رسمية ، كان من المقرر تزويج البنت الكبرى لرضا قولي وتزويج اختها الصغرى لعلي قولي . وبعدما عادت النساء من القصر ، ذكرن " بأن بنت ملك توران الصغرى كانت شديدة الجمال والذكاء والفصاحة " ؛ بعدما علم رضا قولي بذلك ، طلب من المشرفة على جناح الحريم الذهاب الى الشاه واقناعه بتزويجه البنت الصغرى . وبعدما سمع نادر بذلك الطلب ، رفض رفضا قاطعا وقال " لن اوافق على ذلك لأنه سيمثل اهانة كبيرة لأبيها فيجب عليه الزواج من البنت الكبرى " . عندما تم اخبار رضا قولي بقرار والده ، غضب غضبا شديدا ، بسبب كرهه لابن عمه علي قولي ؛ وقال " ان كانت رغباتي لم تلق اي اعتبار لدى والدي فان الله سيكون عوني وسأقوم قريبا بترتيب زواجي من ابنة ملك خيتاي " .

عندما وصلت هذه الكلمات الى نادر ، استشاط غضبا ، وراوده الشك مرة اخرى بشأن نوايا ابنه وبأنه كان يخطط فعليا للاستيلاء على العرش . وذكر نادر " اذا ما رفض رضا قولي الزواج من البنت الكبرى فسأتزوجها انا " .

عندما كان نادر في بخارى ، وبناء على اقتراح ابو الفيض خان ، اوفد مبعوثا ، يرافقه اثنين من الخواجات (كانا من جويبار) ، الى البارس حاكم خوارزم ، مع رسالة يدعوه فيها للحضور الفوري دون قيد او شرط لطلب الرحمة على اخطاءه . عندما استلم البارس هذه الرسالة ، غضب غضبا شديدا وامر بإعدام المبعوث ومن كان برفقته .

بعد ثلاثة ايام على حفل زواج نادر من البنت الكبرى وزواج علي قولي من البنت الصغرى ، ارسل ابنه نصر الله وعلي قولي برفقة الحريم الى مشهد . وبنفس الوقت امر نادر بتعيين طهماسب خان جالاير حاكما وقائدا اعلى على الاراضي الهندية التابعة له وامره بالذهاب وقمع بعض التمردات التي اندلعت قرب شكاربور (٤) .

بعد ان وعد ابو الفيض خان بإرسال قوات لمساعدته على صد اي طارئ ، غادر نادر وجيشه بخارى متوجها الى جهارجوي للقيام بحملة

على خوارزم . وبعدما علم البارس بذلك ارسل قوة اوزبكية – تركمانية مشتركة من خيوة متوجهة الى جهار جوي بهدف تدمير الحصون المقامة عند نهايتي الجسر ولتدمير الجسر نفسه قبل وصول نادر الى هناك ، الا ان نادر ، الذي كان على راس قوة مختارة من جيشه ، اسرع في المسير . فوصل الى جهارجوي قبل القوة المشتركة الاوزبكية – التركمانية ، حيث عبر الى الجانب الايسر من النهر واستعد للمعركة ؛ بعدما ظهرت قوات خوارزم في اليوم التالي ، هاجمهم نادر بقوة وشراسة فادى ذلك الى انكسار جيش خوارزم وهروبهم من المعركة (٥) . بعدها توقف عدة ايام في جهارجوي ليتمكن بقية الجيش وقافلة الامتعة من الوصول وعبور نهر الاوكسوس . في جهارجوي ، سمح نادر لابنه رضا قولي بالمغادرة الى مشهد . اما تقي خان شيرازي ، الذي استدعاه نادر في وقت سابق ووبخه ثم عزله من منصبه بسبب حملة مكران الكارثية وقيادته الغير كفؤة لها ، فنجح بكسب ثقة نادر مرة اخرى ، وارجعه الى منصبه السابق ، بيكلربيك مقاطعة فارس ؛ فتوجه تقي خان بادئ الامر الى مشهد ثم عاد بعدها الى مقاطعة فارس لمزاولة مهام عمله هناك .

بعد ان وضعت المدافع والذخائر على متن القوارب لنقلها ، غادر نادر جهارجوي باتجاه ممر ضيق يسمى ديف بويون (عنق الجمل) . وفي مسيرته تلك قسم نادر جيشه الى اربعة اقسام ؛ قسم كان يتقدم قافلة الامتعة ، بينما الاخر فكان يتبعها ، اما القسمان الاخران فكانا على الاجنحة . علاوة على ذلك ، تم وضع ٦ الاف فارس على ضفة النهر لتوفير الحماية للقوارب . ويقال ان الغبار المتصاعد من مسير القوات الفارسية كان كثيفا لدرجة حجب الرؤية ، كما وعانى العديد من الرجال من مشاكل في البصر جراء الغبار المتصاعد . ولدى وصول نادر الى ديف بويون ، امر بإنشاء مستودع محصن للأمتعة ، وفي نهاية اكتوبر ١٧٤٠ م ، غادر نادر ورجاله الى فتناك . وبالقرب من هذا المكان اصطدم الفرس بقوات البارس وحصلت معركة عنيفة بين الجيشين . وقد قاتلت قوة من ٦ الاف رجل من تركمان ياموت بشجاعة فائقة ، لكنهم مع القوات الاخرى من الاوزبك اثبتوا انهم غير قادرين على الصمود امام هجمات نادر المتتالية التي قادها بنفسه . اضطر البارس ورجاله الى

التراجع حيث لجئوا الى حصن هزاراسب القوي ، والذي يبعد ١٣ ميل شمال غرب فتناك ؛ ونتيجة لأوامر سابقة اصدرها الخان غمرت الاراضي المحيطة بالحصن بالمياه بواسطة العديد من القنوات المائية (٦) . فكان حصيلتها عدم تمكن نادر من استخدام مدافعه ؛ وكذلك عدم قدرته على تنفيذ هجوم عام للاستيلاء على ذلك الحصن ، وبعد ان هزم قوة اخرى من تركمان ياموت ، امر نادر بمحاصرة ذلك المكان . بسبب ان هزاراسب كانت جيدة التحصين ، ولأنها جُهزت بمؤن كثيرة ، ثم لحلول فصل الشتاء ، فبدى ، ونتيجة لكل تلك الاسباب، بأن الحصار سيكون طويلا وشاقا . الا ان نادر ، ومن حسن حظه ، قد علم بأن عائلة البارس وكنوزه كانتا في خانقاه ، وهو حصن يبعد ٥ ميل غرب الاوكسوس و ٢٠ ميل شمال شرق خيوة . فسار الجيش الفارسي بسرعة نحو خانقاه ، على امل اخراج البارس من تحصيناته لحماية عائلته وكنوزه . وفعلا نجحت هذه الخطة ، وخرج البارس من هزاراسب في نفس الليلة ، وبمسيرة سريعة ، وصل الى خانقاه بينما كان الجيش الفارسي يقترب من الجانب الاخر . امر البارس بتحشيد قواته ، وهاجم القوات الفارسية ، لكنه هُزم مرة اخرى وتم محاصرته في خانقاه . قاومت الحامية بشجاعة لمدة يومين او ثلاثة ايام ، الا انه في ٢٤ شعبان (١٤ نوفمبر) ، نجح الفرس بتفجير بعض الالغام تحت الجدران ، واستعدوا لبدء هجوم شامل ، الا ان البارس اصابه رعب شديد فطلب الرحمة من نادر ؛ وافق نادر على طلبه ، واستسلم البارس له . بعدها امر نادر بمنح خيمة للبارس الى جوار فتح علي خان ثم استدعى آل ايناق والزعماء (٧) ؛ ومنحهم معاطف شرف وهدايا اخرى ، وطلب منهم ان يطمئنوا سكان خانقاه بأنهم لن يتعرضوا للاعتداء او النهب .

علم اقارب القتيلين من جويبار بعفو الشاه عن البارس ، فحضروا الى نادر وطالبوه بإعدام الخان . وبالرغم من وعده السابق ، ارسل الشاه بطلب البارس ، وتحدث معه بشأن قتل سفراءه ، فبرر البارس بأنهم قتلوا دون علمه على يد الاوزبك . فرد الشاه " ان عجزت عن السيطرة على اتباع قليلين يسكنون مملكتك ، فانت لا تستحق العيش ؛ ولأجل الاهانة التي اظهرتها لي بقتلك سفرائي ، فانك لن تموت ميتة الرجال ؛ بل ستقتل

مثل الكلاب " . امر نادر الجلادين بقطع راس الخان وما يقارب الثلاثين رجلا من الزعماء والقادة الحاضرين من اتباعه ، وبعد وصول انباء موت البارس ، استسلمت كل المدن والقرى باستثناء العاصمة .

وكما حدث في بخارى ، منع نادر جنوده من الاعتداء على السكان ، واعدم العديد من ضباط وجنود الجيش الفارسي نتيجة تسببهم بحدوث اضطرابات في المدينة .

بعد ان نظم شؤون خانقاه ، اتجه نادر الى خيوة ، التي تبعد مسافة ٢٠ ميل . ثومسون وهوغ ، اللذان كانا في خيوة ذلك الوقت ، اعطيا وصفا دقيق لها :

" كانت تقع على ارض مرتفعة ولها ثلاث بوابات يحميها جدار قوي جدا وسميك كان اعلى بكثير من المنازل وكانت الابراج على مسافة قريبة من بعضها البعض وكان يحيطها خندق عميق وواسع مملوء بالمياه كانت مدينة كبيره جدا كانت معظم المباني مبنية من الطين وكانت اسطح المنازل مستوية ومغطاة بالطين تجاور المدينة سهول شاسعة وبسبب اجتهاد السكان ومثابرتهم اصبحت سهول خصبة جدا فكانت رؤيتها تسر الناظرين " .

عندما ادرك البارس خطورة الوضع ، ارسل مناشدة الى ابو الخير خان ، الذي كان زعيما لمنطقة القبائل الصغرى في الكازاخ (كانت ارض الكازاخ مقسمة الى ثلاث مناطق هي منطقة القبائل الكبرى ، منطقة القبائل الوسطى ومنطقة القبائل الصغرى) ، يطلب فيها مساعدته . استجاب ابو الخير خان لتلك المناشدة ، فسار مع قوة مشتركة من القازاق وارال الاوزبك الى خيوة ونجحوا بدخول المدينة . بعد ان تقرر ارسال مبعوث الى نادر ، اختار ابو الخير ضابطا ومهندسا روسيا يدعى مورافين (كان يثق به اكثر من القادة خاصته) . مورافين اخبر نادر ، ان زعيم القازاق مستعد للاستسلام مقابل تحقيق رغبته في ان يكون خانا على خيوة . تعامل الشاه مع مورافين بلطف ، واخبره بوجوب حضور ابو الخير خان شخصيا الى بلاطه وان امتثل فسيتم استقباله ومكافأته .

عاد مورافين الى ابو الخير حاملا هذه الرسالة المطمئنة ، الا ان ابو الخير ، وبسبب عدم ثقته بوعود نادر او لخوفه من مكيدة تحاك ضده من قبل سكان خيوة ، هرب مع قواته الى سهول القازاق .

وبالرغم من هروب ابو الخير خان ، قرر سكان خيوة ، وبتشجيع من قائدهم عبد الرحمن بيك ، المقاومة ، كما ورفضوا التفاوض مع نادر عندما ارسل الاخير مبعوثين لهم . قامت قوات الشاه بحصار المدينة ، حيث شرعوا بقصفها ب ١٨ مدفع و ١٦ مدفع هاون ؛ وعلى الجهة المقابلة ، لم تمتلك خيوة سوى عددا قليلا من الاسلحة الميدانية التي استولوا عليها قبل ٢٣ سنة من بيكوفيتش تشيركاسكي . بعد تفريغ المياه من الخندق المحيط بالمكان ، نجح الفرس بعمل ثغرات عديدة في الجدران بواسطة الالغام ، وفي اليوم الثالث من الحصار استعدوا لشن هجوم عام على خيوة . لكن سكان خيوة ادركوا عدم قدرتهم على مواصلة المقاومة ، لذلك قرروا الخضوع .

وجد نادر في مدينة خيوة واماكن اخرى من خوارزم ما لا يقل عن ١٢ الف خراساني كانوا اما سجناء او عبيد (٨) ؛ فامر نادر بتحريرهم وخصص لهم مؤنا ، احصنة ، حيوانات لنقل الامتعة ، وطعاما واموالا ، كما وخصص لهم مكانا يسكنون فيه في المدينة الجديدة التي تدعى خيوة قاباد ، التي تبعد ١٥ ميل جنوب ابيورد ، حيث امر نادر الحرفيين والبنائين الهنود بأنشاء تلك المدينة كنموذج عن دلهي ولكن بمساحة اصغر . وقيل ان نادر امر بإرسال العديد من اهالي خيوة الى تلك المدينة الجديدة ليعملوا كعبيد لدى الفرس ، حتى يتذوقوا طعم العبودية المرير .

امر نادر بجرد خزائن خيوة وكافة الثروات والممتلكات لكي يتم مصادرتها ، كما وامر باستدعاء الفرنجة للمثول بين يديه . كان من بينهم ثومسون وهوغ ؛ حيث ذكر هانوي :

" استعلم منهم الشاه عن ماهية اعمالهم وبعدما علم انهم تجار منحهم تصريحا بحرية ممارسة التجارة في حدود مملكته واخبرهم اذا ما صادفتهم اي مشكلة ولم يقم رجال دولته بحلها فتوجب عليهم القدوم اليه

شخصيا ومقابلته ثم سمح لهم بالمغادرة وذكر هذان التاجران ان الكثير من افراد الجيش الفارسي حتى ابسط جنودهم كانوا يرتدون الحرير الفاخر وكان لديهم الكثير من النقود الهندية " .

اضافة الى التاجرين الانكليزيين ، وجد نادر عشرة رجال روس اخرين ، كان جميعهم من العبيد . فحررهم نادر ومنح كل فرد منهم مبلغا قدره ٥٠ روبل وحصان ليتمكنوا من العودة الى ديارهم ؛ وفي النهاية وصل هؤلاء الروس الى سامارا بأمان ، بمعية القائد الروسي التتري زانابيف .

قضى نادر قرابة الاسبوعين في خيوة ، وقام خلال ذلك الوقت بمجموعة من الترتيبات اللازمة لتنصيب حاكم على خوارزم بعد مغادرته . وبعد ان استشار الايناق والزعماء التابعين لخوارزم ، عين طاهر بيك ، الذي كان ينحدر من سلالة جنكيز خان ، خانا على خوارزم ، سابقا كان طاهر بيك متواجدا في هرات لكنه وبعد سماعه بحملة تركستان رافق نادر الى هناك . عندما رفض بعض من زعماء الاوزبك ذلك القرار وحاولوا المقاومة ، اجبرهم نادر على الخضوع وجعلهم يقسمون بالولاء لحاكمهم الجديد ، بعد ان ازهقت ارواح عديدة طبعا . خصص نادر قوة صغيرة نسبيا لمساعدة طاهر بيك ؛ وحسب رأي ميرزا مهدي ، كان الغرض من تخصيص تلك القوة الصغيرة هو لان اهالي خوارزم كانوا غير قادرين على تحمل عبئ اخر يضاف الى اعباءهم .

لم يتخذ نادر اي اجراء اخر في خيوة ، حيث غادرها هو ورجاله عائدا الى وطنه في ٩ ديسمبر ١٧٤٠ م . وخلال مغادرته اخذ نادر معه ، ربما كرهينة ، ابن البارس الصغير ، ويدعى ابو الغازي خان . رافق نادر حتى وصوله الى فتناك كل من طاهر بيك ، الايناق والزعماء الاخرين .

وصل نادر الى جهارجوي في ٤ شوال (٢٣ ديسمبر) ، وسلك طريق الصحراء للذهاب الى مرو ؛ وبسبب شحة المياه على طول ذلك الطريق ، فقد سبق ان اتخذ تدابير دقيقة لتوفير الامدادات من المياه وجعلها كافية للجيش .

في مرو ، تعامل نادر هناك مع البعض بقسوة شديدة . فقام بعزل حاكمها ، محمد رضا خان قريقلو ، وعين بديلا عنه القائد القاجاري شاه قولي خان ؛ كما وامر بإعدام العديد من الاشخاص ، كان من بينهم رحيم سلطان ، الذي اتهمه نادر بتشجيع رضا قولي على ارتقاء العرش .

غادر نادر مرو في ١٦ شوال ١١٥٣ هجري (٤ يناير ١٧٤١ م) ، حيث سار الى ابيورد ثم توجه الى مسقط راسه في داستجرد ، وامر هناك بأنشاء نصب له اسماه مولود خانه ؛ ووصف عبد الكريم كشميري هذا البناء ، بأنه اشتمل على قبة شامخة يعلوها سيف ذهبي . من داستجرد توجه نادر الى كلات ، حيث اودع فيها كنوز الهند كما وبُني له ضريح من الرخام الاسود . كانت كتل كبيرة من الرخام ترسل على طول الطريق من مراغة الى هذا الضريح . وحسب اوامر ارسلها مسبقا ، تم اضافة الكثير من التحسينات على كلات ، وتم زيادة الامدادات المائية وتحسينها وكذلك انشئت الكثير من الحدائق هناك . بعد ذلك توجه نادر الى خيوة قاباد ، ومنح كميات ضخمة من الملابس ، الطعام والاموال الى الوافدين الجدد . ثم عاد بعدها الى ابيورد ، ومن هناك توجه الى مشهد ، فدخلها في نهاية شوال (١٧ يناير ١٧٤١ م) .

حملة داغستان

مكث نادر قرابة الشهرين في مشهد ، حيث اتخذ منها عاصمة له . كانت هناك عدة اسباب وراء ذلك القرار اهمها ؛ اولا ، فمع الاتساع الكبير للإمبراطورية الفارسية جهة الشرق ، كان موقع مشهد المركزي افضل بكثير من اصفهان ، ثانيا ، كانت تعتبر المدينة الرئيسية في مقاطعة خراسان ، ثالثا ، ضمت اعدادا قليلة من مريدي السلالة الصفوية مقارنة بأصفهان . وقد بذل نادر جهودا كبيرة لإعلاء شأنها ، فكانت ذلك الوقت مدينة مزدهرة جدا ؛ حيث قُدرت اعداد المنازل فيها الى ٦٠ الف منزل وكانت تحوي من ٢٠٠ – ٣٠٠ الف نسمة . جورج ثومسون ، الذي وصل الى مشهد قادما من بخارى في سبتمبر ١٧٤١ م ذكر:

" كانت التجارة في مشهد مزدهرة جدا فكانت القوافل تقصدها بشكل يومي قادمة من بخارى بلخ قندهار الهند وبدخشان ومن جميع انحاء فارس كانت البازارات كبيرة ومبنية بصورة جيدة ومليئة بالسلع القيمة وتتردد عليها اعداد كبيرة من الناس من مختلف الدول وهناك حوالي ٩٠ نزلا في المدينة كلها كانت بحالة جيدة اما الشاه فأرسل اليها الكثير من الناس من جميع انحاء فارس وكذلك من المناطق الجديدة التي غزاها " .

قدم نادر الكثير لتزيين ضريح الامام الرضا ؛ فأهدى للضريح المقدس عددا من السجاد الحريري و ١٤ قنديلا من الذهب الخالص . وفي فناء الصحن امر بإنشاء نافورة مصنوعة من الرخام الابيض ارتفاعها قارب على ٣ اقدام ومحيطها ١٨ قدم . ووفق قصة ذكرت في (المجد الشيعي) جاء فيها ، ان نادر اتفق مع متعهد على جلب كتلة الرخام تلك من هرات خلال ١٢ يوما . لكن ، وبعد تسعة ايام فقط ، نجح الرجل بجلبها من هناك فأسرع الى الشاه لمقابلته ، على امل الحصول على مكافأة مجزية . الا ان الشاه ، وبدلا من مكافئته ، امر بتسميل عينيه ، بحجة عدم التزامه بشروط العقد .

على الرغم من بناء ضريح عظيم له في كلات ، امر نادر بأنشاء قبر اخر له في مشهد ، في خيابان بالا . وبعدما أُكتمل بنائه ، كتب البعض

عبارة ساخرة على جدرانه مفاده : " انك موجود في كل بقاع العالم الا ان المكان الذي يناسبك لا زال خاليا " . وسرعان ما ازيلت تلك العبارة خوفا من المذابح التي سيرتكبها الشاه اذا ما علم بذلك الامر .

خلال ذلك الوقت وصل شاهد قبر تيمور وبوابات المدرسة الى مشهد قادمة من سمرقند . بادئ الامر اراد نادر وضعهما في ضريحه في مشهد ، لكنه ، وبعدما راح يتأمل شاهد قبر تيمور ، قرر اعادته الى سمرقند واستبداله بشاهدٍ اخر ؛ كما وامر بإعادة البوابات ايضا ، واظهر بذلك احتراما كبيرا لمثله الاعلى تيمور العظيم .

كان من العادة اجراء تدقيق دوري لحسابات المقاطعات . لذلك ، وخلال اقامته في مشهد ، دقق نادر شخصيا حسابات مقاطعة خراسان بعناية شديدة . ومن الواضح انه اكتشف الكثير من الامور الغير مرضية ، لذلك امر بإعدام عدد من مسؤولي الخزينة . في ذلك الوقت لم تكن وظيفة جامعي ومدققي الايرادات بالوظيفة السهلة ؛ فكان يتوجب عليهم جمع الضرائب وحسابها بدقة متناهية ، واذا ما اكتشف اي خطأ ، فان اشد العقوبات كانت ستفرض على الشخص المقصر .

عندما انهى شؤونه في مشهد ، قرر نادر الانتقام من قتلة اخيه بنفسه . فاسند حكومة خراسان الى نصر الله ، وغادر مشهد في ٢٦ ذو الحجة (١٤ مارس ١٧٤١ م) ، برفقة رضا قولي وابنه الثالث امام قولي ، وفي منطقة خابوشان احتفل نادر بالنوروز . وبعد انتهاء الاحتفال ، سار هو وجيشه عبر سملقان خلال منطقة جيرايلي ، بعد ذلك انهمرت امطار غزيرة في وادي كركان . كانت الظروف هناك شبيهة جدا لما عانوه في وادي كورم ؛ فتوجب عليهم عبور كركان بما لا يقل عن ٢٣ مرة ، وكما حصل سابقا ، فقد ازهقت ارواح الكثير من الجند غرقا . وذات يوم فاض النهر فجأة واجتاح الاف من الرجال وحيوانات حمل الامتعة فأدى ذلك الى هلاك الكثير منهما ؛ اما المياه فاستمرت بالارتفاع حتى اقتربت من الخيمة الملكية ، التي كانت مشيدة في وسط الوادي . جرفت المياه بعيدا الكثير من الخيام وعدد من الحراس والخدم بسبب قوتها ، الا ان نادر ، وبالرغم من توسلات الكثير من مرافقيه للصعود الى ارض مرتفعة ،

رفض التحرك من موقعه ؛ وجلس بهيبة على تخت نادري ، وبهدوء تام راح يرقب الفيضان الكارثي . وكأنما المياه ارتعدت من نظرات نادر تلك ، فبدأت بالانحسار تدريجيا .

استؤنف المسير حال ركود المياه ، ووصلوا الى استراباد في الوقت المناسب ، وواصل نادر تقدمه عبر اشرف ، ساري ، علي اباد وزيراب الى ممر كدوك . في ٢٨ صفر ١١٥٤ هجري (١٥ مايو ١٧٤١ م) ، كان يتقدم على طول الطريق الضيق خلال منطقة سواد كوه ذات الاشجار الكثيفة ، برفقة حريمه وحراس الحريم ؛ وكانت قواته ، وكما جرت العادة ، على مسافة بعيدة عنه نسبيا . وفجأة ، قام قناص متخفي خلف شجرة ، تبعد ٢٠ خطوة تقريبا عن الطريق ، بأطلاق النار على الشاه ؛ فاستقرت هذه الرصاصة في عنق حصانه ، بعدما اخترقت يده وجرحت ابهامه . هوى الحصان بنادر الى الارض ؛ وفي تلك الاثناء استخدم الشاه ذكاءه ، حيث بقى مرميا على الارض ، متظاهرا بالموت ، وهكذا نجى من الرصاصة الثانية . دب الكثير من الارتباك هناك ، وبعدما تم التأكد من عدم خطورة اصابة الشاه ، سارع الخصيان وحرس الحريم بقيادة رضا قولي (الذي اسرع بالقدوم عند سماع دوي النار مع الحرس المتأخر) بالبحث مطولا في الغابات المجاورة عن مطلق النار ، لكن دون جدوى ، وبعد تأخر قصير استؤنف المسير .

والسؤال هنا الذي يطرح نفسه ، ماذا لو اصابت تلك الرصاصة هدفها وقتلت نادر كيف كان سينظر شعب فارس له ؟ لكان في اوج شهرته . فقد حرر بلده من الافغان ، وهزم الاتراك ، وانسحبت روسيا من جميع الاراضي الفارسية ، ثم اخضع البختياريين ، العبدليين ، والغلزائيين ؛ اضافة الى ذلك فقد سحق الجيش الهندي واحتل عاصمتهم دلهي ، وفتح تركستان وخوارزم ، في حين استولت قواته على جزء من شبه الجزيرة العربية ، اما الاسطول الذي اسسه ، وبالرغم من بعض الصعوبات ، فقد اصبح الاسطول المسيطر على الخليج الفارسي . كان طموحه لا حدود له ، وكل انتصار جديد يحفزه على طلب المزيد . حتى الان كانت سيرته

جيدة ، لكن تغييرا كبيرا سيطرأ على سلوكه سيؤدي الى جلب الكثير من الكوارث والمعاناة لشعب فارس وكما سنرى لاحقا .

من ممر كدوك تقدم نادر الى طهران حيث استقبل هناك كالوشكين ، الذي سلمه رسالة من سانت بطرسبيرغ ، تؤكد على تعزيز اواصر الصداقة بين البلدين . كان هذا اللقاء ضروريا ، بسبب ان المبعوث الفارسي لدى سانت بطرسبيرغ كان يرسل الى بلاط الشاه تقارير خاطئة غير مطمئنة عن مستقبل العلاقة بين البلدين . كما وتم تكليف كالوشكين للتحقق من نوايا الشاه الحقيقية تجاه روسيا وتقديم تقرير مفصل بذلك .

ذكر كالوشكين بتقرير بعثه الى البلاط الروسي عن صعوبة اللقاء بالشاه والحديث معه كالسابق كما واتهمه بالتعالي :

" لقد اصبح نبوخذ نصر الجديد رجلا متعاليا بسبب انتصاراته حيث ذكر بأنه لم يكن من الصعب عليه غزو كل الهند " لو كنت بساق واحدة سأتمكن ايضا من غزو الهند لكني الان بساقين اذن توجب علي غزو كل العالم " " .

اكتشف كالوشكين بأن نادر كان لا يزال يكن العداء لتركيا ، لكنه لم يكن متأكدا من نواياه تجاه روسيا .

بعد توقف قصير في طهران ، توجه نادر الى قزوين . ومن الجدير بالذكر فأن رضا قولي لم يرافق والده اثناء مسيرته تلك . حيث ذكر ميرزا مهدي ان نادر امر الامير بالبقاء في طهران ، " لحل مشاكل تتعلق بإيرادات تلك المقاطعة " ، كان من الواضح ان نادر ابعد رضا قولي (١) . لكن الذي لم يكن واضحا هل ابعده بسبب معاقبته على اخطائه التي اقترفها اثناء توليه منصب نائب الشاه وما تبعها من اخطاء بعد عزله من منصبه ، او ان نادر اشتبه بضلوعه في محاولة اغتياله .

عندما كان الشاه متواجدا في قزوين ، وصل جيف اميلاخور وزعيم جورجي اخر لإبلاغ نادر عن قيام اللزجيين بنهب وتخريب كارتلي ؛ غضب نادر كثيرا بسبب ذلك الخبر ، واقسم على معاقبة اللزجيين وبلا

رحمة . اعاد تعيين جيف اميلاخور بمنصب الحاكم على كيسان ، وامر بإرسال قوة قوية من الافغان وقوات اخرى الى تلك المنطقة ، حيث اندلع قتال عنيف هناك .

خلال اقامته في قزوين ، ونتيجة لوعد مسبق قطعه على نفسه في دلهي ، سمح نادر لطبيبه الهندي البارع ، علوي خان ، بالذهاب لإداء فريضة الحج في مكة ؛ ورافق الطبيب في مسيرته تلك عبد الكريم كشميري صاحب كتاب بيان الواقعة . بذل علوي خان قصارى جهده لتخفيف حدة طباع نادر ، اضافة الى معالجة مرضه ، ويبدو انه نجح في ذلك الى حد ما ، لكن وبعد رحيله ، تدهورت حالة نادر الجسدية والنفسية بشكل ملحوظ ، اما نوبات الغضب الشديدة فأصبحت متكررة الحدوث لديه .

بعد ١٥ يوما قضاها في قزوين ، غادر نادر الى داغستان عبر قراجه داغ ، بردعة وقابالا .

عندما كان الشاه متواجدا في نادر اباد في مايو ١٧٤٠ م ، امر كل من عبد الغني خان ، زعيم العبدليين ، وفتح علي خان بالذهاب الى شيروان والتعاون مع القادة في جورجيا واذربيجان لقمع لزجيي جار وتالا خلال الخريف والشتاء . ولعدة اسباب مجهولة ، لم يستأنف عبد الغني خان والقادة الاخرين هجومهم حتى مارس ١٧٤١ م . كان قائد العبدليين اكثر مهارة وخبرة في القيادة من ابراهيم خان ، حيث كان خصما عنيدا للزجيي جار وتالا ؛ فاستطاع ان يوقع بهم خسائر فادحة ، واجبر الكثير منهم على الخضوع لسلطة نادر .

بعدما وصل نادر الى شيروان ، هرع العديد من اللزجيين اليه لتقديم فروض الطاعة . حدث ذلك بسبب الهزائم التي تعرض لها لزجيي جار وتالا على يد زعيم العبدليين ، ولظهور الشاه على راس جيش يتكون من ١٥٠ الف رجل (٢) .

تقدم نادر باتجاه الشمال ، وبحلول ١ جمادي الاول (١٤ اغسطس) توغل في قرية او بلدة غازي قموق ، في قلب داغستان . وهناك علم ان قوة مشتركة من الاوزبك ، تتار ارال والقازاق قد احتلوا خوارزم ،

واستولوا على خيوة واعدموا طاهر بيك ومؤيديه (لكن ثبت بعد ذلك ان هذه التقارير مبالغ فيها حيث ان طاهر بيك لم يقتل حتى وقت لاحق) .

في بداية رجب (١٢ سبتمبر) ، غادر نادر غازي قموق بنية استطلاع حدود افاريا . الا انه ، وبسبب تأخر الموسم ، لم يفكر جديا بشق طريقه خلال الجبال في ذلك الوقت لاحتلال البلد بالكامل . ومع ذلك ، فقد أجبر نادر على استبعاد فكرة التقدم نحو الشمال وانعطف شرقا نحو ساحل قزوين بسبب سوء الطقس او للمقاومة العنيفة التي ابداها اللزجيين . ولو بدء نادر مسيرته نحو افاريا قبل شهر تقريبا ، لربما استطاع شق طريقه عبر الحاجز الجبلي الهائل وصولا الى خونزاخ ؛ واذا ما وصل الى هناك ، فأن مفتاح داغستان سيكون بين يديه . اعلن كل من الشمخال القاص فولاد ، سورخاي خان ، احمد خان وغيرهم من الزعماء ولائهم لنادر ، اما بالنسبة لقوة جيشه فبقت غير متأثرة بالخسائر والمشاق نتيجة الحملة الطويلة في بلد صعب للغاية ، فكانت نتائج هذه الحملة الى الان افضل بكثير من نتائج حملته التي ستبدأ في العام القادم . بسبب شهرته العسكرية التي لا تشوبها شائبة وكذلك لامتلاكه جيش قوي ولنجاحاته العسكرية في الهند ، تركستان ، خوارزم وداغستان ، اثبت نادر انه خصم هائل للأتراك . واذا ما هاجم روسيا فجأة في تلك الفترة ، فلربما سينتزع منهم كيزليار واستراخان بسهولة كبيرة ؛ بسبب ان روسيا سحبت العديد من قواتها على الحدود الجنوبية لتعزيز قواتها الاخرى المشغولة بحربها ضد السويد ، ويبدو ان روسيا كانت متخوفة من تعرضها لهجوم مفاجئ بقيادة نادر شاه . وكما سيتبين ادناه ، كان في نية نادر فعلا القيام بهجوم على جارته ناحية الشمال ، ولكن بحلول ذلك الوقت كانت هذه الفرصة قد مرت دون ان يستغلها نادر .

عندما كان الشاه في تشيراغ ، في طريق عودته نحو ساحل بحر قزوين ، علم ان رجال قبيلة القراقيتاق قد هاجموا بعض القوات الفارسية في منطقة الغابات الكثيفة ، وقتلوا العديد من رجاله ونجحوا بالاستيلاء على قسم من الامتعة الفارسية (٣) . اما التتار المشهورين بشراستهم فحاموا حول القوات المرافقة للشاه ، وحصلت مناوشات فيما بينهم ؛ وفي احدى

الليالي شنوا غارة على خيام حريم نادر ونجحوا بآسر عدد من النساء . غضب نادر كثيرا بسبب هذه الحادثة وامر بإعدام عدد من الضباط والجنود المكلفين بحراسة خيام الحريم بتهمة تقصيرهم ؛ واقسم نادر انه لن يعود من داغستان حتى يجبر جميع المتمردين على الاستسلام .

وصل نادر الى دربند في ٥ شعبان (١٦ اكتوبر) ؛ حيث ترك امتعته في تلك البلدة ، وسارع بالهجوم على رجال قبيلة القراقيتاق . ولصد غارات اللزجيين ، امتلك نادر العديد من الحصون المنتشرة على اراضي الشمخال . في ١٠ رمضان (١٩ نوفمبر) عاد نادر من حملته تلك ، وعلى ما يبدو فأنه فشل بتحقيق هدفه . وبسبب وجود الكثير من المياه والعلف في منطقة داشت كفاري ، التي تبعد ثلاثة فراسخ عن شمال غرب دربند ، قضى الشاه فصل الشتاء هناك .

ان توفير المؤن لجيش كبير في بلد تتكون معظم اراضيه من الغابات والجبال الصخرية هي مشكلة حقيقية . وبسبب التخريب المستمر نتيجة الحملات والغارات ، فلم يكن هناك سوى القليل من الطعام في شيروان المجاورة ، اما كارتلي وكاخيتي فكانتا في وضع مشابه لشيروان (٤) . كان الحل الوحيد لتلك المشكلة هو بجلب الامدادات بحرا . فبعد ان انشأ نادر اسطولا في الخليج الفارسي ، قرر انشاء اسطول اخر في بحر قزوين . حيث تواجدت هناك بعض السفن الفارسية ، لكنها كانت صغيرة وبدائية الصنع والتصميم . كما وكان الفرس غير ماهرين بالملاحة . ويقال ان نادر ارسل بطلب صانعي السفن والبحارة من سورات ، لمعالجة ذلك الخلل .

والى ان يتمكن من الحصول على السفن الخاصة به ، اعتمد نادر بصورة كاملة تقريبا على التجار الروس لتزويده بالمؤن عن طريق البحر ؛ حيث ان الكثير من هؤلاء التجار حققوا ارباحا هائلة نتيجة تجارتهم تلك . عندما اخبر كالوشكين الشاه بارتقاء الامبراطورة اليزابيث بيتروفنا عرش روسيا ، بعد ثورة ٦ ديسمبر ١٧٤١ م ، عبر نادر عن سعادته لسماعه تلك الاخبار ، كما واضاف بأنها تستحق العرش الروسي ، لكونها ابنة بطرس العظيم . امر نادر بمنح كالوشكين معطف شرف

والف روبل ، وطلب منه التواصل مع البلاط الروسي لإعارته عشرة سفن روسية ، قسما منها ستستخدم في عملياته ضد المتمردين الداغستانيين والقسم الاخر منها لنقل المؤن والامدادات من استراخان . وعندما ارسل كالوشكين طلب الشاه الى البلاط الروسي ، حذر حكومته من نوايا الشاه ، حيث اخبرهم بأنه لن يعيد تلك السفن اذا ما حصل عليها ، لأنه كان متلهفا لامتلاك اسطول تابع له في بحر قزوين . ونتيجة لتحذيرات كالوشكين ، رفضت روسيا منح الشاه اي سفينة تابعة لها .

احتفل نادر بعيد النوروز في معسكره . وحسب ميرزا مهدي ، اراد نادر في هذا الوقت التنازل عن العرش لصالح احد ابناءه والمكوث في كلات ، حالما يتم التوصل الى حل نهائي مع الاتراك .

وقبل بداية حملته في ربيع ١٧٤٢ م ، ارسل نادر وكلاءه شمالا الى انديري وكوستيك ، في ارض القموق ، لشراء الامدادات والخيول ، الا ان رجال القبائل هؤلاء اغضبوا الشاه بسبب فرضهم مبالغ طائلة ، ولمشاركتهم في عمليات السرقة ، ولقيامهم بمساعدة اللزجيين . في نهاية مايو ١٧٤٢ م ، تقدم نادر ضد المتمردين من تبرسران ، حيث هاجمهم بقوة في ثلاث مناسبات ، لكن لم يكتب له النجاح في اي مناسبة ، بل في هجومه الاخير نجى نادر من الموت بأعجوبة . كان سورخاي خان والشمخال القاص فولاد برفقة الشاه معظم الوقت ، ولم يصدر عنهما اي خطأ او فعلٍ يدل على الخيانة اثناء تواجدهما مع الشاه ؛ اما من ناحية اخرى ، تخلى احمد خان عن ولاءه لنادر ، وتحصن في قلعة قريش المنيعة .

في يوليو ١٧٤٢ م ، نشأت علاقة جيدة بين القبطان التون والحكومة الفارسية ، فأضرت هذه العلاقة بالشركة الروسية من جهة ومن جهة اخرى انتهت نهاية مأساوية حيث ادت الى موت التون نفسه .

في نهاية يونيو من ذلك العام وصلت السفينة التي وضعها التون في قازان الى انزلي ، والتي استخدمت في نقل بضائع التجار الانكليز بين استراخان والموانئ الفارسية على بحر قزوين . كان طاقمها يتكون من

بحارة روس وانكليز بقيادة الكابتن وودروف ؛ وكان الكابتن التون متواجدا ايضا على متنها . وبعد انزال بضائع التجار الانكليز من على متنها في انزلي ، أدخلت السفينة في خدمة الحكومة الفارسية ، واستخدمت في مناسبتين في عام ١٧٤٢ م لنقل الارز الى دربند . فبواسطة تلك السفينة البريطانية التي استخدمت في نقل الارز من فارس ، تمكن نادر ، الى حد ما ، من كسر الحلقة الاحتكارية التي شكلها التجار الروس لنقل السلع الغذائية عن طريق البحر الى قواته في داغستان ؛ وكان هذا بلا شك السبب الرئيسي لتصاعد الازمة بين الشركة الروسية والحكومة الروسية ، وكان ايضا سببا في تنامي العداء بين التون و وودروف من جهة وبين المسؤولين الروس في رشت ودربند من جهة اخرى في ١٧٤٢ م .

نتيجة للاعتداءات المتكررة التي شنها الداغستانيون ، امر نادر ، في يوليو ١٧٤٢ م ، بإقامة معسكر في شمال تبرسران ، قرب غوبدين ، وقيل انه اعتزم انشاء مدينة هناك . كانت المؤن تصل بصعوبة كبيرة الى ذلك المعسكر ؛ فألى جانب نقص الغذاء ، عانت القوات الفارسية من الهجمات المتكررة التي شنها اللزجيين ، القراقيتاق وغيرهم من رجال القبائل . ونتيجة لمعاناة رجاله وللخسائر الفادحة التي تكبدوها من قتلى وجرحى ، اطلق نادر على معسكره الجديد ، وبمرارة شديدة ، اسم " ايران خراب " . كانت الحرارة الشديدة ونقص المياه سببا بظهور بعض اعراض وباء الطاعون ، والتي اصابت بشكل خاص القوات الافغانية ؛ وبسبب خطورة الوضع امر نادر بنقل المصابين الى معسكر اخر يبعد حوالي ٣٠ ميل الى جهة الشمال ، بالقرب من بويناق ، كما وامر بمنع تناقل اخبار ذلك الوباء .

سعى كالوشكين مرارا لأقناع الشاه بالتخلي عن حملة داغستان لما لها من عواقب كارثية على بلاد فارس ، لكن نادر لم يقتنع بهذه الكلمات . وبسبب قلقه من نوايا الشاه في ما اذا قام بشن هجوم مفاجئ على الحدود الروسية ، فقد حث كالوشكين حكومته على ارسال تعزيزات عسكرية لحماية الحدود ؛ وفعلا استجابت الحكومة الروسية لتلك المطالب ،

وارسلت التعزيزات الى هناك ، وبسبب ذلك غير نادر من مخططاته . بعد هذا التقرير بفترة قصيرة ، توفي كالوشكين ؛ فعين بديلا عنه فاسيلي براتياشيف .

حققت القوات الفارسية الانتصارات على رجال القبائل في تبرسران شيئا فشيئا ، ونتيجة لذلك قرر نادر القيام بمحاولة اخرى بهدف الاستيلاء على افاريا ولمعاقبة قموقلار ، ولتحقيق هدفه الثاني تطلب منه عبور الحدود الروسية . وبسبب علمه بوصول التعزيزات العسكرية الروسية الى كيزليار ، فقد تخلى عن تحقيق ذلك الهدف ، لكنه صمم على الاستيلاء على افاريا .

نجح الفرس بالاستيلاء على اق قوشا في اغسطس ١٧٤٢ م ، ثم تقدموا باتجاه افاريا ومدن كافر قموق وغازانيش . وفي ممر ضيق وقعت قوة فارسية من الحرس المتقدم مكونة من ٦ الاف رجل في كمين محكم اعده اللزجيين ، وبسبب ذلك تراجع الفرس بعد ان تكبدوا خسائر ثقيلة . وفي نوبة من الغضب ، امر الشاه بإعدام عدد من ضباط القوة المهزومة . في سبتمبر ، قاد نادر قوة لا تقل عن ٣ الاف رجل حيث شقوا طريقهم عبر الغابات . وفي قرية ، على ما يبدو ، قرب افار كويسو (٥) ، واجه الفرس مقاومة شديدة اجبرتهم على التراجع . ظلت افاريا صامدة ، حيث فشلوا باحتلالها ، وبالتالي فإن مفتاح داغستان بقى بعيدا عن متناول يد نادر . تزامن ذلك مع قيام قوة فارسية بصعود الجبل الذي يقع عليه معقل احمد خان في قريش ، وبعد ثلاثة ايام نجح الفرس بالاستيلاء على الحصن بهجوم شامل . الا ان احمد خان نجح بالهروب الى افاريا قبل سقوط معقله . اما قبيلة القراقيتاق ، فبعد هروب قائدهم وفقدان حصنهم الرئيسي ، فقد خضعوا للفرس .

في اكتوبر ، عاد نادر من حدود افاريا ، وسار عبر تاركو وبشلي الى ان وصل الى ايران خراب ، حيث قضى فصل الشتاء هناك .

وعلى ما يبدو ، حصلت حادثة في ايران خراب في خريف ١٧٤٢ م كانت سببا في اكتئاب نادر وحزنه طوال السنوات القليلة المتبقية من

عمره ؛ كانت هذه الحادثة هي تسميل عين رضا قولي ميرزا بسبب اتهامه بالتحريض على محاولة اغتيال نادر في مازندران في العام السابق .

اختلفت اراء الكتاب المعاصرين والمتأخرين حول موضوع اتهام الامير ؛ فيرى البعض منهم بأنه بريء ، اما البعض الاخر فوجدوه مذنبا . وما سيتم ذكره ، مأخوذ من مصادر وصفت على انها الاكثر دقة .

بعد عدة محاولات غير ناجحة لإلقاء القبض على القاتل ، تم اخيرا العثور عليه قرب اوبا ، في هرات . كان يدعى نك قادام ، وكان يعمل بحرس ديلافار خان حاكم تايمني . بعد اعتقاله ، ارسل الى داغستان ووصل الى المعسكر النادري في وقت ما خلال صيف ١٧٤٢ م . وبعدما أُحضر امام نادر ، استجوبه الشاه شخصيا ؛ وحسب عبد الكريم بخاري ، عندما طلب منه الشاه الكشف عن هوية المحرض الرئيسي الذي يقف وراء حادثة الاغتيال تلك ، رد الرجل بجرأة " لا احد حرضني على ذلك " وذكر " لقد اطلقت النار عليك قاصدا قتلك لأني رغبت بتخليص العالم من طاغية مثلك " . وحسب محمد كاظم ، ان نادر ، في بداية اللقاء ، وعد الرجل بالإبقاء على حياته بشرط الكشف عن هوية المحرض الرئيسي في حادثة الاغتيال ؛ فذكر نك قادام اسم رضا قولي . حيث اخبر الشاه ، بأنه كان يعمل بالحرس الخاص لدى الامير وبسبب شجاعته ومهارته العالية في الرماية اولاه الامير اهتماما خاصا ؛ وذكر محمد كاظم ، انه في احد الايام عندما كان الامير برفقة محمد حسين قاجار ورحيم سلطان ، طلب الامير منه اطلاق النار على الشاه . فوافق على ذلك ، وذهب خصيصا الى هرات لهذا الغرض في يونيو ١٧٤٠ م ، لكنه لم يحظى بفرصة للقيام بذلك . وبعد تسريح الحرس الشخصي لرضا قولي في قرة تبه ، عاد الامير وطلب منه مرة اخرى قتل الشاه ، فبقى يترقب الفرصة السانحة للقيام بذلك ، حتى علم بتحرك الشاه من ساري الى اشرف فأسرع الى هناك لتنفيذ مهمة الاغتيال تلك ؛ الا انه اخطأ الهدف . اعداء الامير بدورهم اتهموا رضا قولي مرارا وتكرارا بضلوعه في عملية اغتيال الشاه ، وكانت هذه الاتهامات تصل

الى مسامع الشاه عمدا ؛ كان من الطبيعي ، ان يشعر نادر بغضب شديد ، وخاصة بعد تأكيد تلك الاتهامات ، قرر نادر احضار رضا قولي وتوجيه الاتهام اليه لمسؤوليته المباشرة وراء عملية الاغتيال تلك . اما بخصوص نك قادام ، فحافظ نادر على وعده بالإبقاء على حياته ، لكنه امر بتسميل عينيه .

تبدو رواية محمد كاظم مقبولة الى حد ما ، لكنه كان وقتها في تركستان ، وبالتالي لم يكن لديه علم مباشر بمجريات هذه الحادثة . فنجده اخطأ عندما ذكر ان نادر تعرض لعملية الاغتيال بين ساري واشرف ، ولا يمكننا تفسير كيف امكنه ذكر المحادثة الشخصية بين الشاه ونك قادام . كما واخطأ ايضا عندما ذكر ان نك قادام كان يعمل بخدمة رضا قولي .

من المحتمل ان يكون نك قادام قد اتهم رضا قولي ، ولكن هذا لا يعني ان يكون ادعاءه صحيحا . في تاريخ نادري في الجزء المخصص عن احداث داغستان من ١٧٤١ - ١٧٤٣ م ، لم يذكر ميرزا مهدي حادثة تسميل عيني رضا قولي ، ولكن في خاتمة كتابه ، الذي كتبه بعد موت نادر ، عندما سقطت الدوافع في حجب وتشويه الحقائق ، ذكر بوضوح ان اعداء الامير نجحوا بإيصال ادعاءاتهم المغرضة الى الشاه فبدأت الوساوس والظنون تساور عقله (٦) ؛ وفي كتابه ذكر ان المحرض على ذلك هو اغا ميرزا ابن ديلافار خان . اما بازين والدكتور ليرج ، فأكدا على براءة الامير (٧) ، حيث لم يكن لديهما اي مصلحة في تشويه الاحداث او تحريفها .

بعد التفكير مطولا اقتنع الشاه بأن رضا قولي كان مذنبا ، فاستدعى الامير من طهران واتهمه بشكل مباشر . رفض الامير مرارا الاعتراف بذنبه ، الا ان نادر تجاهل دفاع الامير عن نفسه . وبعد التفكير ومشاورة مستشاريه ، اصدر امره بتسميل عيني الامير . تم تنفيذ العقوبة بحضوره الشخصي وبحضور عدد من النبلاء ، الذين أُعدم الكثير منهم بعد انتهاء عقوبة التسميل بحجة عدم تدخلهم لإنقاذ الامير (٨) . ويقال ان نادر اصيب باكتئاب وحزن عميق بعد انتهاء عقوبة التسميل فجلس في خيمته ولم يخرج منها مدة ثلاثة ايام . وذكر مالكوم ، ان نادر اخبر ابنه بعد ان

سمل عينيه " ان جرائمك هي من اوصلتك لهذه العقوبة الرهيبة " فرد رضا قولي بمرارة " انك لم تسمل عيني بعقابك هذا وانما اطفأت عين فارس " (٩) .

وخلاصة القول ، من المحتمل ان يكون رضا قولي بريئا ؛ ولكن بسبب غطرسته واخطاءه وسلوكه الغبي ، صدق الشاه الادعاءات المغرضة ضده ، كما وكان من سوء حظه ان محاكمته حصلت في وقت كان فيه نادر غاضبا جدا بسبب انتكاسته على يد اللزجيين ، ولعدم وجود رجل كعلوي خان الذي كان بوسعه تهدئة غضب نادر بحكمته البالغة . ولو ألقي القبض على نك قادام فور اطلاقه النار ، فكان من المحتمل نجاة الامير من العقاب وقد لا توجه اليه اصابع الاتهام مطلقا .

بعد ان استرد الامير عافيته أرسل ، بناء على طلبه ، الى مشهد . في نوفمبر ١٧٤٢ م ، تقدم نادر نحو الشمال ، بهدف عبور نهر تيريك المتجمد للزحف الى كيزليار ، حيث ادعى الشاه بأن تلك الاراضي كانت تعود سابقا الى بلاد فارس . وكان سبب اتخاذه هذا القرار ، هو تأثره بالرسائل التي أُرسلت اليه من حاكم الشيشان ، حيث عبر فيها عن رغبته في ان يكون تابعا لبلاد فارس وعرض عليه ان يبين له الطرق التي ستمكنه من غزو روسيا . ويبدو ان نادر كان يخطط لغزو القرم عبر قباردا وكوبان .

كانت الحرب بين فارس وروسيا امرا حتميا لا مفر منه ، وأكد براتياشيف ، في تقرير ارسله الى سانت بطرسبيرغ ، عن نوايا الشاه العدائية تجاه روسيا ، كما وذكر ان التون عرض على الشاه استخدام سفينته حتى عند اندلاع الحرب .

قامت روسيا ، وبسبب تخوفها من تحركات نادر العدائية ، بتعزيز قواتها وبشكل كبير على الحدود الجنوبية . وفي تلك الاثناء تلقى نادر عدة تقارير بشأن تحرك قوات تركية كبيرة قرب الحدود الفارسية ، حيث وصلت السفارة التركية الى المعسكر الفارسي في وقت مبكر من عام ١٧٤٣ م ، مع رسالة جاء فيها رفض السلطان القاطع على الاعتراف

بالمذهب الجعفري وعدم الموافقة على تشييد ركن خامس في الكعبة ، وبسبب تلك الاخبار تخلى نادر عن فكرة غزو روسيا وقرر محاربة الاتراك . في ١٥ ذو الحجة ١١٥٥ هجري (١٠ فبراير ١٧٤٣ م) ، تقدم نادر باتجاه الجنوب . وعين زعيم العبدليين عبد الغني خان قائدا على الحامية في دربند .

نتيجة لشجاعتهم ، وبسبب تضاريس اراضيهم التي اشتملت على مساحات شاسعة من الغابات والجبال ، اثبت الداغستانيون انهم ند قوي لنادر ولا يمكن هزيمتهم بسهولة . كل ما فعله نادر بحملته على داغستان هو اخضاع الجزء الادنى من داغستان والاستيلاء على عدد قليل من الحصون المعزولة كقريش . تم ذلك مقابل اموال هائلة ، وطاقات بشرية كبيرة . اما سمعة نادر العسكرية فقد اهتزت بسبب فشله بتحقيق اي نجاح حقيقي في داغستان .

خلال العواصف الثلجية والبرد الشديد ، شق الجيش الفارسي طريقه جنوبا باتجاه سهل مغان . وقد عانت القوات من الجوع والبرد الشديد ، ووصل بهم الحال الى اكل لحوم زملائهم من الجنود الذين قضوا نتيجة الجوع والبرد . مات العديد من الرجال والحيوانات على الطريق من سامور الى شابران حيث كانت الجثث متناثرة على طول ذلك الطريق . واستمرت هذه المعاناة الرهيبة بما لا يقل عن اربعين يوما اثناء مسيرة الجيش من دربند الى كورا .

وفي الوقت نفسه ، حدثت مشكلة خطيرة في خوارزم ، حيث حصل خلاف بين نور علي خان وطاهر بيك ، فادى ذلك الى لجوء نور علي الى تركمان ارال وحثهم على مهاجمة عدوه . وبمساعدة هؤلاء التركمان وانصاره في خوارزم ، تمكن نور علي من الاستيلاء على يتجي ، اورقنج ومدينة خيوة ، وحاصر طاهر بيك في قلعته في خيوة . ارسل طاهر بيك مناشدات الى نصر الله في مشهد لمساعدته ، لكن الامير لم يستطع القدوم لنجدته . وبعد حصار دام عدة اسابيع ، اجبر طاهر بيك على الاستسلام ، وبعد ذلك امر نور علي بإعدامه ثأرا لمقتل البارس . ثم اعتلى نور علي خان عرش خوارزم (١٠) . وهكذا عانى نادر من

انتكاستين واحدة في اقصى الشمال الغربي واخرى في اقصى الشمال الشرقي من الامبراطورية الفارسية ، لكن انتكاسته في داغستان اضافة الى الخسائر الكثيرة التي تلقاها هناك هي من اضرت بسمعته اكثر من هزيمة وموت طاهر بيك .

العمليات العسكرية في الخليج الفارسي ١٧٤٠ ـ ١٧٤٧ م

وحملة عمان الثانية

في اوائل سبتمبر ، ١٧٤٠ م ، بلغ استياء البحارة العرب ذروته ، بسبب تخفيض رواتبهم وعدم منحهم المؤن بكميات كافية . وفي مدينة لافت ؛ نجح المتمردون العرب بقتل الادميرال ، مير علي خان ، وكل من قاوم من الفرس ، بعد ذلك استولوا على الاسطول الفارسي الراسي هناك واقتادوا السفن الى خور فكان ؛ ثم تم نقل بعض تلك السفن الى جزيرة قيس . وكتب وكيل كامبرون عن هذا التمرد حيث قال :

" ان لم يتم اعادة العرب الى الطاعة فنعتقد ان مخطط جلالته بشأن بناء اسطول عظيم ومسيطر في الخليج سيكون بعيد المنال كون العرب هم وحدهم المتمرسين بأمور الملاحة ومن خلالهم فقط يستطيع الشاه تحقيق اهدافه اما الفرس فلا يمكن الاعتماد عليهم كونهم عديمي الخبرة بشؤون البحر " .

بعد ايام قليلة على حادثة قتل الادميرال السابق ، وصل الى كامبرون الادميرال الجديد ، محمود تقي خان ، فبعد ان طالب الوكيل بأنهاء الترتيبات اللازمة لبيعه احدى السفن الكبيرة ، كتب الادميرال رسالة الى زعيم المتمردين يحثه هو واتباعه على الخضوع وتسليم كافة السفن الفارسية التي استولوا عليها ؛ وايضا قام الوكيل بكتابة رسالة تحمل نفس المضمون ، بعدها قامت الترانكي ، التابعة للإنكليز ، بنقل هاتين الرسالتين الى المتمردين .

ودون انتظار الرد ، اجبر الادميرال الهولنديين على اقراضه سفينتين تابعتين لهم كانتا راسيتين قبالة كامبرون . ابحر الادميرال بهاتين السفينتين برفقة عدد من المراكب الصغيرة بهدف مهاجمة العرب واجبارهم على الخضوع . فحصل اشتباك بين الاسطول الفارسي وسفينتين عربيتين كبيرتين ، من نوع بريجانتين ، ترافقهما مجموعة من الترانكي . وبعد تبادل لإطلاق النار بين الجانبين ، حاول العرب الصعود الى احدى السفن الهولندية ، لكنهم جوبهوا بمقاومة عنيفة من قبل الفرس

ففشلوا بالاستيلاء على تلك السفينة ؛ اما السفينة الهولندية الاخرى ، التي كان على متنها الادميرال ، فكانت تطلق نيرانها على العرب من مسافة بعيدة جدا . بعد حلول الظلام ، انسحب الاسطول الفارسي من هناك ، واثناء ذلك الانسحاب تمت ملاحقتهم من قبل العرب . كان هذا الاشتباك عبثيا ولم ينتج عنه اي نتيجة ملموسة لصالح الفرس ، وهنا لابد من الاشارة الى ان الادميرال كان يفتقر الى الخبرة بأمور الملاحة .

لاحقا حصل خلاف بين الادميرال والهولنديين ، نتج عنه قيام الادميرال بوضع عدد من الجنود الفرس على متن السفن التابعة للشركة بهدف مضايقتهم وتقييد حريتهم . في غضون ذلك ، قام عرب الهولة والمتمردون بشن غارات على بعض المدن الساحلية مثل كنك ، كما وحاولوا الاستيلاء على البحرين ، فتصرف العرب كما لو انهم سادة الخليج .

بعد ان علم نادر بكل تلك الاحداث وبتمرد عرب الهولة ، ارسل اوامر بتجهيز ٦ الاف رجل وتخصيص مبلغ قدره ١٥ الف تومان ، كما وسعى لشراء المزيد من السفن من سورات ؛ ويقال انه في عام ١٧٤١ م امر بجلب مالا يقل عن ١١ سفينة من هناك ؛ حيث وصلت احدى تلك السفن قادمة من سورات في مايو ١٧٤١ . في غضون ذلك ، نشأ نزاع بين العرب انفسهم ، كما وقام البعض منهم بالتفاوض مع الفرس . فظهر هنالك تحسن ملحوظ في الأوضاع لصالح الفرس .

في صيف ١٧٤١ م ، سعى نادر لتنفيذ مشروع جديد يتضمن بناء سفن حربية في بوشهر . كان الغرض الاساسي من ذلك المشروع هو تحقيق الاكتفاء الذاتي في صناعة السفن ، لأنه رغب بعدم الاعتماد على الاخرين بشأن توفيرها ؛ فكانت شركة الهند الشرقية ، اضافة الى الاموال الطائلة التي تفرضها عند اقراضها السفن ، تطالب دائما بامتيازات جديدة او اعادة العمل بامتيازات سابقة كانت ممنوحة لهم . كما وتوقع نادر انه بتنفيذه لهذا المشروع سيكون قادرا على امتلاك سفن حربية بتكلفة اقل بكثير من تلك التي يتم شراؤها من سورات ، والتي

كانت بالفعل باهظة الثمن . ولسوء حظه لم يفكر الشاه بالصعوبات الهائلة التي تنتظره اثناء تنفيذه لهذا المشروع .

كانت ابرز تلك المشاكل هي توفير الاخشاب ، حيث عانت المناطق الساحلية في الخليج من نقص حاد في الاخشاب المستخدمة في صناعة السفن ؛ وللتغلب على تلك العقبة سعى نادر لتوفير تلك الاخشاب من غابات مازندران ونقلها مباشرة الى ميناء بوشهر ، لمسافة تزيد على ٦٠٠ ميل . في اوائل سبتمبر ١٧٤١ م ، قيل ان نادر امر بصنع عربات مخصصة لنقل الاخشاب (١) ، لكن ، وبسبب وعورة الطريق واجتياز الاراضي الجبلية ، توجب على الاشخاص حمل هذه الاخشاب على اكتافهم والسير بها لمسافات طويلة ، فكانت هذه المعاناة شبيهة بمعاناة اولئك الاشخاص المكلفين بنقل الرخام من مراغة الى مشهد وكلات . وبعد تلقيه طلبا من نادر بشأن تخصيص عدد من النجارين البارزين بصناعة السفن وتجهيز المواد اللازمة وتوفير المخازن الضرورية ، علق وكيل كامبرون على مشروع الشاه قائلا :

" ان ابرز عقبات ذلك المشروع تمثلت بعملية نقل الاخشاب من مازندران وحملها على الاكتاف لمسافات طويلة ولمدة ٦٠ يوما " (٢) .

وورد في يوميات كامبرون ان نادر امر ببناء عدة سفن في بوشهر : " على ان تحمل اسمه وتكون بطول ٣٠٠ قدم انكليزي تقريبا وتحوي على ٥٠ مدفعا ويتم تجهيزها بعمال وذخائر من اوروبا " (٣) .

ولتوفير الاسلحة ، تم انشاء مصنع لصناعة المدافع في كامبرون ، حيث كان من المفترض صب ٣٠٠ مدفع هناك ؛ وبالفعل ففي سبتمبر ١٧٤١ م تمكنوا من صب مدفعين نحاسيين بنجاح . في الشهر التالي ذكر المترجم التابع لشركة الهند الشرقية في اصفهان عن وصول الشحنة الاولى من الاخشاب قادمة من مازندران ؛ واعتقد بأنها وصلت الى بوشهر في وقت لاحق من ذلك العام او في بداية ١٧٤٢ م . حيث اضطر المزارعون والعمال الى حمل تلك الاخشاب ، فادى ذلك الى هلاك الكثير منهم بسبب الارهاق الكبير .

في يونيو ١٧٤١ م ، حصل نزاع قوي بين الادميرال وامام وردي خان ، الذي كان بمنصب سردار جرميرات ، حيث اصدر السردار امرا بسجن الادميرال في كنك . وفي اكتوبر ، طلب السردار من الوكيل الهولندي اقراضه سفينتين كانتا راسيتين قبالة كامبرون لغرض القيام بحملة اخرى ضد العرب . فماطل الوكيل الهولندي كثيرا لدرجة ان قام السردار بالاستيلاء على تلك السفينتين بالقوة ، فقام بأنزال قبطاني السفينتين والضباط التابعين لهما وجميع الرجال ، وابحر هو والفرس لمهاجمة العرب في جزيرة قيس . وبعد قيام الاسطول الفارسي بأنزال ٥٠٠ رجل تقريبا على الجزيرة ، ظهرت السفن العربية وفتحت نيرانها ضد الاسطول الفارسي .

اشتبكت سفينة السردار مع احدى سفن المتمردين العرب ونجحت بإغراقها ونتيجة لذلك فقد تكبد العرب خسائر كبيرة في الارواح ، ثم شرعت تلك السفينة بالاشتباك مع سفينة عربية اخرى . وبسبب عدم رضاه عن المدى القصير للمدافع ، امر السردار بمضاعفة شحنة البارود لإحدى تلك المدافع ؛ فأدى ذلك الى انفجاره مخلفا العديد من القتلى والجرحى اما السردار نفسه فأصيب بجروح قاتلة ادت الى وفاته بعد فترة وجيزة (٤) . ذكر السردار قبيل وفاته : " استمروا بالقتال فيجب ان لا يعلم الاعداء بما حصل لنا " . عانى كلا الجانبين كثيرا من هذه المعركة ، وعند انتهاءها ؛ كانت الافضلية فيها للعرب ، بسبب موت السردار وقتل معظم الرجال الفرس الذين نزلوا على الجزيرة (٥) .

في بداية كانون الثاني ١٧٤٢ م ، وصلت سفينتان جديدتان تحملان ١٤ مدفعا الى كامبرون قادمتان من السند ، فأثار ذلك الخبر انزعاج الوكيل ، بعدها تم الحصول على سفينة اخرى في بوشهر " عن طريق عملية شراء غير مصرح بها " من شخص يدعى بياكوك . وفي ذلك الوقت وصل تقي خان شيرازي الى كامبرون بعد ان اعيد الى منصبه السابق كبيكلربيك . كان الاسطول الفارسي وقتها يتكون من ١٥ سفينة (القليل منها كانت لا تزال في سورات او كانت في طريقها قادمة من هناك) .

كما ذكرنا سابقا في الفصل الثامن عشر بأن الفرس اجبروا على التراجع من مسقط الى جلفار عام ١٧٣٨ م ، وان الامام سيف بن سلطان كان هو الزعيم في عمان لبعض الوقت . لكن ، وبسبب طغيانه وفساده ، ثار عليه رعاياه في فبراير ١٧٤٢ م ، ونجح هؤلاء بطرده من الحكم ونصبوا بن عمه سلطان بن مرشد بديلا عنه . وكما فعل سابقا ، طلب سيف بن سلطان مساعدة الفرس ، فوافق تقي خان على ذلك . اما عرب الهولة فانظموا الى انصار سلطان بن مرشد واصبحوا قوة لا يستهان بها .

بعدما نجح عرب الهولة بالسيطرة على خصب ، قرب راس مسندم ، سارعت الحامية الفارسية المتواجدة في جلفار لمواجهة عرب الهولة هناك وكان ذلك في ابريل ١٧٤٢ م ، حيث نجح الفرس بهزيمتهم هزيمة ساحقة ، فقتل الشيخ رما ، الذي كان احد قادة الهولة البارزين ، وتم اسر اكثر من ٥٠٠ عربي . من ١٠ – ٢١ يونيو ابحر الفرس باتجاه جلفار ، حاملين معهم التعزيزات والذخائر ؛ لكن كلب علي خان (الذي عين بديلا عن امام وردي خان بمنصب سردار) لم يعبر الى الساحل العربي حتى نوفمبر القادم . ثم تبعه تقي خان بعد ذلك بثلاثة اسابيع . وبحلول ذلك الوقت تم تعزيز الاسطول الفارسي بأربعة سفن جديدة قادمة من سورات .

بعد لقاءهما في جلفار ، ابرم تقي خان مع سيف بن سلطان معاهدة تعهد فيها الفرس على ارجاعه الى الحكم مرة اخرى ، شريطة الاعتراف بالسيادة الفارسية على عمان . بعد ذلك استعد الحلفاء لمهاجمة سلطان بن مرشد وأتباعه . فبينما حاصر جزء من الجيش الفارسي ، بقيادة كلب علي خان ، مدينة صحار ، توجه كل من البيكلربيك وسيف بن سلطان الى مسقط عن طريق البحر ، حيث كانت تحت سيطرة انصار سيف بن سلطان . دخلت القوات الفارسية المدينة وسُمح لهم بحرية التنقل داخلها ، لكن سيف بن سلطان منعهم من الاقتراب من حصن الجلالي وحصن الميراني . فقرر تقي خان الاستيلاء على هذين الحصنين بأي وسيلة كانت . ولعلمه المسبق بضعف سيف بن سلطان امام النبيذ ، لذلك احضر معه برميلا من النبيذ الشيرازي . وبعدما تمت دعوته الى مأدبة طعام في

في يونيو ١٧٤١ م ، حصل نزاع قوي بين الادميرال وامام وردي خان ، الذي كان بمنصب سردار جرميرات ، حيث اصدر السردار امرا بسجن الادميرال في كنك . وفي اكتوبر ، طلب السردار من الوكيل الهولندي اقراضه سفينتين كانتا راسيتين قبالة كامبرون لغرض القيام بحملة اخرى ضد العرب . فماطل الوكيل الهولندي كثيرا لدرجة ان قام السردار بالاستيلاء على تلك السفينتين بالقوة ، فقام بأنزال قبطاني السفينتين والضباط التابعين لهما وجميع الرجال ، وابحر هو والفرس لمهاجمة العرب في جزيرة قيس . وبعد قيام الاسطول الفارسي بأنزال ٥٠٠ رجل تقريبا على الجزيرة ، ظهرت السفن العربية وفتحت نيرانها ضد الاسطول الفارسي .

اشتبكت سفينة السردار مع احدى سفن المتمردين العرب ونجحت بإغراقها ونتيجة لذلك فقد تكبد العرب خسائر كبيرة في الارواح ، ثم شرعت تلك السفينة بالاشتباك مع سفينة عربية اخرى . وبسبب عدم رضاه عن المدى القصير للمدافع ، امر السردار بمضاعفة شحنة البارود لإحدى تلك المدافع ؛ فأدى ذلك الى انفجاره مخلفا العديد من القتلى والجرحى اما السردار نفسه فأصيب بجروح قاتلة ادت الى وفاته بعد فترة وجيزة (٤) . ذكر السردار قبيل وفاته : " استمروا بالقتال فيجب ان لا يعلم الاعداء بما حصل لنا " . عانى كلا الجانبين كثيرا من هذه المعركة ، وعند انتهاءها ؛ كانت الافضلية فيها للعرب ، بسبب موت السردار وقتل معظم الرجال الفرس الذين نزلوا على الجزيرة (٥) .

في بداية كانون الثاني ١٧٤٢ م ، وصلت سفينتان جديدتان تحملان ١٤ مدفعا الى كامبرون قادمتان من السند ، فأثار ذلك الخبر انزعاج الوكيل ، بعدها تم الحصول على سفينة اخرى في بوشهر " عن طريق عملية شراء غير مصرح بها " من شخص يدعى بياكوك . وفي ذلك الوقت وصل تقي خان شيرازي الى كامبرون بعد ان اعيد الى منصبه السابق كبيكلربيك . كان الاسطول الفارسي وقتها يتكون من ١٥ سفينة (القليل منها كانت لا تزال في سورات او كانت في طريقها قادمة من هناك) .

كما ذكرنا سابقا في الفصل الثامن عشر بأن الفرس اجبروا على التراجع من مسقط الى جلفار عام ١٧٣٨ م ، وان الامام سيف بن سلطان كان هو الزعيم في عمان لبعض الوقت . لكن ، وبسبب طغيانه وفساده ، ثار عليه رعاياه في فبراير ١٧٤٢ م ، ونجح هؤلاء بطرده من الحكم ونصبوا بن عمه سلطان بن مرشد بديلا عنه . وكما فعل سابقا ، طلب سيف بن سلطان مساعدة الفرس ، فوافق تقي خان على ذلك . اما عرب الهولة فانظموا الى انصار سلطان بن مرشد واصبحوا قوة لا يستهان بها .

بعدما نجح عرب الهولة بالسيطرة على خصب ، قرب راس مسندم ، سارعت الحامية الفارسية المتواجدة في جلفار لمواجهة عرب الهولة هناك وكان ذلك في ابريل ١٧٤٢ م ، حيث نجح الفرس بهزيمتهم هزيمة ساحقة ، فقتل الشيخ رما ، الذي كان احد قادة الهولة البارزين ، وتم اسر اكثر من ٥٠٠ عربي . من ١٠ – ٢١ يونيو ابحر الفرس باتجاه جلفار ، حاملين معهم التعزيزات والذخائر ؛ لكن كلب علي خان (الذي عين بديلا عن امام وردي خان بمنصب سردار) لم يعبر الى الساحل العربي حتى نوفمبر القادم . ثم تبعه تقي خان بعد ذلك بثلاثة اسابيع . وبحلول ذلك الوقت تم تعزيز الاسطول الفارسي بأربعة سفن جديدة قادمة من سورات .

بعد لقاءهما في جلفار ، ابرم تقي خان مع سيف بن سلطان معاهدة تعهد فيها الفرس على ارجاعه الى الحكم مرة اخرى ، شريطة الاعتراف بالسيادة الفارسية على عمان . بعد ذلك استعد الحلفاء لمهاجمة سلطان بن مرشد وأتباعه . فبينما حاصر جزء من الجيش الفارسي ، بقيادة كلب علي خان ، مدينة صحار ، توجه كل من البيكلربيك وسيف بن سلطان الى مسقط عن طريق البحر ، حيث كانت تحت سيطرة انصار سيف بن سلطان . دخلت القوات الفارسية المدينة وسُمح لهم بحرية التنقل داخلها ، لكن سيف بن سلطان منعهم من الاقتراب من حصن الجلالي وحصن الميراني . فقرر تقي خان الاستيلاء على هذين الحصنين بأي وسيلة كانت . ولعلمه المسبق بضعف سيف بن سلطان امام النبيذ ، لذلك احضر معه برميلا من النبيذ الشيرازي . وبعدما تمت دعوته الى مأدبة طعام في

حصن الميراني ، استغل تقي خان تلك الفرصة وجلب معه النبيذ الشيرازي ، فبدء سيف بن سلطان وضباطه بشرب النبيذ حتى وصلوا الى حد الثمالة ، بعدها نجح الفرس بالاستيلاء على حصن الميراني دون اراقة قطرة دم واحدة . ثم قام البيكلربيك بسرقة ختم سيف بن سلطان وبعث برسالة تحمل اسم وختم الاخير موجهة الى قائد حصن الجلالي يأمره فيها بتسليم الحصن الى القوات الفارسية . وبعد وصول تلك الرسالة الى قائد الحصن العربي ، ودون ان يشك بأي شيء ، امتثل للأوامر وسلم الحصن للفرس . عندما استعاد سيف بن سلطان وعيه ، وجد ان كلا الحصنين قد سقطا بأيدي الفرس ، فاستسلم للأمر الواقع وقرر مواصلة حربه ضد سلطان بن مرشد .

لم تستطع القوات الفارسية دخول صحار التي دافع عنها حاكمها احمد بن سعيد دفاعا مستميتا . اما تقي خان فتقدم برفقة سيف بن سلطان لمواجهة سلطان بن مرشد ، الذي قرر الانسحاب هو وانصاره الى صحار ، بسبب قلة عدد قواته مقارنة بالفرس وحلفاءهم ، على امل نجاحه باختراق الخطوط الفارسية والانضمام الى احمد بن سعيد حاكم صحار . وفعلا نجح بدخول صحار ، لكنه قتل بعد فترة وجيزة اثناء اغارته على الفرس (٦) . اما احمد بن سعيد فانه استطاع الصمود امام الفرس حتى يوليو وقاومهم مقاومة عنيفة ، لكنه ، وبسبب نقص الطعام والذخيرة ، قرر التفاوض معهم . استمر الحصار مدة ٧ – ٨ اشهر ، اما خسائر الفرس فتعدت ٣ الاف رجل .

بعد فترة وجيزة من وفاة سلطان بن مرشد ، عانى سيف بن سلطان من الكآبة والحزن الشديد بسبب سقوط دولته بيد الفرس نتيجة تصرفاته وافعاله الا مدروسة ، فتخلى عن الحكم ، وانزوى في الرستاق ، الى ان مات هناك كمدا وحزنا على ضياع دولته . وبتلك الطريقة المأساوية انتهت سلالة اليعاربة .

ولو اعيد سيف بن سلطان الى الحكم مرة اخرى ، بمساعدة الفرس ، فأن عمان ، زنجبار والاراضي التابعة لحكم عمان على البر الافريقي كانت ستكون جميعها جزءا من الامبراطورية الفارسية .

اما احمد بن سعيد فنجح بخداع تقي خان فلم يبقيه بمنصبه كحاكم على صحار وحسب ، بل واضاف الى نطاق حكمه مدينة بركاء .

ورد في يوميات كامبرون انه كان من المقرر ارسال ٣٥٠٠ مقاتل الى شبه الجزيرة العربية ، ليحلوا محل اولئك الذين فقدوا حياتهم في صحار .

وخلال ذلك الوقت ، اندلعت الحرب بين فارس وتركيا اخيرا ، ومع ذلك لم يأمر نادر قواته بالانسحاب من عمان ، باستثناء بعض السفن في صحار ، لغرض استخدامها في العمليات القتالية البرية والبحرية ضد البصرة .

اندلع خلاف خطير بين تقي خان وكلب علي خان ، حيث قام كل واحد منهما بتقديم شكوى الى الشاه ضد الاخر . غضب الشاه كثيرا ، وأمر باستدعائهما ؛ ثم امر بعدها بعزل كلب علي خان من منصبه وتعيين بديلا عنه محمد حسين خان قريقلو العائد توا من روسيا . وفي اوائل شهر اكتوبر سار السردار الجديد عبر كامبرون متوجها الى صحار .

وصل تقي خان ، مع جزء من الاسطول ، الى كامبرون ، وتبعه بعد ايام قليلة كلب علي خان ؛ الذي اخبر المترجم التابع لشركة الهند الشرقية بسر مفاده " ان تقي خان قد تمرد بالفعل وانه سعى جاهدا لعدة ايام في إقناعه بالانضمام الى ثورته ضد الشاه " . بعد عدة ايام امر تقي خان بخنق كلب علي ورمي جثته في إحدى الابار ؛ بعدها جاهر بتمرده وتوجه الى شيراز . كل ما يجب قوله هنا ان نادر اهمل شؤون عمان وانشغل بقمع هذه الثورة . وبعدما نجح بقمع ثورة تقي خان ، انشغل الشاه بحربه ضد الاتراك واهمل شؤون عمان مرة اخرى . وبسبب ذلك لم تتلقى الحامية الفارسية هناك اي تعزيزات ، فاستغل احمد بن سعيد هذه الفرصة . كانت احدى شروط التسوية المبرمة بينه وبين تقي خان هي دفع الجزية بشكل منتظم وفق مدة زمنية محددة ، لكن ، وبعد رحيل تقي خان ، امتنع احمد عن دفع الجزية في موعدها المحدد ولم يرسل تلك الاموال الى مسقط . ونتيجة لذلك ، عجز القادة الفرس المتواجدين هناك عن دفع مستحقات جنودهم ، الامر الذي ادى الى هروب العديد من الجند

نتيجة لذلك السبب . قام احمد بن سعيد بدعوة القادة الفرس الى بركاء ، بحجة تسليمهم مبلغ الجزية ، وبعد وصول القادة الفرس الى هناك ، امر بأسرهم واسر المرافقين لهم من الجند ؛ بعد ذلك سار الى مسقط ودعا الفرس للاستسلام ، وعرض عليهم المال اذا ما استسلموا طواعية دون مقاومة ، لكنه هددهم بالسجن والقتل اذا ما رفضوا طاعة الاوامر . وبعدما شاهد الفرس مصير قادتهم وهم اسرى بيد العمانيين ، وبسبب قلة المؤن ، استسلم غالبية الفرس . ويقال بأن احمد بن سعيد قد امر بقتل عدد من هؤلاء الجند ، فيما سمح للأخرين بالعودة الى فارس . هنا اصبح احمد بن سعيد سيدا على الساحل من مسقط الى صحار ، بعد ذلك بسط سيطرته على كامل البلاد ، باستثناء جلفار وبعض الاراضي المجاورة لها حيث تمكن الفرس من الاحتفاظ بها لعدة سنوات . بعد ان طرد الغزاة واعاد النظام الى عمان مُهد الطريق له ليكون الحاكم على عمان ، وبالتالي نجح فيما بعد بتأسيس سلالة البو سعيد التي حكمت مسقط الى يومنا هذا . ويقال ان انتخاب احمد بن سعيد كحاكم على عمان تم في اواخر عام ١٧٤٤ م .

اما فيما يتعلق بالجانب الفارسي ، فأن حملات عمان قد فشلت فشلا ذريعا . حيث لقى مالا يقل عن ٢٠ الف رجل حتفهم اما بسبب المعارك او بسبب الامراض والاوبئة (٧) ، لكن وبالرغم من هذه التضحيات فأنها لم تحقق شيئا على الارض . مثلما حصل في داغستان ، لكن على نطاق اقل ، فقد سببت حملات عمان استنزافا غير مجد للثروات والارواح وسببت الكثير من المعاناة والبؤس لسكان جنوب فارس .

ومع ذلك ، كان من الممكن تحقيق النجاح في حملة عمان لو قام نادر بتعيين شخص كفؤ ومقتدر عسكريا كطهماسب خان جالاير بدلا من تقي خان ، الذي وصف بأنه فاسد وغير كفؤ .

طوال تلك الفترة بذل نادر جهودا كبيرة لبناء الاسطول الفارسي ، تارة عن طريق شراء السفن وتارة اخرى عن طريق صناعتها بجهود ذاتية . وبذلت جهود ملموسة في بوشهر لأحراز النجاح في صناعة السفن ، لكن لم يكن بالإمكان انجاز الكثير دون وجود شخص مختص . وللتغلب على

تلك العقبة ، قرر نادر ، (الذي اعتقد بأن جميع الاوربيين كانوا خبراء في صناعة السفن) ، تعيين دي لا بورتيري بمنصب المسؤول الاعلى لصناعة السفن . وقد اشار مارتينيو في مذكراته الى الخطأ الذي ارتكبه نادر :

" خيل لنادر ان هذا الرجل كان يعرف كل شيء عن صناعة السفن حيث اناط به مسؤولية صناعة السفن في بوشهر كان دي لا بورتيري لا يعرف شيئا عن هذه المهنة حيث اعتذر عن قبول ذلك المنصب بسبب عدم كفاءته لكن الشاه رفض طلب اعفاءه وبسبب ظروف العمل القاهرة والمتعبة فقد عانى من ضغوط نفسية وصحية ادت الى وفاته في اغسطس ١٧٤٢ م " .

امر نادر بإيقاف مشروع بناء السفن في اغسطس ١٧٤٣ م ، وبقت هياكل السفن التي لم تكتمل صناعتها شاخصة في بوشهر لعدة سنوات . ولو ان نادر اعتمد على رجال اكفاء كالقبطان التون او احد البارزين بمهنة صناعة السفن في سورات ، للأشراف على ذلك المشروع في بوشهر ، لكان الحال قد تغير الى الافضل .

عاد نادر لشراء السفن باهظة الثمن من سورات ، ونجح ببناء اسطول بحري فارسي في الخليج يتكون بما لا يقل عن ٣٠ سفينة وعدد كبير من المراكب الصغيرة . خصص جزء من ذلك الاسطول لنقل التعزيزات من كامبرون الى جلفار ؛ اما باقي الاسطول فكان متواجدا في بوشهر .

خلال الفترة المتبقية من حكمه انشغل نادر بالحرب التركية وقمع الثورات التي اندلعت ضده لدرجة اهمال الاسطول البحري . ففُقدت الكثير من السفن بسبب غرقها او تلفها بينما تدهورت احوال الكثير منها بسبب الاهمال . ويبدو انه بعد عام من مقتل نادر اختفى تماما اي وجود للأسطول الفارسي في الخليج .

ان مساعي نادر في الحصول على اسطول فارسي في الخليج قد فشلت ، كما وفشل ايضا بغزو عمان . ومع ذلك فأن النشاط والمثابرة التي ابداها نادر لتحقيق هدفه بجعل الاسطول الفارسي هو المسيطر في الخليج ، ما

هو الا دليل على بصيرته وطموحه الرائع . وبسبب عدم خبرة الفرس بشؤون الملاحة ، أجبر نادر على الاستعانة بالعرب ، وعلى عدد قليل من البلوش والهنود ، الذي لم يكن لديهم اي ولاء حقيقي لفارس . حيث أعتبر ذلك بأنه السبب الرئيسي لعدم تحقيق اهدافه البحرية .

الحرب التركية : حملة بلاد ما بين النهرين

لم تتلقى تركيا ، وكذلك حال روسيا وفارس ، سوى القليل من اخبار نادر خلال حملته على الهند . حيث ظلت العلاقة بين فارس وتركيا معلقة منذ عام ١٧٣٦ م . فلم يكن هناك سلام حقيقي بين البلدين ؛ سوى وقف للعمليات القتالية بينهما ، بسبب عدم ابرام معاهدة ٢٨ سبتمبر ١٧٣٦ م . كان من الطبيعي ان يشعر السلطان ومستشاريه ببعض القلق اذا ما عاد نادر منتصرا من حملته على الهند ، لأن الشاه سيستأنف الحرب ضدهم ؛ وكانوا يدركون جيدا بأنه لن يتردد في استخدام فشل التوصل الى اتفاق بشأن مقترحاته الدينية كذريعة لاستئناف الحرب . ومع ذلك ، وبينما كان الشاه بعيدا جدا ، شعر الباب العالي بارتياح كبير خصوصا بعد وصول الشائعات التي تتحدث بهزيمة الشاه وموته ، فأدرك الباب العالي ان الخطر قد اصبح بعيدا ، حتى وان لم يجتث بالكامل . اما بشأن علاقة الاتراك مع روسيا والنمسا . فقد خرج الاتراك منتصرين بحربهم ضد النمسا ، وتكلل نصرهم هذا بتوقيع معاهدة بلغراد في ١٨ سبتمبر ١٧٣٩ م بين تركيا من جهة وروسيا والنمسا من جهة اخرى (كانت هذه المعاهدة تصب بمصلحة تركيا) .

في يناير ١٧٤١ م ، وصل المبعوث الفارسي ، حجي خان تشاميشجازاك ، برفقة وفد ضخم الى حلب . وبعد ثلاثة اشهر وصلوا الى اسلامبول ، حيث تم استقبالهم بواسطة الصدر الاعظم . لكن حجي خان اشترط على الصدر الاعظم مقابلة السلطان شخصيا لمناقشة اهداف مهمته الامر الذي ادى الى انزعاج الجانب التركي .

وبعد مقابلة السلطان ، تناقش المبعوث الفارسي مع الوزراء الاتراك والعلماء بشأن النقاط الدينية . ظل الجانب التركي متمسكا برأيه الرافض لنقاط نادر الدينية ، لكنهم ادركوا انه ليس من الحكمة ، وفي ظل هذه الظروف ، رفض المقترحات الدينية بصورة مباشرة . لذلك اتسم رد الباب العالي بالمماطلة .

بسبب عدم منح المبعوث الفارسي صلاحيات كاملة ولعدم وضوح نوايا الشاه ، من خلال الرسائل المرسلة مع المبعوث ، في ما اذا اراد الحرب او السلام ، لذلك قرر الباب العالي ارسال وفد الى فارس . كان على راس ذلك الوفد كل من منيف افندي ، وهو مسؤول رفيع المستوى يعمل في خزينة الدولة ، ونظيف مصطفى افندي ، مسؤول الجمارك في اسلامبول . وصلت تلك السفارة الى معسكر نادر (الذي يبعد مسافة ١١ ميل شمال دربند) في يناير ١٧٤٢ م . ونقل المبعوثان التركيان رسالة السلطان التي قدم فيها الاعذار بشأن عدم قبول مقترحات الشاه الدينية . رد نادر " كنت اتمنى موافقة السلطان على الاعتراف بالمذهب الجعفري لأجل تعزيز اواصر الصداقة بين البلدين . وتابع قائلا : وبما ان موضوع الاعتراف بالمذهب الجعفري سيجنب العالم الاسلامي الفتن والاقتتال وسيجلب السلام للدول الاسلامية وبما ان السلطان هو خليفة المسلمين فتوجب علي الذهاب شخصيا الى تركيا لوضع حل نهائي لهذه المسألة واضاف الشاه : واتمنى من الله التوفيق لحل هذه المسألة العالقة حال وصولي الى تركيا " بهذا التهديد انهى الشاه رده .

عقد نادر اجتماعا ضم عدد من العلماء بزعامة الملا باشي علي اكبر . حيث اكد العلماء على تأييد فتوى ١٧٣٦ م ، التي تضمنت اعلان المذهب الجعفري ، وانشاء ركن خامس في الكعبة والتبرؤ من البدع التي ادخلها الصفويين .

وبالرغم من تهديد الشاه للأتراك ، الا انه لم ينفذ تهديداته تلك لمدة ١٣ شهرا ، بسبب انشغاله باللزجيين وحلفاءهم في داغستان .

على الرغم من وصول التقارير التي تؤكد على انتكاسة الفرس في داغستان ، الا ان الباب العالي كان منزعجا وخائفا من رد نادر وتهديداته التي نقلها كل من منيف افندي ونظيف افندي الى اسلامبول في وقت مبكر من ابريل ١٧٤٢ م . وتم تأكيد صحة هذه التهديدات بواسطة القادة الاتراك المتواجدين على الحدود ، حيث ارسلوا تقارير تؤكد على الاستعدادات النشطة لشن الحرب . لكن وبعد وصول المزيد من الاخبار

التي تتحدث عن صعوبات نادر في داغستان ، اصبح الباب العالي اقل تخوفا من ذي قبل .

يذكر محمد كاظم في نادر نامه انه ، بعدما قام اللزجيون بأسر عدد من الجنود الفرس في داغستان وارسالهم الى طرابزون واسلامبول ، اعتبر الاتراك ذلك اشارة على ضعف نادر . ونتيجة لذلك ، بدئوا بفرض رسوم ضريبية ضخمة على التجار والقوافل الفارسية في الاراضي التركية ، كما وقاموا بمعاقبة وتعذيب المسؤولين المعينين بواسطة الحكومة الفارسية ، لرعاية المواطنين الفرس الذين يؤدون مناسك الحج الى مكة ، وتم طردهم الى فارس . وبعدما علم نادر بكل تلك الافعال ، صمم على تجديد الحرب ضد الاتراك اكثر من اي وقت مضى .

سجلت حادثة غريبة في ملاحظات كامبرون ، حيث ذكر في ٢٤ مايو / ٤ يونيو ١٧٤٢ م :

" اراد الشاه ارسال سفارة الى ملك انكلترا للدخول في حلف قوي معنا حيث ابلغ ملكنا عن قيام الاتراك بالاستيلاء على جزء من الاراضي الفارسية وانه لهذا السبب رغب بالانضمام الينا ضد الاتراك واراد الشاه منا معرفة ما اذا كان ملك انكلترا سيستجيب لطلبه " . فرد الوكيل ، بأن الاتراك والبريطانيين تربطهم علاقة جيدة وانه لا يستطيع ابداء رأي نيابة عن الملك .

شك الباب العالي بولاء احمد باشا حاكم بغداد ، ويقال ، ان عدوه اللدود علي باشا قد سعى جاهدا لتشويه صورته امام السلطان . وحقيقة الامر كان هناك احتراما متبادلا بين الشاه واحمد باشا (١) ، لكن هذا لا يعني خيانة احمد باشا لبلده وبأنه اصبح تابعا للشاه (٢) ؛ وللعلم كان احمد باشا مولعا بمنصبه كحاكم على بغداد ، وفي بعض الاحيان كان يحكم بصورة مستقلة تقريبا عن اسلامبول .

في وقت مبكر من عام ١٧٤٣ م ، وقبل مغادرة نادر لداغستان ، وصلت سفارة تركية اخرى الى معسكره ، حيث سلمته رسالة من السلطان ، قدم

فيها الحجج مرة اخرى بشأن عدم قبول مقترحات الشاه الدينية . فرد الشاه على تلك الرسالة " قريبا سيأتي اليك جيش فاتح العالم " .

بعد ذلك توجه نادر وجيشه بمسيرة شاقة الى سهل مغان ، حيث توقف هناك لمدة عشرين يوما لغرض اراحة الجند وحيوانات نقل الامتعة . بعد ذلك استؤنف المسير عبر هشتارود وقره جمن ؛ ومر الجيش على بعد ٤ فراسخ من تبريز ، ثم واصل تقدمه جنوبا الى مريوان ، وهناك انضم اليه الامراء نصر الله ، امام قولي وشاهروخ قادمين من مشهد في ٢٤ ربيع الثاني (١٨ مايو) . كما ووصل بصحبة الامراء سفير من محمد شاه حاملا معه عددا من الهدايا النفيسة . وبعد توقف قصير في مريوان ، استأنف نادر المسير نحو سنندج .

سعى الاتراك جاهدين لمد حبال الصداقة مع الروس بسبب حربهم المرتقبة مع فارس من جهة ومن جهة اخرى لتخوفهم من قيام حلف عسكري بين الشاه وروسيا هدفه شن هجوم كاسح على تركيا . حيث شعر الاتراك بقلق شديد نتيجة لقيام روسيا بأرسال تعزيزات كبيرة الى استراخان وكيزليار . لكن هذه المخاوف سرعان ما تبددت بعد ان تبينت حقيقة العلاقة بين فارس وروسيا ، وعلى الرغم من ذلك فقد تصرف الاتراك بحذر مع الروس .

قبل مغادرته لداغستان بعث الشاه برسالة الى احمد باشا طالبه فيها بتسليم بغداد . سعى الباشا ، ولدى استلامه الرسالة ، الى كسب المزيد من الوقت فعبر برسالة عن رغبته بتعزيز اواصر الصداقة مع الشاه ، لكنه امتنع عن تسليم بغداد حتى نهاية مدة ولايته . واختتم رسالته تلك بطلب المهلة (٣) . وقام كدخدا محمد اغا (او كتخدا : اي نائب الباشا) بحمل رسالة الباشا الى نادر .

وبعد ان سلم محمد اغا تلك الرسالة الى الشاه في سنندج ؛ شعر بارتياح كبير من ذلك الرد ، لكنه ارسل عددا من القوات للاستيلاء على سامراء ، الحلة ، النجف ، كربلاء واماكن اخرى في بلاد ما بين النهرين . كما وامر نادر بتعيين قوجا خان شيخانلو ، من قبيلة تشاميشجازاك ، قائدا

لقيادة القوات المحاصرة للبصرة ، واصدر تعليمات الى حكام شيروان ، الحويزة ، شوشتر ، دزفول وللعرب المتواجدين هناك بالتعاون مع قوجا خان .

في ١ يوليو ، اصدر نادر تعليمات الى نصر الله والامراء الاخرين بالتوجه الى همدان . ثم سمح للسفير الهندي بالعودة الى دلهي ، وسلمه العديد من الهدايا الى الامبراطور .

ولان الشاه اقام معسكره بالقرب من بغداد ، لذلك امر بتجميع مؤنة الشتاء من الحبوب في شهرزور لكي ترسل لاحقا الى المعسكر الفارسي .

تضاربت اراء المؤرخين حول المسار الذي اتخذه نادر . فذكر ميرزا مهدي ، ان الشاه ولدى مغادرته سنندج ، سار الى مريوان ، ثم اتجه غربا بعد ذلك عبر الحدود التركية قرب بنجوين ، ثم دخل الى اراضي شهرزور الخصبة والغنية ؛ ويبدو ان هذا ما حصل بالفعل ، لكن محمد كاظم ذكر ان نادر (٤) ، وقبل دخوله الى بلاد ما بين النهرين ، توجه الى كرمانشاه ، وامر بتشييد حصن كبير هناك كما وامر بتشييد مستودع للأسلحة ثم بعد ذلك استعرض جيشه ؛ وذكر محمد كاظم ايضا ، ان تعداد الجيش الفارسي قد بلغ ٣٧٥ الف (٥) . كما وذكر ان الشاه اخبر قادة جيشه بالاستعداد لحرب ضروس ضد الاتراك قد تستغرق الثلاث سنوات .

هرب خالد باشا (٦) ، حاكم شهرزور ، بعدما علم بدخول الفرس الى اراضيه . اما نادر فاستمر بالمسير غربا ، وفي ١٤ جمادي الثاني (٥ اغسطس ١٧٤٣ م) ظهر بجيشه امام كركوك . فتخلت الحامية عن البلدة ، وتحصن افراد تلك الحامية في القلعة ، حيث استعدوا للمقاومة . ولان القلعة كانت جيدة التحصين ، لم يحاول نادر الاستيلاء عليها بهجوم شامل قبل ان يمهد لقصفها بالمدفعية الثقيلة اولا . وبعد سبعة ايام وصلت المدفعية الثقيلة ، وفورا امر نادر بقصف القلعة بعنف ومن جميع الجهات ، فأدى ذلك الى استسلامها قبل حلول الليل (٧) .

ذكر ميرزا مهدي بأن نادر قرر عدم تجاوز كركوك ، على امل قدوم رد مناسب من السلطان بشأن الرسائل التي بعثها ، من خلال احمد باشا ومحمد اغا ، الى الباب العالي وبالتالي ستنعدم المبررات للتقدم الى ابعد من ذلك المكان . لكن هذا الامل قد تبدد بعد استلامه لرسالة السلطان في كركوك حيث افادت تلك الرسالة بأن شيخ الاسلام قد اصدر فتوى اجاز فيها قتل الفرس وسبي نساءهم واطفالهم بسبب اتخاذهم لمذهب مخالف للمذاهب الاسلامية الصحيحة . وفي نفس الوقت ، اصدر الباب العالي امرا الى الحاج حسين باشا ، حاكم الموصل ، بوضع المدينة في حالة تأهب ودفاع .

وبسبب العبارات الاستفزازية في رسالة السلطان ، غادر نادر كركوك في ٣ سبتمبر بهدف الاستيلاء على الموصل . حاولت اربيل المقاومة ، لكن المدفعية الفارسية اجبرتها سريعا على الاستسلام . بعد ذلك توجه الشاه صوب الموصل ، حيث قامت قواته بنهب وتدمير القرى وتخريب الاراضي الزراعية ؛ ومن بين الاماكن التي تم تدميرها كرمليس ، (وهو الموقع الذي استطاع الاسكندر العظيم هزيمة قوات داريوش الثالث في ٣٣١ ق.م) ، لم يكن هناك تمييز بين مسلم ومسيحي ، وفي بعض القرى هدمت الكنائس والاديرة وتم اسر الكهنة والرهبان .

قرب التون كوبري ، خرج السكان لاستقبال الشاه واعلنوا عن خضوعهم له ؛ كما وابلغوه بوجود قبيلة من عبدة الشيطان ، كان افرادها من شرار الناس . امر نادر بإرسال قوة قوامها ١٢ الف رجل بقيادة ابن اخيه ، علي قولي خان ، بهدف سحق الأيزيديين ، فاستعد جميع الرجال القادرين على حمل السلاح لخوض تلك المعركة ضد الفرس . وبالفعل حصلت معركة شرسة بين الجانبين ، قاتل فيها رجال القبائل هؤلاء بشجاعة كبيرة ، لكن الفرس نجحوا اخيرا بهزيمتهم . بعد هذه المعركة ، هاجم علي قولي معقلا جبليا تابعا للأيزيديين ، الا انه لم يستطع سحقهم بصورة كاملة ، لكن وبعد معركة ضارية اخرى تمكن من سحق الأيزيديين نهائيا . بعد ان اتم مهمته عاد علي قولي ورجاله الى الجيش الرئيسي .

في الوقت نفسه ، كان حسين باشا ، حاكم الموصل ، مشغولا بالاستعداد للحصار الوشيك ؛ ونتيجة لوصول حاكم حلب مع قواته ، تم زيادة عدد افراد الحامية الى ٣٠ الف رجل . وبسبب هذه التعزيزات ، رفض حاكم الموصل رفضا قاطعا الاستسلام بعدما وصل اليه رسول من نادر يطالبه بتسليم المدينة ، بعدها امر الباشا بإرسال جزء من القوات بقيادة اخيه عبد الفتاح بيك بمهمة صد الحرس الفارسي المتقدم . فاشتبكت القوة التركية مع الفرس بقيادة علي قولي شرق نهر دجلة ؛ حيث نجح الفرس بهزيمة الاتراك ، كما وقطعوا عليهم طريق الانسحاب الى الموصل .

في ٢٥ رجب (١٤ سبتمبر) ، عسكر نادر وجيشه في يارمجة ، قرب قبر نبي الله يونس ؛ حيث امر ببناء الجسور على نهر دجلة اعلى واسفل الموصل ، كما وامر بإرسال عدد من القوات الى الجانب الغربي من النهر لغرض تطويق المدينة بالكامل .

دب الذعر في اسلامبول بسبب وصول اخبار غزو نادر لبلاد ما بين النهرين وتهديده لبغداد وكذلك استيلاءه على كركوك . وبسبب خوفهم من اندلاع ثورة شعبية امر الباب العالي وبناء على نصيحة قيزلار اغا بعزل الصدر الاعظم علي باشا ، وتعيين حسن باشا ، اغا الانكشارية السابق ، بديلا عنه . ويبدو مما لا شك فيه ان علي باشا كان كبش فداء ، وان سبب اختيار حسن باشا لشغل ذلك المنصب هو لأنه سيحظى بقبول الجيش . ثم زادت المخاوف كثيرا في اسلامبول بعد وصول اخبار حصار نادر للموصل ؛ فطلب الاتراك النصيحة من الكونت بونيفال ، الذي تعهد بأنهاء ناجح للحرب الفارسية التركية وبحملة عسكرية واحدة ، لكن خطته لم يتم اعتمادها .

وللعودة الى حصار الموصل . فبعد ان تم محاصرة المدينة بصورة كاملة ، شيد الفرس عددا من المعاقل ، وتم نصب ١٤ بطارية حيث تكونت من ١٦٠ مدفع و ٢٣٠ مدفع هاون . وبعد الانتهاء من كل هذه الاستعدادات امر نادر بقصف المدينة في ٨ شعبان (٢٧ سبتمبر) ، ولمدة ثمانية ايام بلياليها استمر القصف دون انقطاع (٨) . وتم خرق الجدران في عدة اماكن ، لكن المدافعين ، الذين كانوا يعملون بحماسة ، نجحوا بإصلاح

الجدران قبل ان يتمكن الفرس من الدخول الى المدينة من خلالها . كما ونجح المدافعون بصد ما لا يقل عن سبع محاولات لهجوم شامل وخمس محاولات لهجوم فرعي ساند . وفي احدى المرات عندما حصل خرق واسع في الجدار نتيجة لانفجار لغم (٩) ، هرع الفرس لشن هجوم عارم خلاله ، حيث استخدموا بهجومهم هذا ١٧٠٠ سلم لتسلق الجدران ، لكن المدافعين وبشجاعة كبيرة نجحوا بصد الهجوم الفارسي موقعين بهم خسائر ثقيلة . كان للمسيحيين دور بارز في الدفاع عن المدينة ، لذلك تم منحهم امتيازات خاصة نتيجة لجهودهم في الدفاع عن الموصل .

في ٢٢ شعبان (١١ اكتوبر) ، وصلت لنادر اخبار خطيرة تفيد بقيام سام ميرزا ، وهو شخص يدعي انتماءه الى الاسرة الصفوية (١٠) ، ويعاونه بذلك محمد بن سورخاي خان ، مع قوة من اللزجيين ، باسر واعدام حاكم شيروان ، بين شماخي وشابران . كما وعلم نادر ايضا بأن صافي ميرزا ، وهو مدعي اخر (كان معروف بسم محمد علي رفسنجاني) ، والمدعوم من تركيا ، كان يتقدم من ارضروم عبر قارص الى الحدود الفارسية .

وبينما كان حصار الموصل قائما يُعتقد ان رسلا من تركستان قد وصلوا الى معسكر الشاه بإخبار مفادها ، ان ملك الصين تشيان لونغ وبعد سماعه عن تنامي قوة نادر العسكرية وهيمنته على المنطقة ، قد امر بجمع القوات وبدء بالاستعدادات اللازمة لإعلان الحرب ضد الشاه . ويقال بأن الملك قد بعث بالرسل الى حاكمي خوتان وخيتاي طالبا منهما الاستعداد لمقاومة نادر ، اذا ما حاول الدخول الى اراضيهما . كان التجار القادمين من طشقند واماكن اخرى من الصين الى جهارجوي هم مصدر تلك المعلومات . وحسب رأي محمد كاظم ، كان في نية نادر غزو خيتاي بعد الانتهاء من غزو تركيا ، حيث امر بجمع كميات ضخمة من الاسلحة والأعتدة بمختلف انواعها كما وامر بأرسالها الى مرو ، استعدادا لحملة خيتاي المرتقبة (١١) .

بسبب تحركات سام ميرزا وصافي ميرزا ، ولعلمه بأن افراد قواته قد فقدوا الروح المعنوية العالية بسبب خسائرهم الكثيرة ولعدم تمكنهم من

دخول الموصل ، لذلك اضطر الشاه الى طلب اجراء مفاوضات مع حسين باشا لوقف القتال (١٢) . في البداية رفض القائد التركي اجراء المفاوضات مع الشاه ، لكن وبسبب اقتراحات جديدة أرسلت من قبل الجانب الفارسي ، وافق على التفاوض . تم تبادل الهدايا النفيسة بين الفرس والاتراك ، ووافق نادر على رفع الحصار بشرط قيام حسين باشا بإرسال مقترحاته للسلام الى اسلامبول . في تلك الاثناء ، وصل محمد اغا برسالة من تركيا افادت بأن السلطان لا يثق بصداقة نادر بسبب انتهاكه الحدود التركية ؛ كما وطالبه السلطان فيها بالعودة الى الحدود الفارسية ، حتى يتمكن من التفاوض مع احمد باشا بشأن المسائل التي كانت محل خلاف .

وافق الشاه ، وانسحب هو وجيشه باتجاه كركوك ثم الى قرة تبه في ٢ رمضان (٢٠ اكتوبر) ؛ ومرة اخرى ظهر ضعف الجيش الفارسي في عمليات حصار المدن . توجه الشاه مع حريمه برفقة قوة صغيرة لغرض زيارة الاضرحة المقدسة في بلاد ما بين النهرين ، تاركا الجزء الاكبر من جيشه وكل امتعته في قرة تبه . ومن هنا بدء طور جديد من العلاقات الاستثنائية بين فارس وتركيا ؛ ومع كل تلك الاحداث كان لا يزال حصار البصرة قائما .

بعد استقباله من قبل احمد باشا ، محمد اغا وبعض الشخصيات البارزة ، توجه نادر لزيارة الامام موسى الكاظم ومحمد الجواد . ثم عبر نهر دجلة ، بواسطة سفينة عثمانية خصصها احمد باشا لخدمته ، وتوجه لزيارة ابو حنيفة في المعظم . في ١ شوال (١٨ نوفمبر) ، تقدم نادر لزيارة الامام الحسين واخيه العباس في كربلاء المقدسة . فقدمت زوجة نادر ، راضية بيجوم ، ابنة الشاه سلطان حسين مبلغا ماليا قدره ٢٠ الف نادري لغرض ترميم الاضرحة المقدسة .

وفي وقت لاحق من هذا الشهر توجه نادر الى النجف عبر الحلة ، حيث عقد هناك اجتماعا كبيرا ضم علماء من فارس ، افغانستان ، بلخ وبخارى ، قابلهم علماء من المدن المقدسة لبلاد ما بين النهرين ، لغرض

مناقشة وحل المسائل الدينية العالقة . ومن المؤكد انه في ذلك الوقت قد امر الشاه بتذهيب قبة الامام علي في النجف الاشرف .

بعث احمد باشا بعبد الله بن حسين السويدي الى الشاه لغرض المساعدة في حل المسائل الدينية العالقة . وبعد لقائه بالشاه ، تحدثا باللغة التركمانية . حيث كلفه نادر بمهمة التحكيم بين الطرفين ، وشدد عليه بأن يكون محايدا وأن لا يشترك بالجدال ، كما وطالبه بكتابة تقرير مفصل عن كل ما سيدور اثناء المناظرة وان يرسله الى احمد باشا حال الانتهاء منه . وحصل لقاء بين الملا باشي علي اكبر وعبد الله السويدي حيث تناقشا مطولا بصورة غير رسمية حول القضايا المتعلقة بالقران والسنة . وفي اليوم التالي ٢٤ شوال (١٢ ديسمبر ١٧٤٣ م) اجتمع العلماء ؛ حيث تواجد هناك ٧٠ من رجال الدين الفرس ومجموعة من الافغان واخرى من بخارى . كان عبد الله السويدي حكما ، وكان علي اكبر والملا البخاري هما المتحدثين الرئيسيين في المناظرة . واخيرا ، تم التوصل الى اتفاق بين الفرس والافغان وعلماء بخارى . وفي اليوم التالي وقع كل العلماء الى جانب علماء النجف على الوثيقة ، ثم قام السويدي بالتوقيع على تلك الوثيقة وختمها لكونه الحكم بين الطرفين . وجاء في الوثيقة : استنكار السياسة الدينية للشاه اسماعيل وخلفاءه ، الاعتراف بشرعية الخلفاء الثلاثة وعدم لعنهم ، الاعتراف بالإمام جعفر الصادق كونه ينتمي الى سلالة الرسول محمد . واخيرا ، تم التأكيد على الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهبا رسميا لبلاد فارس .

وبعد ان اكمل العلماء نقاشهم واصدروا البيان ، تبرعت زوجة نادر ، وتدعى جوهر شاد ، ام الاميرين نصر الله وامام قولي بمبلغ مالي قدره ١٠٠ الف نادري لإصلاح جدران وبلاط الضريح ، كما وأهدت مبخرة مرصعة بالجواهر واخرى من الذهب للضريح المقدس .

في الوقت نفسه ، كان النقاش جاريا بين احمد باشا والشاه حول مسألة شروط السلام ، حيث توصلا اخيرا الى اتفاق بشأن شروط المعاهدة وكان ذلك في نهاية نوفمبر او بداية ديسمبر . لا يوجد نص كامل لهذه المعاهدة ، لكن يبدو ومما لا شك فيه ان نادر كان لا يزال متمسكا

بمقترحاته الدينية ؛ ومن جانبه ذكر ميرزا مهدي ، ان الشاه وافق على ارجاع الاراضي التي سقطت بيد الفرس الى الاتراك حيث اشتملت على اربيل ، كركوك ، القرنة وحصون اخرى . وعلى ما يبدو ، كان في نية نادر ، وبعد موافقته على شروط هذه المعاهدة ، كسب المزيد من الوقت لقمع التمردات التي اندلعت في شمال غرب فارس ، وبالتالي سيتمكن من الاندفاع بكامل قوته ضد الاتراك على حدود الاناضول . وبالنظر الى تجاربه السابقة مع الجانب التركي بشأن الاعتراف بالمذهب الجعفري ، كان نادر مدركا بأن المعاهدة سيتم رفضها من قبل الباب العالي .

وبعد ان تم التوصل الى تسوية مؤقتة مع احمد باشا ، اعطى نادر اوامره برفع الحصار عن البصرة ؛ وهنا سنتكلم بإيجاز عن الاحداث التي دارت في حصار البصرة .

لم تكن قوة العمليات التي حصلت في جنوب بلاد ما بين النهرين هي نفسها في الشمال . سار قوجا خان برفقة كل من حاكم الحويزة وسلمان (المعروف بسليمان) ، زعيم عرب كعب ، من الحويزة الى البصرة .

في ١٦ يوليو وصل رسل حاكم الحويزة الى البصرة ، بطلب تسليم المدينة وعدم المقاومة ، كما وهددهم بارتكاب مجازر عامة على يد الفرس اذا ما حصل العكس . رستم اغا ، الذي كان بمنصب نائب الحاكم ، وبعد التباحث مع مستشاريه ولعدة ايام ، رفض طلب تسليم المدينة ، وقرر المقاومة ، بعد ذلك واصلت القوات الفارسية زحفها نحو البصرة . وشجع اقتراب القوات الفارسية من الاراضي التركية قبيلتي المنتفك وبني لام العربية على التمرد والانضمام الى القوات الفارسية ، حيث كانتا هاتان القبيلتان في صراع دائم مع الاتراك استمر لعدة سنوات . امر رستم اغا بأرسال بعض السفن لمنع الفرس وحلفاءهم من العبور الى الضفة الغربية من شط العرب ، لكن الفرس نجحوا بالعبور على ظهر قوارب صنعت في الحويزة . في ٢٨ اغسطس / ٨ سبتمبر بدأ الفرس بمحاصرة البصرة .

وبمجرد ان علم مندوب شركة الهند الشرقية في البصرة الذي يدعى توماس دوريل عن الهجوم الفارسي المرتقب على المدينة ، امر بتهريب مركب صغير ، من نوع بريجانتين ، تابع للشركة تحت جنح الظلام الى القطيف . كان يخشى من استيلاء الاتراك عليه واستخدامه ضد الفرس ، كما فعلوا سابقا في عام ١٧٣٥ م عندما استولوا على سفينتين تابعتين للشركة في البصرة . وبعدما اكتشف رستم اغا اختفاء المركب ، اتهم دوريل بعمالته للفرس . لسوء الحظ ، وقبل ابتعاد ذلك المركب تمرد طاقمه (الذي كان معظمهم من البصرة) ، ونجحوا بإجبار الربان على العودة . كان رستم اغا مسرورا من هذه الحادثة ، بعكس دوريل ، فجدد طلبه بتسليم المركب ، لكن دوريل رفض ذلك ، فأمر رستم اغا باحتجازه في خيمة لمدة يومين على مقربة من اسوار المدينة ، تحت حراسة الانكشاريين ، ثم أُشيعت قصة تحالف دوريل مع الفرس ، فكانت حياته وحياة مساعده ، دانفيرز جريفز ، على المحك . شعر دوريل باقتراب الموت منه مالم يوافق على تسليم ذلك المركب ، واخيرا وافق على منحه للأتراك ، لكن دوريل نجح بإرسال رسالة الى الربان طالبه فيها بإعطاب ذلك المركب . فنجح الربان بعمل فجوة اسفل المركب . وبعدما شاهد الاتراك ان المركب مهددة بالغرق ، وافقوا على سحبه الى الشاطئ . ثم اطلق سراح دوريل بعد ذلك .

قام الفرس ، البالغ عددهم ١٢ ــ ١٥ الف رجل (١٣) ، بنصب عدد من البطاريات حول المدينة ، لكن تأثيرها كان قليلا بسبب عدم امتلاكهم لمدافع حصار ثقيلة . فطالبوا الشاه بإرسال عدد من تلك المدافع ، وبالفعل استجاب الشاه لطلبهم لكنها لم تصل اليهم حتى ٢٧ نوفمبر . نجح الاتراك بصد هجوم خطير جدا في ١٨ اكتوبر . كما وحصلت بعض الاضرار نتيجة القصف المدفعي ، وضربت عدد قليل من كرات المدفعية القنصلية الفرنسية ؛ وخلال الايام الاحد عشر الاخيرة من الحصار ، بعد وصول المدافع الثقيلة للقوات الفارسية المحاصرة للبصرة ، تم قصف المدينة ليل نهار . وفي ليلة ٦ ديسمبر ازدادت كثافة القصف المدفعي ، وقام الفرس بهجوم عنيف اخر ، لكن الاتراك نجحوا مرة اخرى بصده . ورأى الرهبان الكرمليون ان البصرة كانت ستسقط اذا ما شن الفرس هجوما

اخر اكثر قوة من سابقه ، وكانت المدينة ستسقط ايضا لو حصل تنسيق بين الاسطول الفارسي والقوات البرية .

في مساء ٨ ديسمبر وصل رسل الشاه واحمد باشا مع اوامر بوقف القتال في البصرة ، بسبب التوصل الى تسوية مؤقتة بين الطرفين . بعد ذلك فتحت ابواب البصرة ، وتم تبادل الهدايا وعبارات المديح بين القادة الاتراك والمسؤولين من جهة ، وبين السردار قوجا خان وحاكم الحويزة من جهة اخرى . وبعث حاكم الحويزة برسالة لطيفة الى دوريل بسبب ما لاقاه من معاناة نتيجة اتهامه بالتحالف مع الفرس وطلب منه ومن مساعده جريفز زيارة المعسكر الفارسي . في ١٦ ديسمبر انسحب الجيش الفارسي الى الحويزة ، في حين اتجه القادة الى النجف ، للقاء نادر وتقديم تقرير مفصل عن مجريات الاحداث .

بعد ان اتفق مع احمد باشا على شروط السلام وارسل اوامره لرفع الحصار عن البصرة ، توجه نادر الى شهربان لانتظار رد الباب العالي على شروط المعاهدة . اما احمد باشا فامر بإرسال محمد اغا الى اسلامبول حاملا معه بنود المعاهدة ، ولكن قبل وصول كدخدا الى وجهته (حيث وصل اسلامبول في منتصف فبراير ١٧٤٤ م) ، استلم نادر تقارير مقلقة بشأن اندلاع العديد من التمردات في اماكن مختلفة من فارس . فقرر الشاه عبور الحدود دون تأخير ، وغادر شهربان متوجها الى ماهدشت ثم الى كرمانشاه في ٣٠ يناير .

الثورات في فارس ١٧٤٣ – ١٧٤٤ م

ارتكب نادر خطأ فادحا ، بعدم استخدامه للكنوز الكثيرة المكدسة في كلات لغرض تمويل حروبه ضد اللزجيين والاتراك ، كما وتراجع عن كلمته بشأن اعفاء فارس من الضرائب لمدة ثلاث سنوات وبالتالي شرع بجمع المال والمؤن بكميات اكثر من ذي قبل وبلا رحمة الامر الذي ادى الى زيادة معاناة شعبه . وعلاوة على ذلك ، فأن تلك المعاناة لم تقتصر على منح الاموال والمؤن فحسب ؛ بل وتعداه الى الارواح البشرية . بادئ الامر كان افراد شعبه متحمسين لتقديم تلك التضحيات عندما كان هدف تلك الحروب هو لتحريرهم من الغزاة ، لكن الاستياء حدث بعدما استعاد نادر جميع الاراضي الفارسية المحتلة ، واستمر بشن الحروب طلبا للمجد ولإرضاء طموحه الا محدود .

في حملة داغستان الطويلة والشاقة ، لقى الاف الفرس حتفهم دون تحقيق اي نتيجة ملموسة . ثم جاءت مرحلة استئناف الحرب الفارسية – التركية وبالتالي جمعت كميات كبيرة من الاموال واستعد الشعب الفارسي لخسارة الاف الارواح . اراد المواطنون العيش بسلام ومزاولة المهن الزراعية والتجارية لأجل التعافي من جراح الحروب . وليس من المستغرب ان يكون الاستياء قد بلغ اشده نتيجة لكل العوامل التي ذكرت اعلاه ، فأدى ذلك الى اندلاع الثورات في عام ١٧٤٣ م وفي السنة التي تلتها في اجزاء مختلفة من البلاد .

اندلعت اولى الثورات في المناطق المضطربة من دربند وتبرسران . وفي وقت سابق ظهر المدعي سام ميرزا في اردبيل ، لكن مساعيه الرامية الى جمع مؤيدين له قد احبطت سريعا على يد ابن اخ نادر ابراهيم خان ، الذي شغل منصب قائد القوات في اذربيجان ذلك الوقت (١) ، حيث نجح بأسر ذلك المدعي ، وقطع له انفه ، ثم قام بأطلاق سراحه ؛ فهرب سام ميرزا الى داغستان .

كان جامعو الضرائب التابعين للشاه سببا رئيسيا في غضب السكان القاطنين في الجزء الشمالي الغربي من البلاد ، وبلغ ذلك الغضب ذروته

في ربيع او اوائل صيف ١٧٤٣ م . فشعر سام ميرزا ان لحظة اطلاق شرارة الثورة قد حانت ، وبعد ان احاط نفسه بعدد من الانصار ، خرج من مخبأه وسعى الى تحريض السكان في دربند وتبرسران على التمرد ؛ كما وبعث برسالة الى الافراد الساخطين على الشاه في شيروان ، يحثهم فيها على الانضمام اليه . محمد علي خان ، حاكم دربند ، بعث برسالة الى نادر اخبره فيها عن نشاط سام ميرزا ، فامر نادر حاكم شيروان ، حيدر خان ، بالسير الى الشمال لغرض مساعدة حاكم دربند . انضم الى سام ميرزا محمد بن سورخاي خان ، الذي كان مختبأ في افاريا ؛ وسار القائدان ضد حيدر خان ، قبل تمكنه من الاتحاد بجيش حاكم دربند ، فحصلت معركة قرب شابران انتصر فيها المتمردون ، ونجحوا بأسر واعدام حيدر خان ؛ ثم استوليا على اق سو ، مركز الحكم في شيروان . وادى هذا النجاح ، الى زيادة عدد مناصري سام ميرزا ، فاصبح سام ميرزا ومحمد على راس قوة يبلغ قوامها ٢٠ الف رجل . وبسبب هذه الاخبار ، قام البعض من جنود مغانلي (٢) ، الذين شكلوا جزءا من حامية قوبا (القبة) ، بقتل القوات الموالية لنادر (الذين كانوا من الافشار) ، وتسليم المكان الى سام ميرزا ومحمد . وبسبب هذه الاحداث الخطيرة ، امر نادر قائد قوات اذربيجان ويدعى اشور خان افشار ، بالتعاون مع حكام كنجه واروميه لقمع التمرد ، كما وامر ابنه نصر الله وصهره فتح علي خان بالسير ضد المتمردين ايضا . فحصلت معركة ضد المتمردين في باغ شاه قرب شماخي في ٤ ذو القعدة ١١٥٦ هجري (٢٠ ديسمبر ١٧٤٣ م) ، انتصرت فيها القوات الموالية للشاه على المتمردين واوقعت بهم هزيمة نكراء . كما ونجح الجيش الموالي للشاه بأسر اكثر من الف رجل من المتمردين وغنموا كل المدافع التابعة لهم ، لكن محمد ، الذي كان مصابا ، نجح بالهروب الى داغستان ، اما سام ميرزا فهرب الى جورجيا . وفي الوقت نفسه ، قام محمد علي خان بأجراء تدابير فعالة ضد جنود مغانلي في قوبا ؛ فقتل العديد منهم ، كما اسر وسمل اعين الناجين منهم ، ثم ارسلهم الى منازلهم لجعلهم عبرة (٣) . وبعد اكمال اخضاع شيروان ودربند ، غادر نصر الله للانضمام الى والده ؛ لكنه

عندما تواجد في منطقة قره باغ ، تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة من قبل احد اتباع محمد بن سورخاي خان .

بينما كانت احداث تلك الثورة تتصاعد ، تمرد جيف اميلاخور حاكم كيسان . حيث تشابهت الاوضاع في جورجيا ، مع شيروان بل مع جميع المقاطعات الفارسية ، فكان الشعب في حالة استياء كبيرة من طريقة حكم الشاه ، ولم يجد جيف اميلاخور اي صعوبة تذكر بجمع اعداد كبيرة من المتمردين حوله ؛ وكذلك انضم اليه رجال القبائل من الشراكسة والاوسيتيين من شمال القوقاز . هدد جيف اميلاخور واتباعه لبعض الوقت مدينة تفليس ، لكن ، ولحسن حظ نادر ، ظل تيموراز وابنه ايراكل من الموالين للشاه ، حيث نجحا بالتصدي لجيف اميلاخور . وبعد ايام قليلة على الكارثة التي حلت به في باغ شاه ، وصل سام ميرزا وانضم الى المتمردين الجورجيين ، لكن تيموراز نجح بهزيمة سام ميرزا وجيف اميلاخور في ١٤ ذو القعدة (٣٠ ديسمبر ١٧٤٣ م) ، في منطقة تسمى المدينة الجديدة (اخال كالاكاي) ، والتي تقع في اعالي كارتلي ، كما وتمكن تيموراز ايضا من القبض على المدعي سام ميرزا اثناء محاولته الهرب الى تركيا .

عندما وصل نادر الى قصر شيرين اثناء سيره من شهربان الى كردستان ، وصلته اخبار مزعجة من خوارزم تعلمه باندلاع ازمة خطيرة هناك . وكما سبق ذكره ، امر نادر بتعيين ابو الغازي ، بن البارس ، حاكما على خوارزم ، وارتاق ايناق بمنصب كبير وزراءه . عم الهدوء المنطقة لبعض الوقت ، لكن تركمان ياموت ، الذي انزل بهم نادر هزيمة نكراء ، ونجحوا بالفرار الى مينقشلاق وسهول القبجاق ، تمكنوا في وقت لاحق من العودة الى خوارزم وقاموا بمهاجمة الاوزبك . سار ارتاق ايناق ضد قبائل الياموت ونجح بالتوصل الى اتفاق معهم ؛ لكن تركمان ياموت نجحوا بزرع الكراهية والشك في نفس ابو الغازي ضد كبير وزراءه . وفي هذه المرحلة ، تمرد تركمان سالور ، الذين نجحوا بزرع الخلاف بين ابو الغازي وكبير وزراءه ايضا ؛ فكان نتيجتها ان امر الحاكم الشاب حراسه من قلميوق بقتل كبير وزراءه . بعد ذلك اندلعت اضطرابات

كبيرة في خوارزم ، ثم سعى قادة الياموت والسالور للسيطرة على مقاليد الحكم ؛ وعلى الرغم من انضمام الاوزبك المحليين الى تركمان سالور ، الا انهم فشلوا بمنع تركمان ياموت من تدمير البلاد والاغارة على خيوة ، خانقاه ، هزاراسب وينجي اورقنج . وبعد ان عجز ابو الغازي عن قمع المتمردين ، طلب مساعدة نادر . فأمر الشاه ابن اخيه علي قولي خان بالسير من مشهد الى خوارزم لسحق المتمردين ، ومساعدة ابو الغازي . واستطاع بعد سنة في ١٧٤٥ م من استعادة النظام في خوارزم .

كان الاكثر خطورة من ثورة داغستان وشيروان والاضطرابات في خوارزم تمرد تقي خان شيرازي . حيث قيل ان البيكلربيك اصيب بالغرور بعد نجاحه في الاستيلاء على مسقط ؛ ولعلمه المسبق بغضب الشاه تجاهه ، فعندما تم استدعاءه من عمان اعلن تقي خان الثورة . حيث اعتقد انه اصبح قويا كفاية لمعارضة نادر بسبب نفوذه في مقاطعة فارس وسواحل الخليج ولدعم الاسطول الفارسي له .

قد ذكرنا سابقا عن وصول تقي خان الى كامبرون قادما من مسقط في وقت مبكر من ديسمبر ١٧٤٣ م ، وعن قتله لكلب علي خان بعد رفضه المشاركة في التمرد . ثم سعى لان يكون رستم خان الى جانبه ، الذي كان قائدا لجزء من الاسطول الراسي في كامبرون (والذي تم تعزيزه بوصول ثمان سفن جديدة من سورات) ، لكن القائد رفض الانضمام الى تقي خان وابحر بعيدا .

في ١٦ يناير ١٧٤٤ م ، اعلن تقي خان الثورة ، فغادر من معسكره قرب كامبرون الى شيراز ، على راس قوة تتكون من ٢٥٠٠ رجل . وبعد انتشار اخبار الثورة في مقاطعة فارس ، ثار رجال القبائل ، الذين قاموا بقتل محصلي الضرائب التابعين للشاه اينما وجدوهم ، ثم توافد رجال القبائل هؤلاء للانضمام الى تقي خان .

عندما علم نادر بتمرد تقي خان ، طلب من محمد حسين خان قريقلو ، قائد القوات الفارسية المتواجدة في عمان ، بتحشيد القوات لقمع الفتنة ، كما وامره بمنع وصول تقي خان الى شيراز ، فسارع محمد حسين خان

وتمكن من اللحاق بتقي خان في فسا ؛ وبدلا من الهجوم على المتمردين ، تراجع الى كازرون ، بسبب الاعداد الكثيرة لقوات تقي خان . ونتيجة لذلك اصبح الطريق سالكا امام تقي خان للسير نحو شيراز واعلان نفسه حاكم مستقل هناك .

في تلك الاثناء ، وصلت القوات التي ارسلها الشاه الى الجنوب بسرعة والتي التحقت بقوات محمد حسين خان ، كما وانضم اليه اخرون قادمون من خراسان ، كرمان وخوزستان ؛ هذه التعزيزات اشتملت على العديد من الجزايرجيين ، مع عدد من المدافع والزانبورك ، فاصبح السردار على راس قوة هائلة فاقت ٤٠ الف رجل .

بالرغم من غضب نادر الشديد تجاه تقي خان لقيامه بقتل صهره كلب علي خان ولتبنيه ثورة مسلحة في وقت لاحق ، الا انه ارسل ميرزا محمد علي ، صدر الممالك ، ليسعا بالصلح بينه وبين تقي خان ، ويعود تفسير ذلك نتيجة لوعد مسبق قطعه الشاه على نفسه تضمن الحفاظ على حياة تقي خان وعدم اصدار امر بإعدامه مستقبلا . وبعد ان فشلت مساعي الصلح بين الطرفين ، شرع محمد حسين خان بحصار شيراز . اظهر المتمردون شجاعة كبيرة ، وبالرغم من الاعداد الكبيرة للقوات الموالية لنادر ، والتي فاقت كثيرا اعداد المتمردين ، الا ان المتمردين نجحوا بالصمود لمدة اربعة اشهر ونصف . ووفقا لمحمد كاظم ، قام المحاصرون بشن هجوم عنيف في ٢٠ من جمادي الاول ١١٥٧ هجري (٢١ يونيو ١٧٤٤ م) ، اجبروا من خلاله المتمردين على الاستسلام ؛ ثم بعد ذلك تم نهب المدينة ، كل البيوت تم نهبها تقريبا والعديد من السكان ذبحوا بالسيف . حيث اقيم برجان من الرؤوس البشرية ، وتم تخريب الحدائق الساحرة المحيطة بالمدينة ؛ اضافة لهذا الرعب ، فقد انتشر وباء الطاعون بعد الحصار وأودى بحياة ١٤ الف شخص من السكان .

في الفوضى التي تلت دخول القوات الموالية للشاه الى شيراز ، تمكن تقي خان وابنه الاكبر من الهرب ، لكن وبعد فترة قصيرة تم القاء القبض عليهما وأرسلا مع ما تبقى من افراد اسرتهما تحت حراسة مشددة الى

اصفهان . " لأنه اراد ان يكون شاها ، اذن توجب علينا اقامة مراسم استقبال تليق بمقام شاهنا الجديد" بهذه العبارة الساخرة وجه الشاه اتباعه لاستقبال المتمرد ، وبناء على ذلك ، وحسب ما ذكر محمد كاظم ، تم استقبال تقي خان وعائلته عند وصولهم الى ضواحي اصفهان بقرع الطبول ؛ كما ووضع تقي خان على ظهر حمار بوضعية معكوسة وأُلبس على راسه ذيل ثعلب بدلا من التاج ، ثم القيت عليه وعلى عائلته الشتائم وعبارات ساخرة من قبل حشود الناس .

وبسبب وعد نادر له بعدم قتله ، ابقى الشاه على حياته . لكنه ارسل اوامر الى اصفهان تضمنت قتل ثلاثة من ابناء تقي خان واحد اخوته وان يتم بيع افراد اسرهم كعبيد . ثم امر نادر بإخصاء وتسميل احدى عيني تقي خان ، كما وقامت مجموعة من الجند بالاعتداء على زوجته المفضلة بحضوره . واكثر ما يثير الدهشة ان تقي خان استطاع في وقت لاحق كسب ثقة الشاه مرة اخرى ، فامر بتعيينه بمنصب مستوفي الممالك وبيكلربيك كابل ، بينما تم تحرير افراد اسرته من العبودية .

لعدم استلام جيش محمد حسين خان مستحقاتهم ولعدة اشهر ، اتخذت مجموعة من الاجراءات العاجلة لجمع الاموال . حيث تم ارسال الرسل على الفور من شيراز الى كامبرون مع اوامر بجمع مبلغ قدره ٤ الاف تومان في مدة اقصاها ثلاثة ايام . فشرع محصلو الضرائب بضرب التجار الذين رفضوا دفع الاموال ، كما وهرب العديد من سكان البلدة لأجل التخلص من ذلك الاضطهاد . وفي اصفهان ايضا حصلت عمليات ابتزاز مشابهة ، حيث تم القاء القبض على وسيط شركة الهند الشرقية ، الذي اجبر على منح سند مالي بقيمة ٢٠٠٠ تومان . ثم طلب جامعوا الضرائب من بيرسون ، الذي كان مندوبا لشركة الهند الشرقية هناك ، مبلغا قدره ٣ الاف تومان ، وهددوه بالسجن اذا ما رفض الدفع ؛ وفي النهاية نجح بالتملص من الاعتقال بدفعه مبلغا قدره ٤٦٠ تومان . كما وعانى افراد شركة الهند الشرقية الهولندية نفس الاضطهاد ايضا ، وفرض على الارمن دفع مبلغ قدره الف تومان .

في نفس الوقت الذي تمرد به تقي خان ، اعلن احد ابناء فتح علي خان ويدعى محمد حسن خان قاجار تمرده في مقاطعة استراباد . فالتف حوله الف شخص من تركمان ياموت والفين من القاجار واخرين من قبائل اخرى ، حيث نجح بالسيطرة على استراباد في ٢٨ يناير ١٧٤٤ م . محمد زمان خان ، الذي شغل منصب نائب الحاكم وكان احد ابناء محمد حسين خان احد زعماء عشائر قاجار ، نجح بالهروب من المدينة بسبب عدم قدرة قواته على المقاومة . ولو وقع محمد زمان في الاسر ، لكان من المؤكد ان يتم اعدامه ، بسبب دور والده البارز في اعدام فتح علي خان في ١٧٢٦ م .

كان المتمردون على اتصال بحاكم مقاطعة مازندران المجاورة ، لكن هذا الحاكم ، وبعدما طلب منه دعم الثورة في استراباد ، رفض مساعدة المتمردين (٤) . ذكر هانوي عن وجود اتصال بين محمد حسن خان وسام ميرزا ، لكنه لم ينتج عنه اي نتيجة تذكر ، بسبب ان المدعي هُزم وأُسر قبل اندلاع ثورة استراباد .

وعندما علم نادر بتمرد استراباد ، امر سردار اتك ، ويدعى بهبود خان (وهي منطقة تحدها الجبال تمتد من الاراضي القريبة من كلات الى عشق اباد) ، باتخاذ خطوات فورية لقمع التمرد . بادئ الامر تردد بهبود خان ، الذي كان تحت امرته ١٥٠٠ رجل فقط ، بتنفيذ الاوامر ، لكنه تقدم بعد ذلك لمواجهة المتمردين بسبب مشورة ناصر اغا ، الذي نجح بالهرب من استراباد وكان احد اصدقاء نادر سابقا وصديقا لمحمد زمان خان . حصلت المعركة بين قوات بهبود خان والمتمردين شرق استراباد ؛ في البداية مالت الكفة لصالح المتمردين ، لكن وبعد انشقاق احد قادة القاجار ورجاله من صفوف المتمردين وتحويل ولاءه الى الجيش الموالي للشاه ، خسر المتمردون المعركة . محمد حسن خان ، مع مئة من انصاره القاجار وعدد كبير من التركمان ، فروا جميعهم الى الصحراء ناحية الشمال . اما بهبود خان ومحمد حسين خان (والد محمد زمان خان) فوصلا الى استراباد ، وانتقما بصورة وحشية من

المتمردين . وكما حصل في شيراز ، اقيم برجان من الرؤوس البشرية هناك ؛ ويصف هانوي احد البرجين :

" كان هرمي الشكل مبني من الحجر الابيض يبلغ ارتفاعه ٤٠ قدما وقاعدته تراوحت بين ١٦ – ٢٠ قدما واحتوى على فجوات حيث وضعت فيها رؤوس المتمردين ".

بعد بضعة اشهر ، ظهر محمد حسن خان في خوارزم ، الذي توجه الى هناك برفقة بعض من انصاره من تركمان ياموت لغرض اثارة المشاكل في تلك البلاد المضطربة اصلا . فعمل علي قولي خان ، برفقة بهبود خان وعدد من القادة الاخرين من ذوي الخبرة ، على اخضاع القبائل المتمردة في تلك الاراضي . وفي احدى المعارك الحاصلة بين القوات الموالية للشاه والمتمردين ، التقى بهبود خان بمحمد حسن خان وتقاتلا رجلا لرجل ، فنجح محمد حسن خان بجرح عدوه ؛ ومالت الكفة لصالح رجال الياموت بادئ الامر ، لكن وبعد وصول وحدة من مرو انقلبت موازين المعركة . فأجبر محمد حسن خان على الهرب مرة اخرى ، وظل مختبأ في الصحراء حتى بعد وفاة نادر .

بعد ذلك ارسل علي قولي رجاله ضد ارال اوزبك وقره قالباغ ؛ فكُتب النجاح له ، ومن اراضي تلك القبائل وخوارزم قامت القوات الموالية للشاه بتحرير ٥٠٠ – ٦٠٠ عائلة من خراسان ، أُرسل البعض منهم الى خيوة قاباد . بعد ذلك أُخضع المتمردون المسؤولون عن موت طاهر بيك والذين تسببوا بالاضطرابات اللاحقة ، وتم العفو عنهم لاحقا . كما وتم تعيين هاراس ايناق ، شقيق ارتاق ايناق ، بمنصب كبير وزراء خوارزم بسبب خبرته الكبيرة ، وطلب منه معاونة ابو الغازي خان بإدارة شؤون البلاد ، بعدها عاد علي قولي خان الى خراسان اواخر ١٧٤٥ م (٥) .

اذن فشلت جميع التمردات ضد نادر ، كان ذلك بسبب انعدام التنسيق بين قادة التمرد ولان هؤلاء القادة افتقروا الى الشعبية والنفوذ الكافيين لتحشيد الكثير من الرجال لمواجهة جيش الشاه عظيم العدد والعدة . كما لا يمكننا اهمال ان الجزء الاعظم من جيش الشاه كان يتكون من الافغان

والتركمان الذين لم يساندوا او حتى يتعاطفوا مع قضية سكان بلاد فارس الذين عانوا كثيرا من طريقة حكم الشاه لهم . فلم ينتج عن تلك الثورات سوى زيادة وحشية الشاه وصب جام غضبه على سكان فارس .

استئناف الحرب مع الاتراك وتوقيع المعاهدة الفارسية – التركية ١٧٤٤ – ١٧٤٦ م

ذكر سابقا ان نادر ، وبعد انتظار دام عدة اسابيع في شهربان ، غادر ذلك المكان متوجها الى بلاد فارس في نهاية يناير ١٧٤٤ م ، بسبب اندلاع العديد من التمردات في اجزاء مختلفة من البلاد . فسار نادر عبر ماهدشت ، كرمانشاه وكنغاور وتوقف لبعض الوقت الى الشمال من همدان . ذكر فون هامر ، ان جيشين تركيين ، بلغ قوام كل واحد منهما ١٠٠ الف رجل ، احدهما بقيادة احمد باشا حاكم بغداد والاخر بقيادة حسين باشا حاكم الموصل ، قاما بمهاجمة جيش نادر قرب سنندج ، وأوقعا به هزيمة نكراء . لكن هذا القول بعيد كل البعد عن الحقيقة ؛ لأن احمد باشا كان قد وقع معاهدة صلح مع الشاه وبالتالي انعدمت مبررات مهاجمة نادر ، اما حسين باشا ، فمع جيشه الصغير نسبيا ، ما كان ليتجرأ على مواجهة جيش الشاه بمفرده . كان من المحتمل حدوث بعض الهجمات التي شنها قسم من الاكراد على الحرس الفارسي المتقدم .

ادرك الشاه جيدا بأن المعاهدة المبرمة بينه وبين احمد باشا ، والتي أُرسلت الى الباب العالي ، كان سيتم رفضها ، كما وعلمنا ان هدفه من ذلك كان كسب الوقت لقمع كافة التمردات في بلاد فارس . ومن الجدير بالذكر ، انه بالرغم من اندلاع ثورة خطيرة في الجنوب ، الا أن الشاه لم يتوجه شخصيا لقمعها ، بل مكث قرب الحدود التركية .

في منتصف فبراير ١٧٤٤ م ، وصل محمد اغا الى الباب العالي حاملا معه شروط المعاهدة . وبالرغم من رغبة الاتراك في السلام ، الا انهم اصروا على عدم الاذعان لمقترحات نادر الدينية ؛ فرفضوا المصادقة على المعاهدة ، لكنهم لم يعلنوا الحرب على الشاه بصورة مباشرة . في نهاية فبراير ، بعث الباب العالي بمحمد اغا الى بغداد مع رسالة تضمنت : رفض المصادقة على شروط هذه المعاهدة والتشكيك برغبة نادر في السلام . مرة اخرى ، تم الشك بولاء احمد باشا في اسلامبول ، لكنه في شهر مارس عُين بمنصب سر عسكر الجيش الجنوبي . ارسلت اوامر الى باشا قارص ببذل المزيد من الجهد لدعم المدعي صافي ميرزا ؛

وامتثالا للأوامر ، ارسل الباشا عددا من الرسائل الى زعماء القبائل وغيرهم من الاعيان المتواجدين داخل الحدود الفارسية ، تحثهم على تأييد صافي ميرزا والقيام بثورات لصالحه .

احتفل نادر بعيد النوروز في معسكره قرب همدان ؛ وفي نهاية مارس وصل هانوي الى المعسكر الفارسي بهدف الحصول على تعويضات عن الخسائر التي تكبدها بسبب اندلاع تمرد استراباد ، حيث ذكر هانوي :

" امتلك الشاه قوة فعالة قدرت بحوالي ٣٠ الف رجل في معسكره كما ووجه قوة كبيرة صوب ايروان وكان هناك ما يقارب على ٣٠ الف في شيروان و ٢٥ الف في شيراز الى جانب مجموعة من القوات في خراسان وجيش هائل على ضفاف نهر السند وعمل الشاه على اخذ تدابير فعالة هدفها قمع جميع الثورات التي اندلعت ضده بوقت واحد تقريبا " .

من معسكره توجه نادر الى ابهر ، حيث علم هناك بتصرفات باشا قارص وعن قيامه بدعم المدعي صافي ميرزا ؛ فقام نادر ، ومن خلال حاكم ايروان ، بإرسال استفسار لمعرفة سبب قيامه بهذا الفعل بينما كانت مفاوضات السلام جارية . اجاب الباشا بعدم علمه بمفاوضات السلام تلك وانه تلقى اوامر من الباب العالي تأمره بدعم صافي ميرزا . فارسل الشاه ردا غاضبا الى باشا قارص " قريبا سآتي لمواجهتك انت وذلك المدعي فكن في انتظاري " .

هنا ادرك نادر بأن الباب العالي رفض شروط السلام ، ونتيجة لذلك بدء الشاه مسيرته بالاتجاه الشمالي – الغربي قاصدا الحدود التركية . وبينما كان الشاه في طريقه الى هناك ، تلقى انباء سارة تفيد بقيام تيموراز وايراكل بأسر سام ميرزا . فأمر نادر بتسميل احدى عيني المدعي ، وارساله برفقة بعض السجناء الاتراك الى باشا قارص ، مع رسالة مفادها " طالما ان صافي ميرزا موجود لديك فسيكون بوسع الاخوين ان يلقي كل منهما نظرة على الاخر " . ولدى وصوله الى غوري ، سمع الشاه اخبارا سارة اخرى تفيد بقيام تيموراز وايراكل ، وبمساعدة بعض القوات الفارسية بقيادة علي خان ، حاكم تفليس ، بالانتصار على قوة

تركية بقيادة يوسف باشا حاكم اخالتسيخه وتكبيد الاتراك خسائر ثقيلة ، وعلى لياكفي ؛ نجح الجورجيون بالاستيلاء على مبلغ كبير من المال اراد الاتراك ايصاله الى اللزجيين (١) . شعر نادر بارتياح كبير بسبب ذلك النجاح الاضافي ، فكافأ حلفاءه الجورجيين بمنح كارتلي الى تيموراز وكاخيتي الى ابنه ايراكل .

من غوري تقدم نادر نحو قارص ، وفي نهاية مايو عسكر الى الجنوب من ذلك الحصن . الحامية التركية ، التي اشتملت على قوات تم اختيارها بعناية ، قاومت وبقوة زحف الجيش الفارسي ، وحصل قتال عنيف بين الجيشين استمر لعدة ساعات تمكن فيه الفرس من هزيمة الاتراك ونجحوا بالتقدم الى موقع قريب من الحصن . فبدء الفرس بإنشاء التحصينات واستعدوا لحصار قارص ؛ ولمدة شهر حاول ٤ الاف عامل جلبهم نادر من تفليس تحويل مجرى المياه لحرمان قارص من الامدادات المائية ، لكن الاتراك نجحوا بإفشال ذلك المخطط . واستمرت المناوشات بين الطرفين ، حتى مجيء يوم ٢٤ اغسطس ، حيث حصلت معركة بين الطرفين الا ان نتيجتها لم تحسم لأي جانب .

قدم نادر مقترحات السلام الى السر عسكر ، لكنه رفض الرد عليها . فنجح احمد افندي كيسرلي ، والذي كان احد مبعوثي قارص ، بأقناع الشاه بضرورة التعامل المباشر مع السلطان (بحجة ان السر عسكر كان غير مخول على التفاوض) ، فأرسلت مقترحات السلام تلك الى اسلامبول ، بالاشتراك مع بعض من افراد الوفد التركي المفاوض . وبالرغم من ذلك ، واصل نادر حصار قارص بقوة حتى مجيء فصل الشتاء فأجبر على رفع الحصار في ٩ اكتوبر .

وبينما كان الحصار قائما ، وصل مبعوث من محمد شاه ، امبراطور الهند ، الى اسلامبول حاملا معه رسالة موجهة الى السلطان اكدت على تعزيز اواصر الصداقة بين البلدين واشتملت الرسالة ايضا على مقترح لدخول البلدين في حلف مشترك ضد فارس . لكن رد السلطان اتسم بالغموض حول مسألة الحلف تلك (٢) .

ولدى مغادرة قارص ، سار نادر الى اربا تشاي ثم توجه الى اخال كالاكاي ؛ ومنها امر بعض من قواته بشن غارة على اخالتسيخه التابعة للأتراك . وفي غضون ذلك ، تم الانتهاء من بناء مساكن لإيواء الجيش وحمايته من برد الشتاء القارس في بردعة ، وفي ٦ ديسمبر وصل الشاه الى هناك . وبدلا من بقاءه في بردعة حتى انتهاء فصل الشتاء ، غادر الشاه بعد ثلاثة اسابيع قضاها هناك للقيام بحملة مفاجئة على داغستان هدفها معاقبة اللزجيين مرة اخرى . وبعد ان نجح بعبور نهر كورا بواسطة جسر في جواد ، قسم رجاله الى اربعة اقسام ، وقادهم شمالا على جناح السرعة بالرغم من الظروف الجوية القاسية . فأُخذ اللزجيين على حين غرة ، حيث خضعوا للشاه ، ثم نجح الفرس بالاستيلاء على اعداد كبيرة من الماشية والاغنام التابعة لهم . وفي يوم عيد الاضحى ١٠ ذو الحجة ١١٥٧ هجري (١٤ يناير ١٧٤٥ م) ، غادر نادر الى دربند ، وبعدها توجه الى بردعة ، لكنه ، وجد ان الماء والغذاء كانا اكثر وفرة في المنطقة الواقعة الى شمال نهر كورا ، فسار بعد ثلاثة اسابيع عبر اريش الى شكي . ولمدة ثلاثة اشهر ، من اذار الى يونيو ، ظل نادر في شكي ، ثم بعد ذلك تقدم الى غوكجة في ايروان . وبينما كان في طريقه الى غوكجة ، اصيب بمرض خطير ، تطلب حمله على المحفة ، الا انه تعافى سريعا بفضل الاطباء الماهرين .

اما بخصوص الجانب التركي ، توجه يكن باشا ، الصدر الاعظم السابق وبيكلربيك (حاكم) الاناضول والسرعسكر الجديد على الجبهة الشمالية ، الى قارص عبر ارضروم في صيف ١٧٤٥ م . وكانت لديه اوامر بالبقاء في حالة تأهب ودفاع ، لكنه أُجبر على مغادرة قارص وعبور الحدود الفارسية بسبب خطر المجاعة وللتخوف من اندلاع تمرد بين افراد جيشه اذا ما بقى متحصنا دون حراك ؛ بلغ تعداد الجيش التركي ١٠٠ الف فارس وحوالي ٤٠ الف انكشاري . بادئ الامر سارت الامور لصالح الجيش التركي ؛ حيث استطاع يكن باشا هزيمة عدد من الوحدات الفارسية الصغيرة ، وشجعته هذه الانتصارات الى السير قدما نحو ايروان . وفي غضون ذلك ، قرر الشاه مهاجمة قارص مرة اخرى ، ففي ٣ اغسطس تقدم من غوكجة باتجاه قارص . وفي ٩ رجب ١١٥٨

هجري (٧ اغسطس ١٧٤٥ م) ، علم نادر باقتراب الجيش التركي ، فسار من ايروان الى مراد تبه (المعروفة سابقا بسم باغوارد) ، وعسكر فوق تلك المنطقة التي دارت فوق ارضها ، قبل عشر سنوات ، رحى معركة طاحنة استطاع فيها الجيش الفارسي بقيادة نادر سحق الجيش التركي بقيادة عبد الله باشا كوبرلو . عند ظهر اليوم التالي تقدم الجيش التركي من الجهة المقابلة لمعسكر الجيش الفارسي وتوقف مبتعدا عنهم عدة فراسخ ، ثم قضى الاتراك بقية اليوم في تحصين معسكرهم .

وقعت المعركة في ١١ من اغسطس وكانت من اكثر المعارك التي خاضها الشاه شراسة وعنفا ، فحصلت هجمات وهجمات مضادة بين كلا الجانبين . وحسب محمد كاظم ، فان الاتراك في هذه المعركة شكلوا قواتهم وقاتلوا على النمط الاوربي ؛ وان حصل ذلك فعلا ، فأنه يعود ، وبلا شك ، الى تدريبات بونيفال . ويبدو ان المعركة قد حسمت بعدما قاد نادر قوات الاحتياط ، البالغ عددها ٤٠ الف رجل ، وهاجم الجناح التركي (٣) ؛ عانى رجال يكن باشا كثيرا من ذلك الهجوم العنيف الذي قاده الشاه شخصيا لذلك تراجعوا الى داخل تحصيناتهم ، ولم يقم نادر بأي محاولة لإخراج الاتراك من هناك ، لكن وبعد بضعة ايام ، ولدى سماعه بخبر انتصار ولده نصر الله على جيش تركي اخر قرب الموصل (٤) ، ارسل مبعوثا الى يكن باشا حاملا اليه ذلك الخبر . وعند اقتراب ذلك الرسول من المعسكر التركي علم بحصول اضطراب شديد هناك ؛ سببه تمرد الجيش التركي ، وموت يكن باشا . ومن غير المؤكد ما اذا كان قد قتل على ايدي المتمردين او انه مات كمدا بسبب هزيمته (٥) . كسرت الروح المعنوية للجيش التركي وكان افراده مرتبكين وخائفين جدا بسبب موت قائدهم ، فهربوا تاركين خلفهم جميع المدافع والامتعة والمؤن . بلغت خسائر الجيش التركي اثناء المعركة وفي هروبهم الذي تلا المعركة حوالي ٢٨ الف رجل ، بينهم ١٠ – ١٢ الف قتيل ؛ وكان من بين القتلى ثلاث باشوات والعديد من الضباط برتب مختلفة . فكان ميدان باغوارد نذير شؤم دائم بالنسبة للأتراك .

اظهر نادر اعتدال كبيرا بعد هذا النصر العظيم ؛ لأنه ادرك عدم قدرة بلاده على مواصلة الحرب ضد الاتراك . ومن جهة اخرى ، اعتقد ان ذلك الانتصار سيمكنه من الحصول على سلام مشرف مع الجانب التركي .

اعطى الشاه توجيهات بأطلاق سراح السجناء الاتراك المصابين والعاجزين وامر بأن يرسلوا الى قارص ؛ وفي نفس الوقت ، ارسل رسولا الى حجي احمد باشا ، السر عسكر التركي المتواجد هناك ، مع مقترحات سلام جديدة ، لم يذكر فيها هذه المرة قبول الاعتراف بالمذهب الجعفري ولا اقامة ركن خامس في الكعبة . لكنه ، طالب بتسليم وان ، كردستان التركية ، بغداد ، النجف ، كربلاء والبصرة .

بعد رفض الباب العالي لمقترحات نادر ، استعد الاتراك لبدء حملة جديدة . حيث اتخذ الباب العالي مجموعة اجراءات تضمنت تعيين علي باشا حكيم اوغلو بمنصب سر عسكر قارص بدلا من حجي احمد باشا ، وسعى الباب العالي ايضا لحصول تعاون فعال بين الاتراك وسورخاي خان واحمد خان في داغستان .

وبينما كانت هذه الاستعدادات جارية ، وصل فجأة الى اسلامبول مبعوث فارسي يدعى فتح علي خان تركمان . فامر السلطان بعقد جلسة موسعة لمناقشة المقترحات التي جلبها فتح علي خان معه ؛ وبناء على ذلك عقدت الجلسة في ١ فبراير ١٧٤٦ م . وخرج المجتمعون بنتيجة مفادها ، انه وبالرغم من عدم تمسك الشاه بالقضايا الدينية ، الا ان مطالبه الاقليمية لا زالت كبيرة . غير ان المجتمعين اعلنوا أن الشاه وبعد تخليه عن المطالبة بالقضايا الدينية فقد حقق الشرط الاساسي للسلام ، لكنهم رفضوا التخلي عن اي ارض تركية لصالح فارس . وبعد مناقشات كثيرة ، تم الاتفاق على ان يتوجه نظيف افندي ، السفير السابق لدى فارس ، على راس وفد اخر لغرض مناقشة شروط السلام . واصدرت للسفير تعليمات برفض اي مطالب دينية تتضمن الاعتراف بالمذهب الجعفري او انشاء ركن خامس في الكعبة ؛ اما فيما يتعلق بحدود البلدين ،

فأعطيت له صلاحية الموافقة على عودة ترسيم الحدود وفق ما نصت عليه معاهدة زهاب ١٦٣٩ م .

في هذه الاثناء غادر نادر اذربيجان وتوجه الى اصفهان عبر همدان و فراهان حيث دخلها في ٢٨ ديسمبر ١٧٤٥ م . وبينما كان في طريقه الى اصفهان التقى بوفدين مرسلين من قبل حاكمي خيتاي وخوتان ، حيث جلبا معهما هدايا مرسلة الى الشاه اشتملت على المسك ، العنبر والكافور . هذه الهدايا كانت ردا على الهدايا التي ارسلها نادر مسبقا الى حاكمي خيتاي وخوتان عندما كان في حملته على تركستان .

سببت الفترة التي قضاها نادر في اصفهان الكثير من البؤس والمعاناة للسكان ، وخصوصا الاغنياء منهم ؛ حيث ذُكر بأن الشاه امتلك سجلا دُون عليه اسماء الاغنياء المتواجدين في اصفهان واماكن اخرى لمطالبتهم بدفع الاموال . كما وطالب حاكم المدينة بدفع مبلغ قدره ١٠ الاف تومان .

بعد ذلك فُرضت الضرائب حتى على الماشية ، الامر الذي ادى الى قيام السكان بذبح مواشيهم لكي يتجنبوا دفع الضرائب .

قدم بيرسون ، مندوب شركة الهند الشرقية ، الى الشاه هدية رائعة وعريضة تضمنت استعادة كافة الامتيازات السابقة الممنوحة للشركة . فقبل نادر الهدية ، ورفض اعادة الامتيازات للشركة ، بحجة ان اعفاءهم من الرسوم الجمركية كان امتيازا كافيا لهم .

في ١٠ محرم ١١٥٩ هجري (٢ فبراير ١٧٤٦ م) ، غادر نادر اصفهان متوجها الى خراسان ؛ عبر اردكان وطبس ، ووصل الى منطقة حسن اباد ، التابعة لمشهد ، في وقت مبكر من الشهر التالي . واينما حل اثناء مسيرته ، تصرف نادر بقسوة ووحشية مفرطة مع المسؤولين ؛ فبعد تدقيق الحسابات التابعة لتلك المدن والمقاطعات واستجواب المسؤولين ، اتهم اغلبيتهم بالخيانة ، فتعرضوا للتعذيب والتشويه ، وأُعدم البعض منهم . وفي حسن اباد اتهم الشاه حاكم مرو شاه قولي خان قاجار بالتآمر مع محمد حسن خان قاجار ، فاصدر الشاه امرا بعزله من منصبه

، ووجه بتعذيبه وايداعه السجن . ولدى تدقيق حسابات مرو ، غضب الشاه كثيرا وامر بتسميل عيني كبير موظفي الخزينة هناك ؛ ثم بعث بمحصلي الضرائب الى مرو لجمع مبلغ ضخم من المال " الى اخر دينار " .

من حسن اباد توجه نادر شاه الى مشهد ، حيث التقى بحكام ومسؤولي هرات ، طبس ، تون ، قاين ومدن اخرى ، فاصدر اوامر بمعاقبتهم جميعا بلا استثناء . مسؤولو واعيان المدينة المقدسة عانوا معاناة رهيبة ايضا ، حيث اعدم مالا يقل عن ١٠٠ شخص منهم بأمر شخصي من الشاه . كما وطالب المدينة بجمع مبلغ قدره ٥٠٠ الف تومان في غضون سنة واحدة .

اعطى نادر اوامر بمواصلة التحضيرات اللازمة بشأن تجهيز مرو بالمدافع والاسلحة والذخائر وشدد على ان تكون تلك المدافع في حالة جهوزية تامة استعدادا لحملة تركستان ، " ان شاء الله ، بعد عودتي من رحلة العراق توجب علي التوجه الى تركستان " .

تم الاحتفال بعيد النوروز ، بروعته المعتادة ، في مشهد ؛ ويقال ان ١٢ الف خلعة ، تراوحت قيمة الواحدة منها بين ١٠ ــ ١٠٠ تومان ، وزعت على القادة العسكريين والاعيان ؛ لكن القليل ممن اخذوها شعروا براحة البال .

وعند ذلك الوقت اندلعت ثورة في سيستان بقيادة حاكم المقاطعة ، فتح علي خان سيستاني (كاياني) ، حيث كانت لها تبعات خطيرة للغاية . فبعد التحاقه بجيش نادر ، وتقديمه لخدمات كبيرة في افغانستان والهند ؛ غمره الشاه بعطفه ، وعينه حاكما على سيستان . وخلال شتاء ١٧٤٥ ــ ١٧٤٦ م ، استلم فتح علي خان اوامر من الشاه بجمع مبلغ ضخم من المال وارساله الى الخزينة الملكية ؛ فامتثل الى تلك الاوامر ، ولعجزه عن توفير ذلك المبلغ بسبب ضخامته ، جمع ما يمكن جمعه وقام بأرسال تلك الاموال الى الخزينة الملكية . وبعدما وجد المحصلون العاملون هناك نقصا كبيرا في المبلغ المرسل ، توجهوا الى الشاه واخبروه عن تقاعس

ذلك الحاكم بجمع المبلغ المقرر . وفي غضب كبير ، وجه نادر باستدعاء فتح علي خان والعديد من اعيان سيستان الى بلاطه ، كما وامر بجلب بقية المبلغ المقرر معهم . ومع علمهم بعدم وجود المزيد من الاموال لجمعها ولمعرفتهم بالعقوبة التي كانت تنتظرهم اذا ما حضروا دون بقية ذلك المبلغ ، فأعلنوا التمرد .

بدأت الثورة في مارس ، فبالإضافة الى الاعداد الكبيرة من السيستانيين ، انضم الى فتح علي خان العديد من رجال قبائل البلوش ، وانتشرت شائعات مفادها ان سكان قندهار وكابل كانوا يستعدون لإعلان التمرد . في البداية ، سارت الامور لصالح المتمردين ، حيث نجحوا بالاستيلاء على احدى القوافل التابعة للشاه والتي كانت قادمة من الهند ، كما وشنوا غارة ناجحة على بم . وبسبب دعم الاعداد الكبيرة من أنصاره وبفضل تلك النجاحات سابقة الذكر ، وافق فتح علي خان على مقترحهم بشأن تنصيبه كحاكم مستقل على سيستان وجزء كبير من المناطق المحيطة بها . وسيتم وصف احداث الثورة ونتائجها في الفصل القادم .

ولأسباب مماثلة لثورة سيستان ، اندلعت ثورة اخرى في كرمان في يونيو ١٧٤٦ م ، لكنها كانت على نطاق اصغر بكثير ، وقُمعت سريعا .

من مشهد ، توجه نادر الى كلات ، حيث بقى لعدة ايام هناك يتفحص المباني التي انشأها العمال الهنود لغرض ايداع الكنوز . تم استخدام كتل ضخمة من رخام مراغة في تشييد تلك المباني ، فكانت تزن بعضها (من ١٤,٥ طن الى ١٧,٥ طن) ، كما واستخدمت بعض من هذه الكتل في مشهد . يذكر محمد كاظم ، انه كانت هنالك ثلاث كتل ضخمة معروفة بشكل خاص وهي ايران خراب ، خراج العالم وعالم خراب .

اودع الشاه قطعا نقدية ذهبية وفضية ، بلغت قيمتها ٤٥٠٠٠٠٠ تومان (٩ كرور روبية او ما يعادل ٩ مليون باوند في ذلك الوقت) ، في بيت المال . الجواهر ، السجاد وغيرها من الاشياء النفيسة خُزنت هناك بصورة منفصلة . وبعد ذهاب نادر الى الخزينة المركزية بصحبة بعض من مشرفي البناء والعديد من الخصيان ، ولخشيته من قيام احد هؤلاء

بكشف اماكن تواجد الكنوز مستقبلا ؛ أمر بإعدام ٢ – ٣ اشخاص من مشرفي البناء وجميع الخصيان .

ونتيجة لأوامر ارسلها مسبقا ، تم الانتهاء من عمل الكثير من الاضافات لزيادة تحصينات كلات من خلال اقامة الاسوار وابراج المراقبة وصقل اسطح المنحدرات الصخرية المحيطة بكلات (والتي كانت شديدة الانحدار اصلا) ، لغرض زيادة صعوبة التسلق عليها .

ثم زار نادر ابيورد وداراجاز ؛ وعندما تواجد في داستجرد توجه لزيارة مولود خانة حيث ابدى سعادة كبيرة بعد مشاهدته لذلك الصرح ، ومن المحتمل ؛ انه عامل الفقراء هناك بلطف كبير ، نتيجة لذلك السبب .

ثم عاد الشاه بعد ذلك الى مشهد ، لكنه تقدم من هناك مباشرة نحو عراق العجم لغرض مقابلة المبعوث التركي .

وبعد وقت قصير من وصول نادر الى كردان ، وصل نظيف افندي والوفد المرافق له الى المخيم الملكي ، حيث تم استقبالهم بحفاوة كبيرة ؛ وعندما استقبل نادر السفير التركي ، كان الشاه يجلس على عرش الطاووس وكان يرتدي جواهره العظيمة الرائعة (٦) . ثم تلا ذلك مداولات بين نظيف افندي والوزراء الفرس ، وتم التوصل الى اتفاق نهائي بعد خمس جلسات . وفي ١٧ شعبان ١١٥٩ هجري (٤ سبتمبر ١٧٤٦ م) ، وقعت المعاهدة في كردان ، وهكذا طويت فترة طويلة من الصراع بين فارس وتركيا .

كانت تتكون المعاهدة ، من مقدمة ، ثلاثة مواد وملحق وكالاتي :

المقدمة : ستكون عملية ترسيم الحدود بين الدولتين وفق ما نصت عليه معاهدة زهاب المبرمة سنة ١٦٣٩ م ، ووجب على الدولتين الابتعاد عن اثارة القضايا التي تؤدي الى الاستياء والتي تضر بعملية السلام .

المادة الاولى : تعهدت تركيا بالسماح للحجاج الفرس بالذهاب الى مكة عبر بغداد او سوريا وستكون مسؤولة عن توفير الحماية لهم على طول الطريق .

المادة الثانية : وجب على كل دولة ارسال سفير لها الى بلاط الدولة الاخرى كل ثلاث سنوات .

المادة الثالثة : اطلاق سراح جميع السجناء من كلا الجانبين ، والسماح لهم بالعودة الى ديارهم ، والامتناع عن بيع او شراء السجناء كعبيد .

الملحق : ١ – يمنع على حكام المقاطعات الحدودية القيام بأي فعل يضر بعملية السلام .

٢ – بعد ان تخلى الفرس عن لعن الخلفاء (ابو بكر ، عمر وعثمان) ، وتخلوا عن الممارسات المسيئة التي ادخلت في زمن الصفويين . فتوجب على العثمانيين السماح لهم بالسير عبر الاراضي التركية من والى مكة ، المدينة المنورة وبلدان الاسلام الاخرى وعلى غرار الحجاج الاتراك والاخرين التابعين الى بلدان العالم الاسلامي ؛ كما ويسمح لهم ايضا بزيارة الاماكن المقدسة في بلاد ما بين النهرين . وطالما لم يحمل هؤلاء اي نوع من السلع معهم ، فيمنع على حاكم بغداد والمسؤولين الاخرين فرض اي ضرائب عليهم .

٣ – منح امتيازات مماثلة للأتراك المارين عبر الاراضي الفارسية .

٤ – ختاما ، ستكون هذه المعاهدة سارية المفعول والى الابد .

عندما عاد نظيف افندي الى اسلامبول حاملا معه بنود تلك المعاهدة ، جلب معه رسالة موجهة من الشاه الى السلطان ، فبعد ان بدئها بحمد الله والصلاة على نبي الاسلام محمد واله وصحبه ، تطرق فيها الى البدع التي ادخلها الشاه اسماعيل الاول ، والى الكوارث التي حلت على البلدين نتيجة لتلك الممارسات الصفوية ؛ وبعد ان ذكر الشاه فيها عن قبوله عرش فارس شرط العدول عن تلك الممارسات الصفوية ، فانه تخلى رسميا عن مطلبه بالاعتراف بالمذهب الجعفري ، وأختتم رسالته بتخليه عن المطالبة بإيالة واحدة من اصل اثنتين كانتا قد سقطتا بأيدي الاتراك زمن الشاه اسماعيل .

بعد ان علم الباب العالي بإخبار ابرام المعاهدة ، قام بأرسال سفارة عظيمة ، لم يسبق لها مثيل ، الى البلاط الفارسي . حيث عُين احمد باشا كيسرلي بمنصب سفير ؛ اما الوفد المرافق له فكان يتكون بما لا يقل عن الف شخص تقريبا ، كما وحمل السفير معه هدايا مرسلة من السلطان الى الشاه فاقت بقيمتها ، عظمتها ونفاستها جميع الهدايا المرسلة من قبل الباب العالي الى ملوك اسيا ، افريقيا واوروبا منذ تأسيس الدولة العثمانية والى يومنا هذا (٧) . غير ان هذه البعثة لم تصل ، لأن نادر ، وكما سيتبين في الفصل القادم ، كان قد تم اغتياله قبل وصول هذه السفارة الى البلاط الفارسي .

ومن ناحيته ، ارسل الشاه سفارة الى الباب العالي ، كان على رأسها رفيقه ومستشاره ، مصطفى خان ، ومؤرخه ، ميرزا مهدي ؛ حيث حملا معهما هدايا مرسلة من الشاه الى السلطان ، كانت عبارة عن عرش ذهبي مرصع باللؤلؤ والجواهر (مما لا شك فيه كان احدى غنائم دلهي) ، لؤلؤ من عمان واثنين من الافيال الراقصة .

النهاية المأساوية لنادر

بالرغم من عدم تحقيق حلمه في السيطرة على اسلامبول او بغداد ، الا ان الشاه شعر بارتياح كبير بعدما تمت المصادقة على معاهدة الصلح مع الجانب التركي ، حيث أقيم احتفال كبير على شرف تلك المناسبة ، وقضى الشاه عدة ايام مستمتعا بأجواء الاحتفال تلك ، الا ان بهجته لم تدم طويلا بسبب وصول اخبار تمرد سيستان واخرى عن نشوء اضطرابات في خراسان .

كانت الاوضاع الداخلية في بلاد فارس خطيرة بما يكفي لعامي ١٧٤٣ و ١٧٤٤ م ، بسبب اندلاع عدة تمردات منفصلة في اماكن متفرقة من البلاد ، ونتيجة للتدابير الرهيبة التي أُتخذت لقمع التمردات ولقيام الشاه باستنزاف اموال وارواح شعبه ، لذلك اصبح السكان اكثر استياء من ذي قبل .

وبسبب الأخبار المقلقة ناحية الشرق ، قرر نادر العودة الى مشهد عبر اصفهان وكرمان . فوصل الى اصفهان في بداية ديسمبر ١٧٤٦ م ، وبقي هناك لمدة سبعة اسابيع . وخلال اقامته في تلك المدينة ، اعطى علامات واضحة تدل على تزايد اضطرابه العقلي . حيث ذكر هانوي " اصبح مزاج الشاه سيئا جدا كما واصابه الارهاق الجسدي والنفسي كان ذلك بسبب معاركه الكثيرة والمتواصلة ولتكالب الامراض الجسدية عليه ايضا فجُعل على بصره غشاوة واصبح يعامل ابناء شعبه بوحشية وقسوة مفرطة فكان لا يهتم لمعاناتهم كما وفرض عليهم ضرائب طائلة سببت لهم الفقر والبؤس وخلال اقامته في اصفهان ارتكب اعمال وحشية لا يمكن وصفها " .

اليسوعي بير بازين ، الذي شغل منصب كبير اطباء الشاه ، شبه اصفهان بمدينة تم الاستيلاء عليها بهجوم شامل ، ثم استسلمت لغضب وانتقام الغزاة . فكلما كان يخرج من القصر يشاهد جثث ٢٥ ــ ٣٠ رجل خنقوا حسب اوامر الشاه او قتلوا على ايدي الجنود . وفي احدى الايام ، عندما اجري جرد لإثاث القصر ، لاحظوا اختفاء سجادة صغيرة ؛ فوجهت

اصابع الاتهام الى امين المجوهرات الملكية بسرقتها ، وفورا عُقب بالفلقة . وبعد الضرب المبرح ، صرخ الرجل بأنه بريء ، وان سلفه كان قد باع السجادة الى ثمانية من التجار ، اربعة منهم يهود والاخرين من الهنود والارمن . وبعد معرفة اسماء هؤلاء التجار ، احضروا جميعا ، وبدون اي محاكمة حتى وان كانت شكلية ، أُعميت عين لكل واحد منهم ؛ ثم القوا في النار وهم مقيدين . ويذكر بازين ان كل من شاهد هذا المشهد الرهيب ، بما في ذلك الجلادين ، اصيبوا بذعر شديد .

وعلى ما يبدو ، عندما كان نادر في اصفهان ارسل ابن اخيه علي قولي خان الى سيستان بهدف اكمال اخضاع المتمردين . وخلال عدة اشهر نجح فتح علي خان سيستاني بصد جميع المحاولات التي كان هدفها اخضاعه ، لكن في نهاية المطاف نجحت قوة من خراسان بقيادة محمد رضا بهزيمة المتمردين واسر فتح علي خان . بعد ذلك قام محمد رضا بإرسال فتح علي خان مقيدا بالسلاسل الى الشاه ؛ لم يتم التطرق الى مصير زعيم التمرد من خلال المصادر ، لكن ليس من الصعب تخمين ما الذي حصل له بعد ذلك . ومع ذلك ، فأن انتصارات محمد رضا لم تكتمل ، لأن العديد من سكان سيستان والبلوش كانوا قد هربوا ؛ ثم التفوا حول احد قادة فتح علي خان والذي يدعى مير كوشك ، حيث سار بهم الى حصن منيع وقديم يدعى ارساسيدان في كوه خواجه وتحصنوا هناك . فارسل نادر علي قولي خان بمهمة اخضاع مير كوشك ؛ كما وبعث بطلب طهماسب خان جالاير لمساعدة علي قولي بمهمته .

وخلال ذلك ، فرض الشاه ضرائب او مساهمات مالية هائلة ليس فقط على مدينة اصفهان وحسب ، وانما شملت كافة اجزاء الامبراطورية ؛ حتى ان افراد اسرته لم يعفهم نادر ايضا . حيث قام الشاه بمصادرة ممتلكات ابن اخيه ابراهيم خان ، كما وارسل اوامر الى علي قولي في سيستان بدفع مبلغ قدره ١٠٠ الف تومان ؛ وفُرض نصف هذا المبلغ على طهماسب خان جالاير .

وفي جورجيا ، فُرضت ضرائب طائلة هناك ايضا ، ففكر تيموراز وابنه ايراكل بالمقاومة المسلحة ، لكن تيموراز ، وبدلا من اعلانه التمرد ،

قرر وبجرأة كبيرة الذهاب شخصيا الى الشاه لغرض الاعتراض على كمية الضريبة المقررة ومطالبته بتقليل المبلغ . وفي مايو ١٧٤٧ م غادر تيموراز متوجها الى البلاط الملكي ، وقبل وصوله الى هناك كان الشاه قد اغتيل على ايدي المتمردين . وفي اذربيجان اندلعت ثورة شعبية غاضبة وعند ظهور سام ميرزا في تبريز نادوا به شاها عليهم .

في ١٠ محرم ١١٦٠ هجري (٢٣ يناير ١٧٤٧ م) ، غادر نادر اصفهان متوجها الى يزد وكرمان ؛ واينما حل ، كان يأمر بتعذيب العديد من السكان بل وصل به الامر الى اعدام العديد منهم ، حيث بنى الشاه ابراجا من الرؤوس البشرية المقطوعة . وتصرف نادر بوحشية شديدة خصوصا في كرمان ، بسبب اعلانهم التمرد ضده في الصيف السابق . وعندما كان متواجدا في كرمان ذلك الوقت ذكر الكابتن بوسيت ، وهو عضو في بعثة الامير ميخائيل ميخائيلوفيتش غوليتزين المرسلة الى فارس (١) ، بأنه شاهد برجين عاليين من الرؤوس البشرية هناك . وقد تعرض المترجم التابع لشركة الهند الهولندية الى الضرب المبرح حتى الموت ، بسبب اخبار تفيد بقيام عدد من النبلاء الفرس بإيداع مبلغ كبير من المال لديه ؛ اما الانكليز فلم ينجوا من غضب نادر ايضا ، فاجبروا على دفع حوالة ضخمة في اصفهان .

تم الاحتفال بعيد النوروز خارج كرمان . وفي نهاية مارس غادر نادر متوجها الى مشهد عبر صحراء لوط ، ونتيجة لذلك مات العديد من رجاله اما بسبب الجوع والعطش او بسبب الرمال المتحركة .

كانت طبس ، اول بلدة يصل اليها نادر بعد اجتيازه الصحراء ، وهناك التقى بأبنائه واحفاده ، البالغ عددهم ١٦ شخصا ، وبعد اللقاء بهم طلب نادر من نصر الله ، امام قولي وشاهروخ واحدا بعد الاخر ، اخذ تاج بلاد فارس ، لكنهم رفضوا ذلك ، بحجة افتقارهم الى القدرة والخبرة .

وصل نادر الى مشهد في نهاية ابريل ، حيث تصرف هناك بوحشية وقسوة فاقت ما فعله في اصفهان وكرمان . ومع حالة الشاه تلك ، لم يشعر اي احد بالأمان ؛ فخشي الجميع على ثرواتهم وعلى حياتهم ايضا .

لذلك تآمر الجميع عليه ، حتى اقربائه ، حيث سعوا للانضمام الى الثورة التي كانت تتصاعد شيئا فشيئا .

في سيستان ، وصل الرسل الى علي قولي حاملين معهم اخبار عن عمليات اعدام وسلب ثروات قام بها الشاه ، وكانت هذه الاخبار تتوافد الى معسكر علي قولي بصورة مستمرة . وبعدما علم بمصادرة ممتلكات اخيه ومطالبته بدفع مبلغ قدره ١٠٠ الف تومان ، قرر علي قولي اعلان التمرد . وعلى الرغم من استلامه امرا بدفع مبلغ قدره ٥٠ الف تومان ، الا ان طهماسب خان جالاير ظل مواليا لنادر ، كما وحاول اقناع علي قولي بالعدول عن قرار التمرد ضد الشاه ؛ وبعدما رفض الاصغاء اليه ، اظهر له طهماسب خان رسالة تحمل ختم الشاه تضمنت امرا بقتله ؛ فأخرج هو الاخر رسالة بعثت اليه من قبل الشاه يأمره فيها بقتل طهماسب خان . يبدو ان طهماسب خان ، وبعدما شاهد امر اعدامه ، قد تخلى عن ولاءه لنادر لبعض الوقت ، لكنه في نهاية المطاف ، وكما سيتبين ادناه ، اثبت ولاءه المطلق لنادر .

كانت اولى اهداف علي قولي ضم مير كوشك ورجاله الى صفه حيث نجح زعيم التمرد طوال ذلك الوقت بمقاومة علي قولي . وبسبب وحشية نادر وتصرفاته انضم الكثير من السيستانيين والبلوش ورجال القبائل الافغان الى التمرد . ونتيجة للدعم الواسع له ، بدء علي قولي يحلم بارتقاء عرش فارس ؛ ومع قواته المتزايدة ، سار من سيستان الى هراة ، حيث وصلها في منتصف ربيع الثاني (٢٦ ابريل ١٧٤٧ م) ؛ وهناك استقبل العديد من زعماء القبائل في المناطق المجاورة ، الذين اقسموا على مساعدته ضد نادر . مرة اخرى حاول طهماسب خان جالاير ثنيه عن التمرد ، لكنه رفض الاصغاء اليه مجددا ، وبعدما الح عليه الخان ، اسكته الى الابد بجرعة سم .

انتشر خبر تمرد علي قولي بسرعة كما ولاقى تأييدا كبيرا بسبب طغيان نادر . كان من بين اولئك الذين انضموا الى هذا التمرد اكراد خابوشان (٢) ، حيث قاموا بشن غارة على مزرعة الخيول الملكية في رادكان . استاء نادر كثيرا من ثورة ابن اخيه ، وبعدما علم بغارة الاكراد تلك ،

اصيب بنوبة غضب هستيرية ، فغادر مشهد على راس قوة قُدرت بحوالي ١٦ الف رجل بهدف معاقبة اكراد خابوشان . وقبل مغادرته مشهد ، كان الشاه يدرك حجم الخطر المتصاعد ضده وضد اسرته ، لذلك امر بأرسال ابناءه وحفيده شاهروخ الى كلات طلبا للسلامة .

عند اقتراب الشاه ، تحصن بعض الاكراد في قلعة في خابوشان واستعدوا للحصار ، بينما فر الاخرون الى جبال الاداغ . وفي مساء ١٩ يونيو ، عسكر نادر وجيشه على ارض مرتفعة في فتح اباد ، التي تبعد فرسخين من خابوشان ؛ بازين ، الذي كان مرافقا للشاه ، ذكر

" شعر الشاه باقتراب وقوع كارثة تهدد حياته وحياة اسرته في هذا المكان . ولعدة ايام كان يسرج حصانه بغية الانسحاب هو وحريمه الى كلات . وفي احدى المرات قرر الانسحاب فعليا من هناك ، لكن حرسه نصحوه بالعدول عن قراره حيث اقسموا له بالولاء المطلق ، وبأنهم سيقاتلون جميع اعداءه تحت قيادته ، ووعدوه بعدم التخلي عنه تحت اي ظرف من الظروف ، كما وبينوا له حجم الكوارث التي ستحل على المملكة اذا ما انسحب الى كلات . فحاول اقناع نفسه بصدق هذه الوعود لذلك قرر التخلي عن فكرة الانسحاب الى كلات . احس الشاه بوجود مؤامرة تحاك ضده منذ وقت ليس ببعيد كان هدفها قتله ، محمد قولي خان ، وهو من اقارب الشاه ، وصالح خان ، كانا الاكثر خطورة من بين جميع النبلاء في معسكره . حيث شغل محمد قولي منصب قائد الحرس (كشكجي باشي) اما صالح خان فكان المشرف على شؤون اسرته (رئيس البلاط) . كان محمد قولي اكثر خطورة من الاخر ، بسبب شجاعته ولأنه كان موضع احترام ضباط الجيش الاخرين نتيجة لإجراءاته السريعة والحاسمة في الحملات السابقة . لذلك شك الشاه به كثيرا وقرر ابعاده .

تواجد في معسكر الشاه قوة من الافغان بلغ قوامها ٤ الاف رجل ؛ كانوا جميعهم مخلصين لنادر وكانوا يكرهون الفرس كثيرا . وفي ليلة ١٩ – ٢٠ يونيو استدعى نادر جميع القادة الافغان وكشف لهم عن شكوكه التي تحوم حول حرسه وقال " ان ولائكم ليس محل شك اما بسالتكم فاعرفها

جيدا لذلك امركم باعتقال جميع الضباط غدا صباحا وان تجلبوهم مقيدين بالسلاسل واذا ما حاول احدهم مقاومتكم فاقتلوه ولا ترحموه انها مسألة تتعلق بسلامتي الشخصية وانا اسلم هذه المهمة لكم " (٣) .

كان قائد الافغان احمد خان دراني ، وهو الابن الثاني لمحمد زمان خان سادوزاي ، شابا يتراوح عمره بين ٢٣ ـ ٢٥ ؛ ويعود سبب ترقيته السريعة الى قدراته العسكرية الكبيرة وحماسته التي جذبت انتباه الشاه له . وبعد ان وعدوا نادر بتنفيذ اوامره ، انسحب احمد خان وضباطه ، وتم اتخاذ خطوات فورية لاختيار الرجال بهدف تنفيذ المهمة المروعة . غير ان جاسوسا كان قد سمع حديث الشاه مع القادة الافغان ، نجح بإيصال تلك المعلومات الى محمد قولي خان ، الذي اسرع بدوره بنقل الاخبار الى صالح خان . فقررا التعاون مع بعضهما البعض ، واتفقا على قتل الشاه في مساء ذلك اليوم قبل ان ينفذ الافغان مهمتهم .

قرر محمد قولي خان وصالح خان اخبار الاخرين الذين كانوا محل ثقة لديهما عن الحوار الذي دار بين الشاه والقادة الافغان وعن قرارهما بشأن اغتيال الشاه . وبعد عدة مناقشات ، اتفق كل من محمد قولي خان ، صالح خان ، محمد خان قاجار من ايروان ، موسى بيك من ايرلو افشار ، قوجا بيك من افشار ارومية وسبعين اخرين على قتل الشاه في تلك الليلة ، قبل ارتكابه مذبحة بحق الضباط الفرس .

بعد ساعات من حلول الليل تحرك المتآمرون بحذر نحو خيمة تشوكي ، ابنة محمد حسين خان قاجار ، حيث كان نادر متواجدا عندها في تلك الليلة . وبسبب هيبة نادر العظيمة خاف الجزء الاعظم من المتآمرين الدخول الى الخيمة ، لكن محمد خان قاجار ، صالح خان وشخصا اخر امتلكوا الشجاعة الكافية للمضي قدما ، وبعدما قاموا بخنق الحارس الذي كان يقوم بواجبه عند مدخل الخيمة ، استيقظت تشوكي على صوت الضجيج ، والتي بدورها ايقظت نادر بعد ان لاحظت اقتراب صالح خان . فنهض نادر من سريره بغضب ودهشة ، وراح يوجه الشتائم لصالح خان ؛ ثم استل نادر سيفه ، وهاجم قاتله ، لكنه تعثر بإحدى حبال الخيمة وسقط ارضا ؛ وقبل ان ينهض ، عاجله صالح خان بضربة من سيفه

قطعت له احدى ذراعيه . وبعد هذه الضربة ، اصيب صالح خان برعب شديد وتخشب من هول الصدمة ؛ غير ان محمد خان قاجار الذي كان اكثر تصميما من صالح خان ، هجم على نادر وضربه ضربة واحدة فصلت راسه عن جسده .

بعد ذلك انتشرت الفوضى ونهب القتلة وشركائهم ممتلكات نادر ، ثم دخلوا الى اجنحة الحريم واستولوا على الاشياء القيمة ، لكنهم لم يعتدوا على النساء . ثم توجهوا قاصدين خيام ثلاثة من الوزراء المعروفين بإخلاصهم الشديد لنادر وقربهم منه ؛ فقتلوا اثنين منهم ، اما الثالث فقد نجا (٤) .

بعد كل تلك الاحداث دبت الفوضى في المعسكر الفارسي . احمد خان مع ٤٠٠٠ افغاني لم يصدقوا للوهلة الاولى ان نادر قد قتل ؛ فاسرعوا باتجاه المساكن الملكية بهدف حماية الشاه ، لكنهم وجدوا ان طريقهم قد سد بواسطة ستة الاف قزلباشي من الحرس ، ثم تم تعزيز تلك القوة بقوة قوية اخرى قوامها اربعة الاف رجل . وبالرغم من قلة عدد الافغان مقارنة بتلك القوة كثيرة العدد ، الا انهم نجحوا بشق طريقهم نحو خيمة تشوكي . فزع الافغان بعدما شاهدوا جثة نادر وهي مقطوعة الراس وملقاة على الارض وسط بركة من الدماء كما وحزنوا حزنا شديدا على وفاة الشاه ، وعلى الرغم من دخولهم بصدام اخر مع القزلباش ، الا انهم استطاعوا شق طريقهم نحو قندهار بأمان ؛ وبينما كانوا في طريقهم الى هناك نجح الافغان باعتراض قافلة الكنوز المنهوبة من معسكر الشاه واستولوا عليها (٥) .

بعد ان اسرع من هراة الى مشهد ، شعر علي قولي خان بأن حلم الاستيلاء على عرش فارس سيكون بعيد المنال طالما بقي ابناء نادر على قيد الحياة ؛ لذلك ارسل قوة قوية من البختياريين ، بقيادة شخص جورجي يدعى سهراب خان ، بمهمة الاستيلاء على حصن كلات . وبعد حصار دام ١٦ يوما ، نجح البختياريون بالدخول الى الحصن عن طريق سلم غفل عنه المدافعون بقصد او بدون قصد .

وبعدما دخل البختياريون الى كلات ، قام كل من نصر الله ، امام قولي ، شاهروخ والامراء الاخرين بالهرب نحو مرو على ظهر الخيول ، فتم اللحاق بهم مباشرة . قاوم نصر الله بشجاعة فائقة ، الا انه هُزم اخيرا ، بعد ذلك وقع الجميع في الأسر وتم اقتيادهم الى كلات . وحسب اوامر ارسلت من علي قولي ، تم اعدام رضا قولي و ١٥ شخصا اخرين من اقاربه في كلات ، اما نصر الله وامام قولي فقد ذبحا بعد اقتيادهما الى مشهد ، وقُتل كذلك كل من جنكيز خان ، الذي كان بعمر الثلاث سنوات ، ومحمد الله خان ، الذي كان رضيعا (كانا من ابناء نادر) بواسطة السم (٦) .

ووصل الامر بعلي قولي الى ابادة سلالة نادر بالكامل فامر بقتل النساء الحوامل وكل من كان ينتمي لأسرة نادر . كان الناجي الوحيد من تلك المجزرة شاهروخ . حيث ذكر غوليستانا بأن علي قولي (الذي لقب نفسه بعادل شاه) ابقى على حياة شاهروخ لأنه كان ابنا لأميرة صفوية حيث اعتقد بأن تواجده سيكون مفيدا له في المستقبل .

وللعودة الى نادر ، فقد تم احضار راسه وجسده في نهاية المطاف الى مشهد ودفن في القبر الذي بناه في الشارع المقابل لضريح الامام الرضا ؛ اما جثة رضا قولي فوضعت لاحقا في نفس المقبرة . اغا محمد شاه قاجار ، الذي استحوذ على عرش فارس لاحقا ، امر بنبش قبري نادر شاه وكريم خان زند ثم وجه بنقل الجثتين الى طهران ، لدفنهما تحت عتبة قصره ، لكي يدوس بنعليه على قبرهما كلما خرج او دخل الى القصر .

على هذا النمط المخزي تم التعامل مع جثمان احد اعظم الملوك الذين حكموا بلاد فارس على مر التاريخ . لكن بعد ذلك تم ارجاع جثة نادر الى مشهد ليتم دفنها بصورة لائقة .

وقبل ان ننهي الفصل ، يجب ان نتكلم قليلا عن عادل شاه وخلفاءه . فشل عادل شاه بإعادة النظام والاستقرار الى بلاد فارس . فبعد ان حكم لمدة سنة تقريبا ، اطيح به وتم تسميل عينيه على يد اخيه ابراهيم ، الذي

بدوره هُزم وقتل مع اخيه عادل شاه على يد شاهروخ وانصاره ، الذي نجح بارتقاء عرش بلاد فارس ، لكنه عزل وأُعمي بواسطة محمد ميرزا ، الذي ادعى انتماءه لسليمان شاه من جهة والدته . وبعد شهرين ، تم هزيمة المدعي ثم قُتل ، وتم اعادة شاهروخ مرة اخرى لعرش فارس . احمد خان عبدلي نجح بالاستيلاء على خراسان وعزل شاهروخ ، لكنه اعاده بصفته حاكما على مقاطعة خراسان التابعة للأفغان . وفي نفس الوقت سيطر كريم خان زند على بقية الاراضي الفارسية ، حيث كان رجلا عادلا ورحيما وخلال فترة حكمه تخلصت بلاد فارس من الفوضى واراقة الدماء ونعمت بالسلام والاستقرار .

صفات نادر وشخصيته

نادر كقائد عسكري :

اكدت جميع المصادر التي تناولت سيرة هذا الفاتح العظيم على امتلاكه عبقرية عسكرية حقيقية . ولأنه كان من عائلة بسيطة غير ملمة بشؤون الحرب ، فنستنتج من ذلك بأن معرفته بعلم الحرب ، كانت فطرية ؛ وبسبب نشأته في منطقة حدودية عُرفت باضطرابها المستمر في ابيورد وداراجاز ، حيث كان القتال القبلي فيها مستعرا والغزوات التركمانية متكررة الحدوث ، فأُجبر على المشاركة في الحرب بسن مبكرة ، وأدى ذلك الى صقل موهبته العسكرية بمرور الوقت . وبعدما تدرج في الرتب العسكرية الى ان نال منصب القائد الاعلى للجيوش الصفوية ، شرع بأجراء حملات عسكرية مهمة اثبت فيها شجاعته ومهارته في ادارة العمليات القتالية . ان التغيير الذي احدثه في اوضاع بلاده خلال السنوات القليلة من ظهوره مثلت ضربا من الاعجاز ، ولم يبالغ كرزون حينما ذكر :

" بعد اقل من عشرين عاما على تلك الكارثة (اي غزو محمود لأصفهان) استطاع الفاتح الفارسي تحرير بلاده من اعداء اقوياء ونجح باجتياح اسيا الوسطى والهند وكان مصدر قلق وازعاج دائم للإمبراطوريات والممالك فأصبح نادر بحق سيد القرن الثامن عشر كما كان نابليون سيد القرن التاسع عشر " .

وجد تشابه كبير بين سيرة نادر ونابليون ، كما وشبهه البعض بالإسكندر الكبير ، خصوصا كتاب الشرق ؛ ان تشبيه نادر بهاتين الشخصيتين ليست ببعيدة عن الصواب ، لكن تشبيهه بتيمور هو الاقرب للواقع . كما وشُبه ايضا بفريدريك العظيم نتيجة لوجود امور مشتركة بينهما ابرزها الاستراتيجية العسكرية ، عملية تجنيد الافراد بصورة كبيرة من خارج حدود وطنه الام والتدريبات المكثفة والدقيقة لأفراد الجند .

كخبير استراتيجي ، تفوق نادر على غالبية اقرانه من قادة جيوش الاعداء . فعرف عنه التخطيط الدقيق قبل الشروع بتنفيذ الحملات

العسكرية . ومع ذلك ، وفي مناسبات قليلة ، اظهر نادر افتقاره للتخطيط الدقيق والحكمة ؛ ومنها اولا ، معركته الاولى ضد توبال عثمان باشا ، والتي انتهت بصورة كارثية ، فكان فشله اما بسبب سوء التخطيط او لثقته الزائدة بنفسه . ثانيا ، حملته على اللزجيين ؛ حيث ادرك نادر انه لن يستطيع اخضاع كامل داغستان مالم يتمكن من غزو افاريا اولا ، لكنه وبالرغم من ذلك كان دائما ما يؤجل مسعاه لشق طريقه عبر الحاجز الجبلي الهائل حتى وقت متأخر من حلول موسم الشتاء وبالتالي سيكون الوصول الى افاريا امرا بعيد المنال .

كانت ابرز التكتيكات التي امتاز بها نادر هو الهجوم السريع والمفاجئ لسلاح الفرسان ، ومن جهة غير متوقعة ، فكان له تأثيرا مدمرا على العدو ؛ وخير مثال على ذلك هزيمة نادر للقوات الهندية في ممر خيبر حيث كانت تحفة عسكرية فريدة ان صح التعبير . وبالرغم من كونه قائدا لسلاح الفرسان ، الا انه اهتم بالمشاة وقدر دورهم في المعارك . واثبت الجزايرجيون مع انضباطهم العالي ودقة تصويباتهم في العديد من المعارك انهم ند قوي للانكشاريين . وعن ادارته للمعارك يقول كوكل :

" كان نادر يشخص وبسرعة نقاط ضعف العدو ويستغلها لصالحه كما كان يفعل المستحيل لإنقاذ جنود جيشه اذا ما وقعوا بأي مأزق واذا ما قام احد قادة جيشه بالانسحاب من المعركة دون بذل جهود جبارة لمسك الارض قام نادر بامتطاء جواده قاصدا ذلك القائد المقصر لقتله بفأسه (الذي كان دائما ما يحمله بيده) ثم ينصب نائب ذلك القائد ليحل محله " .

استخدم نادر قوات الاحتياط بمهارة كبيرة ، حيث كان يزجهم في اللحظة الحاسمة وعلى النقطة الاضعف من جيش العدو .

مثل هانيبال وويلينكتون ، اثبت نادر فشله في عمليات الحصار ؛ حيث فشل بالسيطرة على بغداد ، الموصل ، قارص والبصرة . صحيح انه نجح بالاستيلاء على كنجه وقندهار ، وعدد من الحصون الثانوية ، ككركوك وايروان ، حيث سقطت كنجه بمساعدة صغيرة من الروس ،

ويبدو ان الخيانة كانت سببا رئيسيا لسقوط قندهار . كان من اهم اسباب فشل نادر في عمليات الحصار هي :

١ – كانت مدفعية نادر الثقيلة قاصرة في الكم والنوع ونتيجة للمسافات الشاسعة التي قطعها نادر وجيشه اثناء الحملات العسكرية ولوعورة الطريق فأصبح من الصعب عليهم نقل تلك المدافع .

٢ – لم يكن المهندسون العسكريون الفرس على مستوى عالي من التدريب والكفاءة مقارنة مع نظرائهم الاتراك .

٣ – كانت تحصينات القلاع والحصون ذلك الوقت عظيمة جدا .

٤ – خلال عمليات الحصار لم يستطع نادر استخدام تكتيكاته الفعالة والحاسمة من خلال زج سلاح الفرسان .

بالرغم من قصور مدافع الحصار الثقيلة في الكم والجودة ، الا ان مدافع نادر المتوسطة والخفيفة كانت ذات كفاءة عالية . ويعود الفضل في ذلك الى نصائح بعض الضباط الفرنسيين حيث ساعدوا على تحسين مستوى عمل المدافع الفارسية وجعلها اكثر فتكا من ذي قبل ؛ وذكر بعض المؤرخين العسكريين بأن بلاد فارس لم تكن تمتلك سلاح مدفعية حقيقي وفعال قبل عهد نادر .

كان نادر اكثر من مجرد قائد ؛ حيث كان مدربا ماهرا ، وكان قادرا على تحويل الاشخاص الغير مقاتلين الى مقاتلين ذو بأس شديد . ونجح شيئا فشيئا ، بغرس حب الجندية والحماسة لدى المقاتلين الفرس ، كما ونجح بإزالة الصور البائسة من اذهان الجنود الفرس عن القادة الغير اكفاء قبل عهده وجعلهم يثقون به وبقراراته . ونجح نادر ايضا برفع كفاءة الجيش الفارسي وجعله قوة هائلة كان ذلك نتيجة لأشراك الافغان والاوزبك وبأعداد كبيرة ، وكذلك من خلال الانضباط العالي والتدريبات المستمرة . وتجلت الصور التي تبين مدى طاعة الجند لأوامر نادر وسيطرته عليهم من خلال الطاعة الفورية لأمر وقف عمليات القتل

ختاما ، كان نادر اعظم جندي في عصره ، كما ونجح برفع شأن بلاده من الحضيض وجعلها القوة الاولى في اسيا . كان من المؤسف عدم استفادة بلاد فارس من تلك الانتصارات ، وبدلا من ان تعود عليها بفوائد جمة ، الا انها كانت سببا لمعاناة كبيرة وخسائر جسيمة في الارواح .

نادر كرجل دولة وحاكم :

كان نادر رجل حرب بامتياز ، وعندما كان يقود جيشه يصبح في افضل حالاته ؛ لكنه لم يكن بذلك الحاكم الناجح . فعند حلول السلام كان يشغل وقته بالأعداد لحملته القادمة ؛ في الواقع ، كان السلام بالنسبة لنادر وقتا مزعجا للغاية ، لكنه يصبح ضروريا في بعض الاحيان .

ولربما نقول انه لولا شغفه الشديد بالحروب ، لكان ملكا رائعا ، حيث ذكر بازين :

" بالرغم من انحداره من عائلة بسيطة الا انه ولد من اجل العرش فقد وهبته الطبيعة كل صفات الملوك العظام حيث كان ملكا شجاعا ، جسورا وحكيما كانت خططه كبيرة وكانت عيناه على جميع مقاطعات مملكته لم يجهل شيئا او يتغاضى عن خطئ لا يهاب المخاطر ولو انه لم يكن مهووسا بالغزو والحروب لحظي بحب الشعب " .

بالرغم من انجازاته العسكرية الرائعة ، الا انه سرعان ما اصبح منبوذا وغير محبوب من قبل غالبية ابناء شعبه كان ذلك بسبب طرقه الاستبدادية ، ولفرضه ضرائب هائلة اثقلت كاهل ابناء مملكته ولابتعاده عن النهج الصفوي واستيلاءه على العرش بعد الاطاحة بهم .

لم يبدي نادر سوى القليل من الاهتمام برفاهية ابناء شعبه ، (مثال ذلك عندما حرر الفرس في خوارزم ووفر لهم احتياجاتهم) ، فلم ينظر لشعبه على انهم بشر ، بل كانوا بالنسبة اليه مصدرا للأموال والارواح لمد جيشه الضخم وتحقيق احلامه التوسعية . وبسبب حروبه الطويلة ضد الاتراك والعبدليين ، من الفترة التي تلت الغزو الافغاني الى ارتقاءه عرش فارس ، تعرضت البلاد لاستنزاف مادي كبير ارهق الفرس

لدرجة كبيرة وسبب لهم الفقر والبؤس . وبعدما عاد من الهند محملا بالكنوز الاسطورية ، كانت لديه الفرصة لإعفاء شعبه من الضرائب واراحتهم لعدة سنوات . لكنه ، كدس تلك الكنوز في الخزائن ، واستأنف عملية جمع الضرائب بطرق وحشية اكثر من ذي قبل . فتم فرض ضرائب طائلة على التجار خارج حدود المعقول ، اما المزارعين فكانت احوالهم اسوء من التجار فألى جانب فرض ضرائب هائلة عليهم ، تم مصادرة محاصيلهم ، وكذلك تم الاستفادة من الطاقات البشرية لديهم عن طريق زجهم بالجيش . من الغريب ان ذلك الرجل الذكي كان لا يدرك ان أفعاله تلك ستؤدي الى زيادة استياء الشعب وبالتالي زيادة التمردات والمؤامرات التي تهدف الى عزله من الحكم وقتله ؛ قد يكون لتدهور حالته النفسية خلال سنواته الاخيرة سببا لإيصال البلاد الى تلك المرحلة المأساوية .

ويحسب لنادر انه اعاد الاستقرار والنظام لمعظم اجزاء مملكته ؛ حيث عمل الكثير لتأمين الحدود الشمالية الشرقية ضد الغارات المدمرة للتركمان والاوزبك من خلال نقل الافشار ، الاكراد والبختياريين الى تلك المناطق الحدودية ؛ وكانت لهذه السياسة ميزة اضافية اخرى هي اضعاف تلك القبائل القوية ، وزيادة عدد سكان خراسان وبالتالي زيادة اهميتها .

حسب هانوي " كان نادر يستفسر عن اسعار الاشياء الضرورية بنفسه ويعمل على خفضها لجعلها بمتناول يد أبسط ابناء شعبه وكان يفرض غرامة طائلة على تجار السوق عند كل تجاوز " .

سعى نادر قدر الامكان لاجتثاث جذور النهج الصفوي حيث عمل على :

١ – فرض المذهب الجعفري .

٢ – اتخاذ مشهد عاصمة له بدلا من اصفهان .

٣ – التخلي عن الممارسة الخبيثة المتمثلة بإبقاء الامراء في اجنحة الحريم لحين مجيء موعد تنصيبهم على العرش وقد تجلت تلك النتائج

المؤسفة لهذه الممارسة عندما تولى الشاه سلطان حسين وابنه طهماسب الثاني دفة الحكم فقام نادر بتعيين ابناءه بمناصب سياسية وعسكرية حساسة رغم صغر سنهم .

٤ – عمل نادر على تغيير قبعة الراس حيث امر اتباعه بارتداء قبعة ذات زوايا اربع وكان يلف حولها شال من الحرير او الصوف او غيرها من الاقمشة .

كان نادر مثل هنري الثامن ، ملك انكلترا ، حيث اضاف الكثير من الاموال لخزينة المملكة كما وصادر الاراضي التابعة لرجال الدين والاراضي الموقوفة .

ادار نادر مملكته من خلال البيكلربيك ؛ وتحت هؤلاء كان هناك الحكام ، ونوابهم ومسؤولين بمناصب اقل . حيث عينوا جميعهم من قبل الشاه ، وكانت هناك شبكة من الجواسيس ، تنقل لنادر كل شاردة وواردة عن هؤلاء الحكام والمسؤولين وتنقل له طريقة ادارتهم للمقاطعات . وعندما كان نادر يزور احدى المدن ، كان يدقق بعناية حساباتِ تلك المدينة ، وكان يحاسب المقصرين بشدة اذا ما وجد اي خلل او تقصير .

من المؤكد ان نادر اظهر مهارة كبيرة في السياسة الخارجية ، لكنه في هذا المجال ، وكما الحال في المجالات الاخرى ، فكر بتحقيق اهدافه الخاصة بدلا من اهداف شعبه .

ختاما ، يمكننا القول ان نادر حكم بلاد فارس حكما مطلقا ، لكنه كان اسير طموحه الا محدود .

صفات نادر الجسدية واذواقه :

لم يقدم ميرزا مهدي سوى القليل من المعلومات بخصوص مظهر نادر واذواقه ، ربما لأنه اعتبر مثل هكذا تفاصيل غير ضرورية لسردها .

اما كوكل فوصف نادر :

" بلغ من العمر ٥٥ عاما وكان طوله ستة اقدام تقريبا كان قوي البنية متناسق الجسد وقريبا من السمنة لولا الحملات المستمرة والمرهقة التي تمنع حدوث ذلك امتلك عينين واسعتين ذات لون اسود وكانت نظراته ثاقبة كما وامتلك حاجبين سميكين باختصار كان احد اكثر الرجال الذين قابلتهم في حياتي وسامة وبسبب تأثير الشمس وتقلبات الطقس على بشرته فمنحته مظهرا رجوليا " .

امتلك نادر في ايامه الاولى قوة بدنية كبيرة وقدرة هائلة على التحمل ، وعندما كان يقوم بحملة عسكرية ، كان يمر بنفس الصعاب التي يعاني منها ابسط جندي في جيشه ، كما وكان يأكل من نفس طعام الجند دون تمييز .

لاحظ محمد بخش ، في مايو ١٧٣٩ م ، بأن نادر قد صبغ لحيته وشاربه باللون الاسود ، لكنه لاحظ مظهره الشاب وجسمه المنتصب ايضا ؛ حيث كان نادر حينها قد تجاوز الخمسين عاما بقليل . والصورة الموجودة الان في مكتب ادارة الهند يمكن ان تلخص مظهر نادر . وبعد خمس سنوات على ذلك الوصف ، ذكر السويدي ، الذي التقى بنادر في النجف ، " ظهرت على وجهه علامات الشيخوخة وتقدم العمر ، وكانت العديد من اسنانه الامامية مفقودة ، حيث بدى كما لو انه بلغ الثمانين عاما ، اما عيناه فكانتا مصابتين باليرقان " ؛ لكنه ذكر بأنه ما زال وسيما . لا شك أن السويدي (الذي كره نادر) قد بالغ كثيرا عندما تحدث عن عمر الشاه . اما بازين فوصف نادر :

" كانت لحيته سوداء اما شعر راسه فكان ابيضا بالكامل كان قوي البنية متناسق الجسد طويل القامة كان وجه بيضويا لوحته الشمس وكان لديه انفا معقوفا وفما متناسقا وكانت الشفة السفلى بارزة قليلا وامتلك عينين صغيرتين ثاقبتين كما وامتلك صوتا جهوريا يستطيع ان يخفضه ويكسوه حلاوة اذا ما لزم الامر " .

احب نادر والدته كثيرا ، وذكر بازين بأنه تألم وحزن كثيرا على وفاتها كما وامر ببناء مسجد فوق قبرها . واحب نادر حفيده شاهروخ ايضا .

" بعد ان ينهي نادر عمله الشاق خلال النهار كان يتوجه عند الغروب الى مكان خاص به ليحرر نفسه من هم الاعمال ويتناول الطعام مع ثلاثة او اربعة اشخاص من المقربين لديه وكان يشرب النبيذ باعتدال بمقدار ثلاثة مكاييل وكان رفاقه يتصرفون بمطلق الحرية مع مراعاة الاحترام لشخص الشاه طبعا بجو يتسم بالمزاح وخلال تلك المسامرة الخاصة لا يُسمح لأي شخص منهم بالحديث عن الأعمال العامة ومشاكل الدولة وبالرغم من اعطائهم الحرية الكافية لكنه منعهم من الأفراط والمبالغة في الاسترخاء والمرح فذات مرة تحرر اثنان من رفاق نادر من كافة القيود وتحدثا بحرية مفرطة فامر نادر وعلى الفور بخنقهما وقال " هذان الاحمقان لا يستحقان العيش لانهما لم يفرقا بين نادر قولي ونادر شاه " .

كما ذكر كوكل ، والذي أُخذ المقطع اعلاه من وصفه لنادر ، " كان يشرب الخمر باعتدال ، وكان مدمنا على النساء لكنه لا يهمل عمله وواجباته من اجلهن " . وبحسب قول هانوي ، امتلك نادر في ايامه الاخيرة ، ٣٣ امرأة في جناح حريمه ، باستثناء الخادمات والمرافقات طبعا .

ذكر ميرزا مهدي ان الشيء الذي عشقه نادر (غير الحروب طبعا) كان بطيخ بلخ وهرات ، والاحصنة الاصيلة . احب نادر الملابس البسيطة وعشق الجواهر بصورة كبيرة لكنه وبعد غزوه للهند نال كل ما كان يطمح اليه بحيازته لنفائس الجواهر .

اظهر نادر في مواقف عديدة امتلاكه لروح الدعابة . حيث يروي عبد الكريم بأن طهماسب خان جالاير كان قصير القامة ، قوي البنية ، بدينا وداكن البشرة ، وفي احد المرات كاد ان يقتل بسبب خنزير بري هائج . وبعدما سمع نادر بهذه الحادثة ، ضحك كثيرا وقال " ان الاخ الاصغر كان يمرح مع اخيه الاكبر " . وعندما تواجد نادر في دلهي ، علم ان جناح حريم قمر الدين خان قد اشتمل على ٨٥٠ امرأة ؛ فأعطى اوامره لمنح الوزير ١٥٠ امرأة اخرى حتى يتم ترقيته لرتبة ميم باشي (وهي رتبة عسكرية تعني قائد الالف رجل) . اما بشأن اللغة ، فتحدث نادر اللغة التركية والفارسية لكنه لم يكن ملما باللغة العربية .

صحة نادر :

خلال فترة شبابه وحتى انتصاف عمره تمتع نادر بصحة جيدة ، لكنه منذ بلوغه سن الخمسين (او قبل ذلك بقليل) عانى من مشاكل جسدية متكررة كان لها تأثيرا سيئا على تصرفاته . ذكر عبد الكريم بأن نادر ، وقبل غزوه للهند ، عانى من الاستسقاء الذي رافقه نوبات غضب هستيرية وكآبة شديدة . والذي فاقم الوضع اكثر هو فقدانه لجميع اضراسه ؛ وخلال حملته على مازندران ومسيرته عبر سيستان لربما اصيب بمرض الملاريا . وبسبب حملاته الطويلة والكثيرة عانى من مصاعب جمة كان لها تأثيرا سيئا على مزاجه وصحته . ولما رأى نادر عدم كفاءة الاطباء الفرس في علاجه ، فقد تداوى ، عند تواجده في دلهي ، على يد الطبيب الهندي الماهر علوي خان الذي عينه بمنصب كبير الاطباء . لم يعتمد علوي خان على العقاقير وعلى فرض نظام غذائي صارم لعلاج نادر وحسب ، وانما تعداه الى معالجة نفسية نادر بتوجيه النصائح له ، وفي مناسبات معينة غامر بتوجيه اللوم للشاه بسبب نوبات غضبه الشديدة " كانت كلماته اشد مرارة من العقاقير " . قد سُر نادر كثيرا من صراحة طبيبه وجرأته ، وانتظم بعلاجه ، فأدى ذلك الى تحسن ملحوظ في حالته الصحية والنفسية .

ومن سوء حظ نادر ، وحتى رعاياه ، مغادرة علوي خان لبلاط الشاه في يوليو ١٧٤١ م ؛ فأدى ذلك الى تدهور الحالة الصحية والنفسية للشاه مرة اخرى ، وبحلول خريف ذلك العام ارتكب نادر اعمالا وحشية وصفت بأنها اكثر فظاعة من ذي قبل . بعد ذلك بعام امر نادر بتسميل عيني رضا قولي ميرزا ؛ ولو كان في حالته الطبيعية قبل عدة اشهر ، لما حكم على ابنه بهذه العقوبة ولربما كانت نهاية نادر مختلفة تماما . بعد هذه الحادثة تدهورت حالة نادر الصحية والنفسية كثيرا .

وفي وقت ما بين ١٧٤٢ ــ ١٧٤٤ م ، اشرف الاب اليسوعي دامين ، الذي كانت لديه معرفة بالطب ، على علاج نادر بعدما ظهرت عليه بعض المشاكل في الكبد . وفي شهر يونيو او يوليو من عام ١٧٤٥ م ، اصيب نادر بمرض خطير في مياندواب تطلب حمله على المحفة ؛ لكنه

تحسن بعد ذلك . في ديسمبر ١٧٤٦ م ساءت صحته مرة اخرى ، وظن انه اصيب بمرض خطير . وبسبب عدم رضاه عن مستوى الاطباء الفرس ، لذلك طلب من بيرسون ، الذي كان ممثلا لشركة الهند الشرقية في اصفهان ، جلب طبيب اوروبي له . فوقع الاختيار على اليسوعي بازين . سر نادر كثيرا من هذا الطبيب ، وعينه بمنصب كبير اطبائه . اكتشف بازين عن اصابة نادر بمرض الاستسقاء في مراحله المبكرة ، كما ولاحظ معاناته من التقيؤ بصورة متكررة ، وصاحب تلك الاعراض امساك شديد ومشاكل في الكبد .

بدء بازين معالجة نادر في كرمان ، بداية ١٧٤٧ م . وكاد ان ينجح بمهمته تلك ، لولا قيام نادر باستئناف قسوته حال وصوله الى مشهد ؛ ولم يتطرق بازين الى سبب قسوة نادر المفرطة تلك هل كانت نتيجة لتوقفه عن تناول العقاقير والاستماع لنصائح طبيبه او بسبب الثورات والمؤامرات المحاكة ضده .

ختاما ، يمكننا القول ان الحالة الصحية والنفسية لنادر قد تدهورت بشكل كبير وبصورة مستمرة تقريبا خلال سنواته الاخيرة .

نادر والفن :

في عهد نادر لم تزدهر الفنون ، باستثناء فنون الحرب طبعا ، فخلال فترة حكمه كان السيف اقوى بكثير من القلم . وذكر لطف علي بيك ، المولود سنة ١٧١١ م ، في كتابه معبد النار ، ان الفترة بين عامي ١٧٢٢ – ١٧٧٢ م شهدت ندرة كبيرة في تواجد الادباء . وذكر لطف علي بيك بأن الشيخ حزين هو فقط من حقق شهرة واسعة في مجال الشعر .

ويمكننا القول ان شخصيتين ادبيتين برزتا في عهد نادر هما الشيخ حزين وميرزا مهدي .

يبدو ان نادر كان قليل الاهتمام بالأدب ، ومع ذلك فقد رفد مكتبة الامام الرضا في مشهد بحوالي ٤٠٠ مخطوطة . ويجب ان لا ننسى ان نادر

امر بكتابة تاريخ نادري ، كما قام بتكليف الشاعر الهندي محمد علي بيك لكتابة نادر شاه نامه . كان الشاعر الوحيد الذي داعب احاسيس الشاه هو حافظ شيرازي .

اهتم نادر كثيرا ببناء المدن والمباني . فقد بنى مدينة نادر اباد ، شماخي الجديدة ، خيوة قاباد ، اضافة الى العديد من الاضافات والترميمات التي أُنشئت في ضريح الامام الرضا ، كما وامر ببناء مولود خانة في داستجرد ، وخزائن الكنوز في كلات . في اصفهان لم يأمر نادر بإضافة اي ابنية هناك ، اما في قزوين فأمر بأنشاء قصر جديد له في تلك المدينة ، حيث قدم هانوي وصفا دقيقا لذلك القصر . وفي اشرف ، في مازندران ، اقام الشاه قصرا سُمي بجهل ستون ، والذي وصفه وليم اوسيلي في كتابه اثناء ترحاله .

وبينما كان نادر في دلهي ، رسمت له عدة لوحات ، حيث قام احد الهنود الذي يدعى غلام محي الدين بإهداء لوحة رسم عليها صورة الشاه الى ريتشارد بينيون ، حاكم مدراس ، وكان ذلك في مارس ١٧٤٠ م .

هناك لوحتان لنادر في لندن ، احدهما في مكتب ادارة الهند ، والاخرى في متحف الهند ، جنوب كينسنغتون ؛ ومن المعروف ان كلا اللوحتين قد رسمتا في القرن ١٨ على يد رسامين فرس ، الا انه لا يمكننا تحديد فيما اذا كان الرسامون معاصرين لنادر ام لا . السيد هنري فانسيترت ، حاكم حصن وليم للفترة من ١٧٦٠ – ١٧٦٧ م ، نجح بالحصول على اللوحة الموجودة الان في مكتب ادارة الهند ؛ و كانت مشهورة على انها لوحة اصلية تصور شكل نادر الحقيقي . بعد ذلك قام ابنه نيكولاس بإهداء تلك اللوحة الى شركة الهند الشرقية في فبراير ١٨٢٢ م . اما اللوحة الموجودة في المتحف الهندي فلا يمكننا تتبع تاريخها الدقيق ؛ حيث قيل انها احضرت من الهند سنة ١٨٠٠ م او ربما اقل من ذلك بقليل ؛ كانت تلك اللوحة تملكها عائلة ويلوبي منذ زمن بعيد ، وقدمها الى المتحف الهندي ويلسفورد سنة ١٩١٩ م . في هذه اللوحة وجد تشابه في تفاصيل وجه نادر مع تلك المعروضة في مكتب ادارة الهند .

وللعودة الى نادر . ففي عام ١٧٤٣ م قام رسام يدعى كاسل ، برسم ثمانية لوحات تصور معارك نادر .

نادر وعلاقته بالدين :

فشل المؤرخون بتحديد مذهب نادر في ما اذا كان سنيا ام شيعيا ، حيث ذكر بازين :

" كان من الصعب علينا معرفة مذهب الشاه بكونه سنيا ام شيعيا فكان يجاهر علنا بأن النبي محمد وابن عمه علي نالا اعلى درجات المجد لكونهما محاربين عظيمين " .

كانت لدى نادر الكثير من العيوب ، لكن التعصب الديني لم يكن من بينها ؛ حيث بذل جهودا جبارة للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، وسعى جاهدا لدمج المذهب الشيعي مع المذاهب السنية الاربعة وجعل جميع المسلمين تحت لواء واحد . كان هذا المشروع مغايرا تماما لسياسة الشاه اسماعيل الاول وخلفاءه من بعده ، حيث ادرك الصفويون دور المذهب الشيعي في توحيد كافة الشعوب الفارسية وجعلها امة واحدة . لكن طموح نادر كان بلا حد ، وكان مشروعه يتعدى حدود بلاد فارس . حيث سعى ليكون سيد العالم الاسلامي بلا منازع .

ان اختيار نادر للمذهب الجعفري هو امر محير بالفعل ويخفي خلفه الكثير من الغموض ؛ كون الامام جعفر الصادق كان الامام السادس لدى الشيعة ، وعمل الكثير لنشر الفقه الشيعي . لربما اراد نادر من اختياره للمذهب الجعفري مذهبا رسميا لفارس ان يقنع الفرس بأنهم لم يتخلوا عن مذهبهم السابق ، كون الامام الصادق يمثل رمزا شيعيا مقدسا ، كما واراد خداع الاتراك من خلال فرض مذهب جعفري مغاير للمذهب الاثني عشري ليوافقوا على مقترحه بشأن دمج المذهب الجعفري بالمذاهب السنية الاربع ، وان حصل ذلك فقد حقق اولى الخطوات (بل واهمها على الاطلاق) ليكون سيدا على العالم الاسلامي .

كان نادر متسامحا جدا مع المسيحين ، حيث سمح لهم بحرية ممارسة طقوسهم الدينية ؛ كما وأشار الكاثوليكي ابراهام الى المعاملة الحسنة التي تلقاها بعد لقاءه بنادر ، وذكر ان نادر قام بالحضور الى احدى الصلوات المقامة في الكاتدرائية في منطقة اجميادزين . بعد ذلك تلقى ابراهام دعوة من نادر لحضور التجمع الكبير في سهل مغان ، حيث حضي باستقبال لافت لدى حضوره ، وخُصص له معاش يومي بأمر من نادر . كما ووجه نادر بنقل عدد كبير من الارمن من نخجوان الى مشهد ، وسمح لهم بحرية ممارسة طقوسهم الدينية وفتح محلات لبيع النبيذ ، مما أثار ذلك غضب المسلمين (امثال محمد كاظم) ، بسبب قدسية هذه الارض لديهم .

ولم يعترض نادر على وجود المبشرين الاجانب في بلاد فارس ؛ حيث تواجد هناك عدد من اليسوعيين والكرمليين في اصفهان ، وكان هناك العديد من الاشخاص (معظمهم ان لم يكونوا جميعهم) من اليسوعيين في جيلان . ولا ننسى ايضا ان الشاه امر بتعيين اليسوعي بازين بمنصب كبير اطباءه .

وذكر بيردس فجنيس ، عندما كان متواجدا في جلفا في مايو ١٧٤٤ م ، بأنه وجد هناك حوالي اثنين وعشرين كنيسة ارثوذكسية واربعة كنائس كاثوليكية ؛ اما اعداد السكان فقاربت على العشرة الاف شخص .

واثارت سورة الفتح في القران الكريم اهتمام نادر ، بعدما ذُكر فيها عن التوراة والانجيل .فوجه سؤالا الى الملا باشي (علي اكبر) فيما اذا كان باستطاعته جلب نسخة من اسفار موسى الخمسة والانجيل ؛ وعندما رد بالإيجاب ، امر بتكليف ميرزا مهدي للأشراف على مشروع ترجمتهما الى اللغة الفارسية .

ذكر بيردس فجنيس ، عن قيام نادر بإرسال الملا الى اصفهان مع اوامر بجلب مختصين من اليهود ، الارمن والفرنجة لإنجاز هذا المشروع . وأضاف نفس المؤرخ ، بأن العمل على هذا المشروع بدء في مايو ١٧٤٠ م ، واستمر لمدة ستة اشهر . وكانت اللجنة المشرفة على ترجمة

العهد الجديد تتكون من اثنين من المبشرين الروم الكاثوليك ، اثنين من الارمن الكاثوليك ، اثنين من الرهبان الارمن الارثوذكس وكاهنين ، بينما قام الحاخامات اليهود بترجمة العهد القديم ، وكذلك تُرجم القران الكريم الى الفارسية ايضا .

وبعد الانتهاء من العمل ، تم استدعاء المترجمين للمثول امام الشاه في قزوين . فذهب اسقف اصفهان الكاثوليكي الرومي ، اثنان من المبشرين الكاثوليك واربعة اساقفة من الارمن ، بصحبة الملا المسؤول عن هذه المهمة ، حيث استقبلهم نادر بلطف كبير وثمن جهودهم ودفع لهم اتعابهم . وذكر لهم " كنت اتمنى وجود الوقت الكافي لمطالعة اعمالكم لكن لضيق وقتي تعذر علي ذلك كما وأود ان اشير الى مسألة بهذا الشأن ان هنالك اله واحد لا شريك له ونبي واحد هو محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين " . خيبت هذه الكلمات امال المترجمين حيث كانوا يأملون بأن يعود عملهم هذا بالخير على الديانة المسيحية في بلاد فارس .

يروي محمد مهدي بن محمد رضا ، قصة حديث نادر مع رجل دين مسلم حول وصف الجنة . فبعد ان ذكر له ذلك الرجل عن نعيمها وملذاتها ، سأله نادر " هل توجد هناك حروب وغالب ومغلوب في الجنة ؟ " ، وعندما اجاب رجل الدين بالنفي ، قال نادر " اذن اين المتعة في ذلك ، من المؤكد ان الحياة ستكون مملة هناك " . وعلى ما يبدو فان هذه القصة غير صحيحة .

الملاحظات

الفصل الاول

١ – فامبري ، في تاريخ بخارى (لندن ١٨٧٣ م) ص ٣٣٩ وصف نادر شاه بكونه اخر فاتح اسيوي عظيم .

٢ – في السنوات اللاحقة اصبح الشاه سلطان حسين مدمنا على الشراب حيث ذكر كورنيليوس ، عندما كان متواجدا في اصفهان سنة ١٧٠٤ م ، تقريرا سلبيا عن شخصية الشاه في كتابه سفري الى مسكوفي ، فارس وجزء من شرق الهند لندن ١٧٣٧ م الجزء الاول ص ٢١١ و ٢١٢ .

٣ – كان بلاط الشاه في قزوين للفترة من ١٧١٧ - ١٧٢٠ م ثم انتقل بلاطه مؤقتا الى طهران ثم عاد الى اصفهان .

٤ – في سبتمبر ١٧٢٠ م ، قام بيتر العظيم بتعيين افراموف كقنصل روسي في رشت فكان اول قنصل روسي يعين بصفة رسمية في فارس .

٥ - أرسل فتح علي خان رئيس قبيلة قاجار في استراباد ، والذي كان حاكم مشهد وقتها ، ضد مالك محمود حيث حاصره لمدة شهر تقريبا الا انه رفع الحصار عن مدينة تون وعاد الى مشهد بسبب وجود جرح في قدمه (تاريخ نادري ص ٦ و ٧) .

٦ – كان هناك تباين واضح بين المؤرخين بشأن اعداد قوات محمود . كل من ميرزا مهدي والمؤرخ رضا قولي خان هدايت (روضة الصفا المجلد ٨) ذكرا بأن اعداد القوات الغلزائية كانت ٨ الاف ؛ ويضيف رضا قولي خان ان محمود كان لديه عددا مماثلا من رجال قبائل البلوش وهزاره كقوات ساندة . ذكر فاساي في كتاب فارس نامة ناصري (طهران ١٨٩٥ م) ان عدد الافغان قارب على ٢٠ الف ، وبعض المصادر قدرت اعداد الافغان بحوالي ٤٠ الف .

٧ – عندما حاصر مالك محمود مشهد سنة ١٧٢٣ م نجح بهزيمة جنرال طهماسب الذي يدعى رضا قولي خان انظر كتاب زبدة التواريخ لمحمد محسن ص ٢٢٠ .

الفصل الثاني

١ – تاريخ نادري صفحة ٣٣ . بادئ الامر كان هنالك عداء بين شير غازي ونادر ، لكنه قرر بعد ذلك مساعدته لأنه خشي من تنامي قوة مالك محمود .

الفصل الثالث

١ – ذكر هانوي ان نادر حرض على قتله اما فتح علي خان فهو بريء من هذه التهمة .

٢ – ان الرجل الذي طعن نادر كان يدعى حاج مشكين ، الذي اقسم على قتل نادر او الموت اثناء المحاولة انظر عبد الكريم في كتابه تاريخ احمد ص ٤ وانظر ايضا محمد عبد الرحمن في كتابه تاريخ احمد شاه دراني .

الفصل الرابع

١ – قام محمد سيدال خان بمحاولة فاشلة لانتزاع جيلان من روسيا في اواخر ١٧٢٨ م ؛ بعد ذلك تم التوقيع على معاهدة سلام بين اشرف وروسيا في ٢٤ فبراير ١٧٢٩ م .

٢ – تاريخ نادري ص ١٣ . ذكر محمد محسن في كتاب زبدة التواريخ ص ٢٢٠ حادثة قتل الشاه لكنه لم يذكر بشأن ارسال الراس الى احمد باشا .

٣ – ذكر الشيخ حزين ص ١٩٣ ، ان خسائر الفرس اشتملت على اصابة رجلين بجراح طفيفة .

٤ – ذكر ميرزا مهدي في (ص ٦٥) عن قيام احمد باشا بأرسال عدد من الباشوات وعدد لا بأس به من الرجال ويضيف الشيخ حزين انه

ارسل قوة من سلاح المدفعية . والحقيقة تم ارسال مجموعة صغيرة من الاتراك .

٥ – حسب روزنامه لميرزا محمد شيرازي ص ٦ تم سجن ١٠ الاف افغاني . انظر ايضا فارس نامه ص ١٦٧ .

٦ – يذكر الشيخ حزين (ص ٢٢٨) ان مذهب عرب السنة المتواجدين على سواحل الخليج كان المذهب الشافعي .

٧ – شيخ حزين ص ٢٠٣ . واضاف ان عبد الله خان قام بأرسال راس اشرف الى الشاه طهماسب ، مع ماسة نفيسة وجدت لدى اشرف .

الفصل الخامس

١ – لي بروين الذي كان متواجدا في شيراز في مارس ١٧٠٥ م ذكر ان الفا من الهنود كانوا متواجدين في تلك المدينة .

٢ – في مذكرات كامبرون ذكر ان ممثلي شركة الهند الشرقية الانكليزية والهولندية قد صودرت املاكهم ، وتم طردهم خارج المدينة ، ونهبت مقرات الشركتين ؛ حيث تم تقدير الخسائر الانكليزية بحوالي ١٧ الف باوند .

٣ * - ذكر مايكل اكسورثي في كتابه سيف فارس ص ١٤٩ كان عدد افراد الجيش التركي المتواجد في سهل ملاير ٣٠ الف رجل .

٤ – تم تعزيز قوات الحامية المحلية بوصول قوة قوية تحت امرة تيمور باشا حاكم وان وعلي رضا باشا حاكم مكري .

٥ – حصل ليفاشيف على عهد امان للحامية التركية حيث تمكن افرادها من الوصول الى شماخي .

٦ – مايان نور محمد بن ناصر محمد ، زعيم السند ، خلف والده سنة ١٧٠٨ م ؛ وفي ١٧١٧ م ، وبعد ان اقسم بالولاء لإمبراطور المغول ، مُنح لقب خدايار خان .

الفصل السادس

١ – كانت هنالك صداقة وثيقة بين توبال عثمان باشا والسفير الفرنسي في اسلامبول وبعد طرده من منصبه كصدر اعظم قيل بأن فرنسا تلقت ضربة موجعة نتيجة لهذا الامر .

٢ – ذكر ميرزا مهدي عن وجود تواطئ بين طهماسب واحمد باشا حاكم بغداد ، لكن هذا الأمر مبالغ فيه . ما حدث فعلا ان طهماسب كتب الى احمد باشا يخبره بأن الحرب الفارسية – التركية ستتجدد ، وذكر بأنه عاجز عن منع نادر وجيشه ؛ لأن نادر اصبحت لديه القوة الكافية لعمل ما يشاء .

الفصل السابع

١* - ذكر اكسورثي في كتابه سيف فارس ص ١٨٢ ان تعداد الجيش الفارسي في هذه المعركة قد بلغ ٧٠ الف رجل .

٢ – نيكوديم ذكر ان خسائر الفرس بلغت ٤٠ الف قتيل ، اما ميرزا مهدي فذكر عن سقوط ٢٠٠٠ فقط . وعلى ما يبدو فان الخسائر الفارسية كانت ثقيلة جدا ويبدو ان ٣٠ الف هو رقم معقول حيث قُتل الكثير من الفرس بعد المعركة عندما كانوا يروون عطشهم على ضفاف نهر دجلة .

٣ – نيكوديم (فون هامر ص ٥٢٣) ذكرا ان الفرس تركوا مدافعهم في الميدان حيث اشتملت على ٤ مدافع عيار ٣٠ دانة ، ٦ مدافع عيار ١٥ دانة ، ٨ مدافع عيار ٩ دانة و ٥٠٠ مدفع زانبورك محمول على ظهر الابل . تقريبا كل خيول الفرس وحيوانات المؤن والامتعة سقطت بأيدي الاتراك .

٤ – احترم الشيعة وقدسوا السلالة الصفوية بسبب انحدارهم من نسل علي بن ابي طالب انظر شيخ حزين ص ٢٤١ .

٥ – انضم الى قوات محمد خان عدد من البلوش ، العرب وقبائل خوزستان . انظر ميرزا محمد شيرازي ص ١١ .

٦ * - ذكر اكسورثي في كتابه سيف فارس ص ١٩١ كان تعداد الجيش التركي حوالي ١٠٠ الف رجل اما الجيش الفارسي فكان اقل منه في العدد الى حد ما .

٧ – ذكر ميرزا مهدي عن قيام توبال عثمان باشا بامتطاء حصانه لغرض الهرب من ارض المعركة لكن هذا ليس من شيم السر عسكر .

٨ – لا يمكننا الاعتماد على ارقام ميرزا مهدي ؛ ففي تاريخ نادري (ص ١٣٥) ذكر ان ١٠ الاف رجل من الاتراك لقوا حتفهم في هذه المعركة اما عدد الاسرى فكان ٣ الاف ، ثم يرفع عدد القتلى في درة نادري (ص ١٣٧) الى ٢٠ الف قتيل تركي . اما هانوي فذكر رقما كبيرا وهو ٤٠ الف قتيل من الجانب التركي .

٩ – تم تعيين احمد باشا حاكما على حلب لكن وبناء على طلبه تم تعيينه في اورفة .

١٠- يذكر الدكتور دونالدسون في كتابه معتقدات الشيعة تاريخ الاسلام في فارس والعراق (ص ٦٢) عن سماع نادر بتحول النبيذ الى خل وكذلك عن امتناع دخول الكلاب الى قبر الامام علي فأراد التأكد بنفسه فجلب معه زجاجة من النبيذ وكلب وهمَ بالدخول الى قبر الامام علي أما الكلب فرفض الدخول الى قبر الامام بالرغم من المحاولات العديدة لإجباره والنبيذ قد تحول فعلا الى خل وقيل ان نادر ونتيجة لهذه المعجزات اعلن ايمانه بالمذهب الشيعي ويبدو ان هذه القصة ليس لها اساس من الصحة .

١١ – كانت السفن المبنية في سورات اكثر متانة وتحملا لظروف المناخ من تلك السفن المصنوعة في اوروبا فكان يُستخدم خشب الصاج في صناعتها .

الفصل الثامن

١ – استولت قوات تيمور على كلات بعد حصار طويل سنة ١٣٨٢ م .

٢ – تاريخ نادري ص ١٤٢ . ويمكن ملاحظة ان الباب العالي لم يذكر اي شيء حول تصديق المعاهدة التي عقدت بين احمد باشا ونادر لكن الباب العالي اكد على عقد معاهدة جديدة .

٣ – اعطى ميرزا مهدي رقما قد يكون مبالغا فيه عن عدد الجيش التركي حيث ذكر بأن العدد قد بلغ ٧٠ الف فارس و ٥٠ الف من المشاة.

٤ – هانوي ص ١١٩ .

٥ *– ذكر اكسورثي في كتابه سيف فارس ص ٢٠٥ ان خسائر الجيش التركي كانت ثقيلة جدا حيث خسر الاتراك قرابة ٤٠ – ٥٠ الف بين قتيل واسير وذكر نادر نفسه " تمكن الجيش الفارسي من سحق الجيش التركي فلم يبق احد منهم على قيد الحياة وكذلك كان مصير عدد كبير من الفرسان الاتراك واضاف " بفضل الله تعالى قُتل الجيش العثماني كله تقريبا " .

٦- ذكر ابراهام عن قيام نادر بترحيل ٦ الاف عائلة ارمنية من قارص الى خراسان .

٧ – علي ميرزا او الكسندر كان ابن امام قولي خان (ديفيد ٣) حاكم كاخيتي ؛ اما اخوه محمد فقد قتل في بلاد ما بين النهرين في المعركة الكارثية التي حدثت في ١٩ يوليو ١٧٣٣ م .

٨ – ذكر محمد كاظم في كتاب خطاب نادري (ص ٢٧) عن قيام سفراء الاميرة البيضاء " اق بانو " (يقصد الامبراطورة ان) بجلب الرسائل والهدايا ، المرسلة من الامبراطورة الى الشاه ، معهم وكانت احدى هذه الهدايا عبارة عن لعبة ميكانيكية رائعة ، حيث سر نادر كثيرا عند مشاهدتها . وكان رد نادر على تلك الرسائل أنه بعد استعادته

لقندهار سيكون له شرف لقاء الاميرة البيضاء وطلب يدها للزواج وعندها ستتوحد المملكتين تحت راية واحدة .

٩ - وصفت بأنها اجمل نساء الشرق وذكر عباس قولي في كتابه كلستان ايران (ص ٢٣٨) ان نادر سلم هذه الفتاة لحسين علي خان قبة (قوبا)

الفصل التاسع

١ - كان يرغب بتعليق عملياته ضد تركيا لحين حصوله على الموارد الكافية ليتمكن بعدها من توجيه الضربة القاتلة لتركيا .

٢ – اخطأ جونز بترجمة الجزء الاخير فبدلا من قوله لا يمكن بيع او شراء السجناء ذكر ان التجارة بين البلدين يجب ان تكون حرة وبلا قيود.

الفصل العاشر

١ – يبدو ان الباب العالي لم يكن يعلم بمقترحات نادر الدينية بشأن المذهب الجعفري .

٢ – افاد السير فوكينر ان الباب العالي امر الاشخاص الذين يملكون عبيدا فرس بتسليمهم فورا وفي غضون شهر فتم تسليم ٢ – ٣ الاف عبد فارسي .

الفصل الحادي عشر

١ – ذكر فريزر ان طهماسب خان جالاير انضم الى نادر مع ٤٠ الف رجل كما واكد ذلك هانوي .

٢ – حسب ميرزا مهدي فأن حسين نفسه كان قد شارك بهذا الهجوم انظر تاريخ نادري (ص ١٧٨) . قد يبدو ذلك صحيحا .

٣ – اعطى شاه جيهان امبراطور مغول الهند اوامر لأبنه اورانجزيب سنة ١٦٤٩ م باختراق جدران الحصن لكن مدفعية اورانجزيب فشلت بألحاق أي ضرر لهذه الجدران .

٤ – كان قائد هذه العمليات صهر نادر ويدعى كلب علي خان ونتيجة لفشله بإدارة العمليات القتالية وبسبب الخسائر الكبيرة التي تسبب بها لذلك عزله نادر من منصبه وامر بمعاقبته بالفلقة .

٥ – يذكر جونز (ص ٤٠٦) كان مجموع القوة المهاجمة ٣٠٠ ويبدو انه رقم غير دقيق .

٦ – وفق العادة فأن النادري كان يعادل الروبية ، لكن وبحسب كتاب تاريخ نادري (ص ١٨٣) وجد هناك نوع اخر من النادري والذي كان يعادل ٣.٥ تومان .

٧ – يذكر جورج فورستر في كتابه رحلتي من البنغال الى انكلترا (ص ٨١ في جزئه الثاني) إن عدد الغلزائيين كان ٤ الاف .

٨ – رفض الاتراك الاعتراف بالمذهب الجعفري بسبب ماهيته الغامضة فكانوا يعتقدون ان الاعتراف به سيؤدي الى الاعتراف بالمذهب الشيعي .

الفصل الثاني عشر

١ – تاريخ الهند (لندن ١٩٣٦) ص ٢٦٧ موريلاند . ذكر ان الوضع في الهند كان مشابها لوضعها قبل ٣٤٠ سنة عندما كان تيمور على وشك الهجوم عليها فكانت البلاد ضعيفة بسبب صراع الزمر الطامحة للسلطة والمناصب .

٢ – يذكر محمد بخش (اشوب) الكاتب الهندي المعروف (في المجلد الثاني ص ٥١) ، ان سبب بقاء محمد خان تركمان في العاصمة الهندية هو لتعلقه الشديد براقصة كانت هناك . ولا يوجد تأكيد من مصادر اخرى على صحة هذا الادعاء .

٣ – يذكر الكاتب محمد محسن صديقي ، المعروف بتأييده لصمصام الدولة خان دوران ، (والذي كان امير الامراء والقائد العام لجيش مغول الهند وكبير قادة هندوستان في البلاط المغولي) ، ان خان دوران كان يكن العداوة والبغضاء لنظام الملك كما واتهم نظام الملك بالخيانة . حيث

اكد تلك التهمة الكاتب رستم علي في كتابه (تاريخ الهند) لكنه سبقها بكلمة (يقال) .

٤ – كل من فريزر (كتاب نادر شاه ص ١٢٩ – ١٣٣) ، اوثر (المجلد الاول ص ٣٥٥) وهانوي اكدوا على ان اتهام نظام الملك بالخيانة كان واسع الانتشار .

٥ – يذكر الشيخ حزين (ص ٢٨٨ – ٢٨٩) عن قيام نادر بأرسال شخص من الجند برفقة ١٠ فرسان لأداء تلك المهمة . لكن تم اعتراضهم في جلال اباد من قبل مجموعة من الغوغاء حيث قُتلوا جميعا ؛ الا شخصا واحدا نجح بالهرب الى كابل .

٦ – اهمل ميرزا مهدي ذكر اسماء تلك القبائل ، لكن اناند رام ذكر ان افغان صافي قاوموا نادر ببسالة . انظر ايضا اشوب ص ٥٥ .

٧ – محمد محسن صديقي ذكر في جوهر صمصام المقطع ٦ ، بأن زكريا خان كان لديه ٤٠ الف فارس واضاف الكاتب ، بسبب تحيزه ، ان زكريا خان وبسبب اتفاقه مع نظام الملك لم يقم بمحاولات جادة لصد زحف الجيش الفارسي (انظر ايضا اوثر المجلد الاول ص ٣٧٤) . شاكر خان يذكر نفس الادعاء اعلاه لكنه يضيف ان سعدات خان انضم الى نظام الملك وأعطى تعليمات لزكريا خان بعدم صد نادر .

٨ – يذكر محمد كاظم ان محمد شاه استدعى جميع السحرة والدراويش عند سماعه بغزو نادر للهند فتحدث احد السحرة عن استطاعته تقييد ايدي الاعداء وقت المعركة وقال اخر بأنه يستطيع جلب نادر شاه وهو مقيد الايدي والارجل الى بلاط محمد شاه .

٩ – ذكر رستم علي ان تعداد الجيش الفارسي كان ٥٥ الف فارس ، وهذا الرقم حظى بتأييد ساكار . اما هانوي فذكر في المجلد الثاني ص ٣٦٧ ان المعسكر الفارسي احتوى على ١٦٠ الف نفس كان ثلثهم من الخدم ومن الطباخين ومن غير الجند لكن عددا كبيرا منهم كانوا مسلحين وكانوا جميعهم راكبين واحتوى المعسكر ايضا على ٦ الاف امرأة

ارتدين ملابس الرجال باستثناء حجابهن لإعطاء الانطباع بزيادة العدد . اما اكسورثي ص ٢٥٩ فذكر ان عدد افراد الجيش الفارسي كان ١٠٠ الف مقاتل .

١٠ – ذكر ميرزا مهدي ان عدد افراد الجيش الهندي كان ٣٠٠ الف رجل ، ٢٠٠٠ فيل حربي و ٣٠٠٠ مدفع . اما ساكار فذكر ان اعداد القوات المقاتلة في الجيش الهندي قد بلغت ٧٥ الف رجل . رستم علي ذكر بدوره ان عدد الجيش الهندي كان ٢٠٠ الف فارس ، وعدد لا يحصى من المشاة ، ١٥٠٠ فيل وعدد كبير من الاسلحة والمدافع . اعطى غلام علي رقما قدره ٥٠٠ الف اشتمل على الفرسان والمشاة ، ٨ الاف مدفع و ١١ الف خيمة . اما اناند رام فذكر ان عدد الجيش الهندي كان ٥٠ الف فارس الى جانب القوات المرافقة لثلاثة نبلاء كان احد اولئك النبلاء نظام الملك الذي جلب معه ٣ الاف رجل فقط . دي فولتون ذكر ان الجيش الهندي بعد معركة كارنال كان يتكون من ٤٠٠ الف فارس و ٨٠٠ الف من المشاة وبلا شك كانت اعداد الغير مقاتلين في المعسكر المغولي كبيرة جدا وان بعض الكتاب كدي فولتون قد اخطأوا بدرج اعداد هؤلاء مع القوة القتالية للجيش الهندي .

١١ – في بعض المصادر ذكر ان سعدات خان كتب الى نادر في الخفاء ليخبره عن مجيئه لكن هذا الامر يبدو غير صحيح .

الفصل الثالث عشر

١ – ذكر رستم علي بأن قوات سعدات خان تكونت من ٢٠ الف رجل وذكر بأن سعدات خان عجز عن ركوب الخيل فكان دائما ما يركب الفيل او يُحمل على المحفة نتيجة لوجود جرح اصيب به قبل ثلاثة اشهر .

٢ – ذكر هارجران داس ان محمد شاه كان يشك بولاء سعدات خان لذلك جعله يقسم بالقران الكريم حتى يتأكد من اخلاصه له .

٣ – اناند رام في المقطع ١٦٩ ذكر بأن هجوم سعدات خان كان متهورا ، حيث توجه الى الميدان برفقة عدد قليل من الفرسان دون انتظار مدافعه او حتى تشكيل رجاله بانتظام .

٤ – تحدث اناند رام (في المقطع ١٦٩ و ١٧٠) ان خان دوران ، وبعد استلامه الاوامر للمشاركة في القتال ، ذكر بأن الجيش كان غير مستعد للقتال في ذلك اليوم وطالب بتأجيل الهجوم الى اليوم التالي حتى يتم نصب المدافع في الميدان . فاستاء الامبراطور من اجابة خان دوران تلك وبسبب حبه لسيده قام خان دوران بركوب الفيل والتوجه للقتال . اما اشوب فذكر (في المجلد الثاني ص ١٧٩) بأن خان دوران كان يغار من سعدات خان . فبعدما علم بنجاح هجوم سعدات خان على الفرس اعتقد بأن مكانته سوف تهتز وفورا قرر المشاركة في المعركة طلبا للمجد .

٥ – استخدم تيمور هذه الطريقة لتخويف الفيلة الهندية سنة ١٣٩٨ م . وهذا يدل بأن نادر كان على دراية جيدة بتاريخ تيمور .

٦ – نادر نفسه بعث برسالة الى ولده رضا قولي يخبره فيها ان عدد قتلى الجيش الهندي قد بلغ ٢٠ الف رجل اما الاسرى فكانوا اكثر بكثير من ذلك الرقم وطلب نادر نسخ هذه الرسالة الملكية وتوزيعها على كافة انحاء الامبراطورية حتى يبتهج شعبه . ذكر ساكار انه كان من بين القتلى مظفر خان (شقيق خان دوران) ، ثلاثة من ابناء خان دوران واصلح خان قائد الحرس الخاص الامبراطوري .

٧ – فريزر ص ١٥٨ . كرر هانوي هذه الارقام نفسها . اما الشيخ حزين فذكر ان خسائر الفرس قد بلغت ٣ قتلى وجريح واحد فقط .

٨ – وفقا لأوثر (المجلد الاول ص ٣٨١) قام نظام الملك بإهانة خان دوران عند احتضاره حتى ينتقم لنفسه من الاهانات التي تلقاها من القائد العام عندما كان حاضرا في البلاط المغولي حيث شبهه خان دوران بالقرد .

٩ – كان المبلغ وفقا لأشوب ١ كرور . اما غلام علي واوثر فذكرا بأن المبلغ كان ٢ كرور . وحظي مبلغ ٥٠ لاك على تأييد ساكار . وحسب بيان الواقعة لعبد الكريم ذكر بأن المبلغ بقى غير محدد ، لكن يبدو ان ذلك غير صحيح .

١٠ – ذكر دي بزي ان نادر اراد الجلوس على عرش الهند لكن نظام الملك نصحه بالعدول عن ذلك بحجة عدم قدرته على اخضاع بلد كبير كالهند .

١١ – حصل نظام الملك على منصب امير الامراء .

١٢ – ذكر ساكار ان نادر طلب من نظام الملك أجراء تعديل على المبلغ المذكور في المعاهدة حيث طالبه الشاه بمبلغ قدره ٢٠ كرور روبية فأجاب نظام الملك انه " منذ تأسيس الدولة الكوركانية الى الان ، لم تحتوي الخزينة الامبراطورية على ذلك المبلغ . شاه جهان ، مع كل جهوده وكنوزه ، قد جمع مبلغا قدره ١٦ كرور ؛ لكن ذلك المبلغ أُنفق بالكامل على يد ابنه اورانجزيب اثناء حروبه الطويلة في الدكن . حاليا لم يبقى حتى ٥٠ لاك روبية في الخزينة " . فلم يصدق نادر كلامه واتهمه بالكذب .

١٣ – ميرزا زمان (فريزر ص ١٦٧) ؛ دي فولتون : ذكرا عن مقتل ٤ الاف من الجيش الهندي اثناء محاولتهم الحصول على المؤن والاعلاف من خارج المعسكر . واضافا بشأن ندرة وغلاء الغذاء بأن كمية الرز او القمح التي كان ثمنها عُشر الروبية اصبحت تباع بحوالي ١٠ روبية .

١٤ – ذكر اشوب (المجلد ٢ ص ٢٨٨) ان نادر امر بأرسال المدافع الى قندهار . اما جيمس فريزر فذكر ان نادر امر الجيش الفارسي بالاستيلاء على كافة الاموال ، الجواهر والنفائس الموجودة في المعسكر الهندي التابعة للملك ، القادة والنبلاء وعلى كافة امتعة الجيش الهندي والمدافع والاسلحة وغيرها .

الفصل الرابع عشر

١ – في رسالة بعثت من سورات جاء فيها : ان الخائن سعدات خان تم ارساله على راس جيش يتكون من ٢٤ الف رجل الى دلهي لكنه وجد ان بوابات المدينة قد اغلقت في وجهه ، ونتيجة لإخبارهم بانتصار الجيش الهندي على نادر شاه وانهم الان بدأوا بمطاردته ، سُمح له بالدخول الى العاصمة . وجاء في جوهر صمصام سابق الذكر انه وبقيادة سعدات خان تم ارسال نصر الله مع ٥ الاف فارس الى دلهي .

٢ – تاريخ نادري ص ٢٠٤ . كانت هذه الكلمات بلا معنى بسبب قيام نادر بممارسة السلطة الفعلية خلال اقامته في دلهي وسلمها الى محمد شاه قبيل مغادرته الهند .

٣ – اشوب المجلد الثاني ص ٢٩٦ . ان لقب صاحب قران كان احد القاب تيمور . اما فريزر فذكر (في ص ١٢٠) انه نُقش على الجانب الاخر عبارة (خلد الله ملكه . ضربت في احمد اباد ١١٥٢ هجري) .

٤ – ذكر رستم علي في المقطع ٢٨٩ بأن نظام الملك اقترح على سعدات خان ، بعدما خاطبه نادر بلهجة شديدة وحط من شأنه امام الجميع في البلاط العام ، ان ينتحرا بواسطة السم . سعدات خان ، ولكونه جنديا ، لم يكن يعلم بمكر ودهاء نظام الملك فصدقه وشرب السم ومات اما نظام الملك فشرب شرابه الذي احتوى على مادة منومة ونام بهدوء الى صباح اليوم التالي . اما عبد الكريم في بيان الواقعة مقطع ٢٢ فذكر ان الخان عانى كثيرا من قدمه قبل يوم من وفاته . وذُكر في سايار ص ٤٧٥ انه مات بسبب الغرغرينا في قدمه .

٥ – قيل في سايار (ص ٤٧٤ و ٤٧٥) ان بعض الهنود اكدوا مقتل نادر ، وذكر البعض ان الشاه تم قتله على يد اثنين من حرس حريم الامبراطور . وحسب دي فولتون ص (٢٣٧) فقد ذكر عن قيام اربعة امراء شباب ، بعدما ثملوا في ٨ مساءا ، ببث اشاعة مفادها ان الشاه قد قتل بأمر من الامبراطور .

٦ – كان العدد ٤٠٠ حسب ميرزا زمان (فريزر ص ١٨٥) ، ٥٠٠ حسب ممثلو شركة الهند الشرقية في سورات ، ٧٠٠ حسب سايار، ٣٠٠٠ حسب بيان الواقعة وهذ الرقم حظى بتأييد ساكار ، ٥٠٠٠ حسب رستم علي ودي فولتون ، ٥ – ٦ الف حسب بيرسينس ، اما شيخ حزين فذكر ان العدد كان ٧ الاف .

٧ – تاريخ نادري ص ٢٠٦ . انظر ايضا دي فولتون (ص ٢٣٨) ذكر بأن نظام الملك قد ذهب بمفرده للقاء نادر شاه حيث وجده يأكل الحلوى . اما اشوب فذكر ان قمر الدين ذهب وحيدا ليتوسل نادر ايقاف المجزرة .

٨ – وجد تباين كبير بشأن اعداد القتلى : ٨ الاف حسب عبد الكريم ، قارب العدد على ١٦ الف حسب اشوب ، ٢٠ الف حسب عبد الكريم في مصدر اخر ، ٣٠ الف حسب ميرزا مهدي ، قارب العدد على ١ لاك حسب رستم علي . ١٠٠ الف حسب هارشاران داس وتيفنثالر ، اما هانوي فذكر عن انتحار ١٠ الاف ليصبح العدد ١١٠ الف ، ١٢٠ – ١٥٠ الف حسب ميرزا زمان (فريزر) ، ٢٠٠ الف حسب رسائل سورات ، ٢٢٥ الف حسب اوثر ، ٥٠ – ٤٠٠ الف حسب رسائل الماراثا .

٩ – تم تدمير كنيستين مسيحيتين ، كما ودُمر منزل سيدة مسيحية عرفت بورعها ، ونجح رجلان برتغاليان بالنجاة من المجزرة بعد لجوئهما الى منزل بعيد عن المدينة .

١٠ – ذكر اشوب في المجلد الثاني ص ٣٣٣ ان نياز خان كان متهما ايضا بقتل الحراس القزلباش الذين كُلفوا بحراسة منزله .

١١ – ذكر ميرزا زمان عن قيام نادر بدفع الرواتب المتأخرة للجند كما ومنحهم مكافئة مالية تعادل رواتب ستة اشهر .

١٢ – تاريخ نادري ص ٢٠٦ . عمل اشوب لمدة اربع ايام في تنظيم الاضاءة والالعاب النارية . حيث سر نادر كثيرا من عمله ومنحه مكافئة قدرها ٢٠ روبية .

١٣ – فريزر ص ٢٠١ . اشوب في المجلد الثاني ص ٣٦٨ ذكر ان الضريبة على دلهي قدرت بحوالي ٢ كرور روبية و ١٢ لاك .

١٤ – اناند رام نفسه دفع مبلغا قدره ٥ لاك .

١٥ – ذكر ميرزا مهدي في تاريخ نادري ص ٢٠٧ ، بأن الهدايا والغنائم التي حصل عليها نادر من الامبراطور ، النبلاء ، خزائن الامبراطورية ، مدينة دلهي ومدن اخرى قد اشتملت على ١٥ كرور روبية نقدا ، عرش الطاووس ، كميات هائلة من الجواهر والكثير من النفائس (كالسجاد والاثاث والملابس وغيرها) . اما اناند رام فذكر ان الغنائم كانت كالاتي : ٦٠ لاك روبية وبضع آلاف من القطع النقدية الذهبية ، ما يقارب ١ كرور روبية قيمة السلع والاواني الذهبية ، وما يقارب ٥٠ كرور روبية قيمة الجواهر ، معظم تلك الجواهر ليس لها مثيل في العالم اجمع ؛ واشتمل اعلاه على عرش الطاووس ايضا . اما محمد كاظم فذكر ان القيمة الاجمالية للغنائم قد بلغت ٢٦ كرور ويصف الجواهر وغيرها من الغنائم فيقول " ان العقل ليعجز عن تخيلها " . اما فريزر فذكر ان مجموع قيمة الغنائم قد بلغ ٧٠ كرور روبية موزعة كالاتي :

١ – جواهر من الامبراطور ، الامراء والنبلاء .... ٢٥ كرور

٢ – سبائك ومسكوكات ذهبية وفضية .... ٢٥ كرور

٣ – اواني ومقابض اسلحة مرصعة بالجواهر

مع عرش الطاووس و ٩ عروش اخرى

مرصعة بجواهر نفيسة .... ٩ كرور

٤ – صفائح وصحون ذهبية وفضية صهرت وشكلت على هيئة سبائك

وقطع نقدية .... ٥ كرور

٥– ملابس نفيسة ورائعة من الحرير واخرى مرصعة بالجواهر

واخرى منسوجة بخيوط من الذهب والفضة .... ٢ كرور

٦ – اثاث منزلي وسجاد ونفائس اخرى .... ٣ كرور

٧ – اسلحة ومدافع .... ١ كرور

وتحدث فريزر عن وجود غنائم بقيمة ١٠ كرور روبية تم الاستيلاء عليها من قبل الضباط والجند . كما وذكر " بلغ مجموع ما سلمه النبلاء الى نادر ، او ما تم مصادرته منهم بعد وفاتهم ، من مسكوكات ذهبية وفضية ، جواهر ، كنوز ونفائس اخرى (نذكر ابرزهم) :

نظام الملك _ ١.٥ كرور ، قمر الدين خان _ ١.٥ كرور ، خان دوران _ لم يتعدى ١ كرور ومظفر خان _ قارب على ٤ كرور . وارسل نادر قوة قوية الى اوده لمصادرة خزينة سعدات خان مع كل ما تحويه من مسكوكات ذهبية وفضية وجواهر " . ويتحدث فريزر ايضا بأن الفرس وجدوا في خزينة الامبراطور والامراء نقودا ذهبية وفضية لا تتجاوز ٣ كرور لكنهم وجدو الكثير الكثير من الذهب والفضة في الخزائن السرية . ولبيان المعلومات عن القطع النقدية المتداولة في الهند فذكر فريزر ان الروبية كانت عملة فضية تراوح وزنها من ١٠.٥ غرام الى ١١ غرام اما الموهر او المهر (التي تعني الشمس) فهي عملة ذهبية وزنها ٣.٥ غرام وكانت تعادل ١٢ روبية فضية ذات وزن ١٠.٥ غرام . اما اوثر فأيد فريزر وقال بلغت قيمة الغنائم التي حصل عليها نادر ٧٠ كرور مضافا اليها ١٠ كرور استولى عليها الضباط والجنود . اما عبد الكريم فيعطي رقما قدره ٨٠ كرور . وذكر فولتون رقما هائلا وصل الى ١١١ كرور روبية وهو رقم مبالغ فيه طبعا .

وللحديث عن اشهر الجواهر التي غنمها نادر نذكر الاتي ومن مصادر معاصرة * :

يذكر مايكل اكسورثي ان محمد شاه قدم لنادر جميع كنوز الامبراطورية من ذهب وفضة واكوام من الجواهر اي كل الثروات الضخمة التي

تجمعت على مدار قرنين من الحكم المغولي للهند . اضافة الى عرش الطاووس وماسة كوهي نور وجدت هنالك جواهر رائعة كماسة داريا نور ، وهي اكبر ماسة وردية في العالم ، ماسة تاج ماه وياقوتة اورانجزيب التي كانت تزين تاج امبراطور مغول الهند العظيم اورانجزيب وكانت اخر الجواهر التي حصل عليها محمد اغا قاجار من شاهروخ بعد ان سعى خلفها كثيرا . كما وصُهرت كميات كبيرة من الذهب والفضة وتم تشكيلها على هيئة سبائك كبيرة احتوت على ثقب في وسطها بحيث يمكن ايلاج حبل من خلاله وكان كل جمل يحمل سبيكتين من تلك السبائك .

ذكر وليم داريمبل في كتابه كوه نور : ان من بين غنائم نادر كانت ياقوتة تيمورلنك (التي اسماها نادر بعين الحور او حور العين) وماسة المغول العظيمة . فبعد موت نادر وجدت تلك الماسة طريقها الى تاجر ارمني حيث قام ببيعها الى الكونت اورلوف . بعد ذلك اهدى الكونت تلك الماسة الى امبراطورة روسيا كاترين لتضعها في صولجانها ولتحمل فيما بعد اسم ماسة اورلوف .

اما الكاتبة الهندية الشهيرة سوتبا باسو فذكرت في كتابها الطاغية نادر شاه ، ان نادر وجد صندوقا صغيرا مميزا ومبطن بطبقة من الحرير حيث احتوى ذلك الصندوق على ماسة حمراء بيضوية الشكل بحجم صيوان الاذن البشرية متصلة بسلسلة ثقيلة من الذهب كانت تدعى نور الوردة الحمراء واحتوت تلك الماسة في مركزها على سائل يشبه الدم تقريبا . حامت حول تلك الماسة اسطورة مفادها انها اذا ما وضعت بالقرب من اي جوهرة اخرى فأنها تمتص بريق تلك الجوهرة وتحولها الى حجارة عادية فيما تزداد هي تألقا وبريقا . فحرص نادر على الاحتفاظ بها بعيدا عن بقية الجواهر وبسبب مظهرها الاستثنائي والاسطورة المرافقة لها كانت لها قيمة اسطورية . لكن نادر واثناء عودته من دلهي الى فارس فقد تلك الماسة واختفى اثرها الى يومنا هذا . كما واضافت الكاتبة بأن غنائم نادر احتوت ايضا على ماسة الشاه ، ياقوتة السامري وياقوتة جيهانكير .

١٦ – كان في الواقع ٣٥١ سنة قمرية اي منذ الغزو التيموري لدلهي في ديسمبر ١٣٩٨ م .

١٧ – قدمت عائلة رانا فيكراماديتيا هذه الماسة الى الامبراطور همايون بن بابور سنة ١٥٢٦ م . كعربون شكر على حمايته لهم . ولدى موت نادر سنة ١٧٤٧ م ، انتقلت هذه الماسة الى احمد شاه عبدلي حيث توارثها ابناءه حتى اضطر حفيده شاه شجاع لمنحها الى رانجيت سينغ الحاكم السيخي للاهور وعندما احتل البريطانيون البنجاب سنة ١٨٤٩ م حصلت شركة الهند الشرقية على تلك الماسة وقدمتها الى الملكة فيكتوريا بعد مرور سنة من حصولهم عليها .

١٨ – تاريخ نادري ص ٢٠٨ . ذكر كل من فريزر ص ٢٠٨ ، اوثر المجلد الثاني ص ٩٠ وغرانت داف ان نادر كتب الى باجيراو ليخبره بإعادة محمد شاه الى الحكم مرة اخرى ، وتساءل عن عدم حضوره لمساعدة الامبراطور بالرغم من امتلاكه لجيش عظيم العدة والعدد . قال نادر " توجب الان على الجميع اطاعة الامبراطور ؛ ومن يخالف الاوامر فسوف آتيه بنفسي لمعاقبته وجعله عبرة لكل من تسول له نفسه عصيان اوامري " .

١٩ – ذكر كل من هانوي واوثر ان نادر اراد بناء المدينة قرب همدان ، وكان يريد تسميتها بنادر اباد .

٢٠ - فريزر ذكر ان عدد الافيال كان الف فيل ، اما عبد الكريم فذكر ان عددها ٥٠٠ ، اما هانوي ورستم علي فذكرا ان عدد الافيال لم يتجاوز ٣٠٠ ، ويبدوا ان هذا الرقم صحيح .

الفصل الخامس عشر

١ – في احدى تقارير كامبرون تم ذكر الاتي : انه في فبراير ١٧٤٠ م ، تحدث بعض التجار القادمين من معسكر نادر الى كامبرون عن كمية الاموال والجواهر الهائلة هناك ، كما وذكروا عن قيام نادر بمنع جنوده من الاحتفاظ بالماس او الجواهر الاخرى فكانوا يخضعون للتفتيش عند

وصولهم لأي معبر لمنعهم من اخفاء تلك الجواهر . اما جون مالكوم فذكر ، في المجلد الثاني ص ٨٦ في كتابه تاريخ فارس ، عن موضوع اصدار نادر لمثل تلك الاوامر حيث قال : سمعت النبلاء الفرس يتكلمون كثيرا عن هذا الموضوع حيث عُلل سبب ذلك الى امتلاك نادر للحكمة والتفكير السليم اكثر مما أُعتبر كونه جشعا بسبب خشيته من تحول جنوده الى رجال فاسدين غير مطيعين للأوامر اذا ما امتلكوا تلك الثروة بحوزتهم .

٢ – حسب اوثر (المجلد ٢ ص ٩٧ و ٩٨) ان نادر ، وبعد مغادرته كابل الى قندهار ، ارسل عبد الباقي خان مع ٥ الاف رجل الى خدايار خان للتأكد من نواياه الحقيقية في ما اذا اراد الخضوع او القتال . ولدى استلامه رسالة من عبد الباقي خان تعلمه رفض خدايار خان الخضوع وانه مستعد للمقاومة ، توجه نادر ، الذي كان قريبا من قندهار ، شخصيا لغرض اخضاعه .

٣ – يقال ان محمد شاه ، وبعدما علم بأخبار حملة نادر على السند واستدعاء زكريا خان ، قد عانى من قلق شديد لأنه خشي من غزو ثاني للهند .

٤ – ربما كان ميرزا مهدي مدركا لقيمة الهدايا التافهة التي ارسلها نادر لمحمد شاه لأنه كرس بعض المساحة لوصف سعادة نادر ببطيخ بلخ وهرات وبالأحصنة الاصيلة ، حيث اشار ميرزا مهدي ان نادر ارسل الى الامبراطور احب شيئين الى قلبه .

الفصل السادس عشر

١ – حسب محمد كاظم ص ١٩٧ ، ارسل نادر اوامره الى رضا قولي في الوقت الذي غادر فيه اصفهان متوجها الى قندهار .

٢ – ذكر ميرزا مهدي بكتابه تاريخ نادري ص ١٨٣ ، ان المدينة استسلمت بعد حصار لم يتجاوز الثلاثة ايام .

٣ – كان ينتمي الى عائلة مانجيت المشهورة ، ومثل الكثير من الرجال البارزين في تلك المناطق كان ينتمي الى سلالة جنكيز خان . وكان ابو الفيض خان مجرد دمية بين يديه . انظر كتاب تاريخ بخارى لفامبري ص ٣٣٨ .

٤ – البارس خان القازاق ادعى انتماءه الى جنكيز خان وكان رجلا طموحا ، مغرورا وغدارا .

٥ – يثني ميرزا مهدي على شجاعة رضا قولي في هذه المعركة (كان هدفه التملق لنادر) حيث ذكر عبارة هذا الشبل من ذلك الاسد .

٦ – لم يذكر محمد كاظم عن وجود اي رسالة مرسلة من نادر الى ابو الفيض خان .

٧ – حسب محمد كاظم ص ٣١٦ ، كان يرافقها ٢٥٠٠ جندي جورجي .

الفصل السابع عشر

١ – في ما يتعلق بموضوع عباس بن الشاه السابق فلا يمكننا تصديق قصة محمد مهدي بن محمد رضا التي ذكرها في كتابه بعنوان نصف جهان حيث ذكر بأن عباس لم يقتل في تلك الحادثة وأنه تم تهريبه واخفاءه في مكان امن مدة ١٢ عاما وبعد تلك المدة نُقل الى اصفهان حيث عمل في جناح الحريم وتم التعرف عليه من خلال عماته (اخوات طهماسب) بعد ملاحظتهن للخال الذي على كتفه .

٢ - ينبغي هنا عدم الخلط بين اسماعيل بن طهماسب والشاه اسماعيل الثالث الذي قام زعيم البختياريين علي مردان خان بإيصاله الى العرش بعد ١٢ سنة تقريبا فكان بعمر الثماني سنوات عند استلامه دفة الحكم .

الفصل الثامن عشر

١ – بنيت هذه القلاع من قبل البرتغاليين .

الفصل التاسع عشر

١ – انظر تاريخ نادري ص ٢١٦ وعبد الكريم في بيان الواقعة المقطع ٣٧ و ٣٨ . وصف عبد الكريم هذه الخيمة وصفا دقيقا ، وذكر بأنها رُصعت بالكثير من الجواهر والآلئ المأخوذة من دلهي . وحسب اوامر من نادر ، تم صنع نسخة مقلدة عن عرش الطاووس .

٢ – لم يذكر ميرزا مهدي اي شيء عن هذه المعركة .

٣ – يقول محمد كاظم ان شاهد قبر تيمور كان عبارة عن قطعة واحدة من حجر اليشم . ذكر فامبري في كتابه بعنوان رحلة الى اواسط اسيا ص ٢٠٧ و ٢٠٨ انه وجد في مقبرة تيمور في سمرقند " تحت القبة ..... كان هنالك قبرين صُمما ليكون رأس المتوفى باتجاه مكة . احدهما كان مكسوا بحجر جميل جدا ذو لون اخضر داكن بعرض شبرين ونصف وبطول عشرة اشبار اما سمكه فكان ستة اصابع . حيث وضع ذلك الحجر بصورة مستوية على قبر تيمور وكان على قطعتين . اما القبر الاخر فكان لسيد بركة ، المعلم والزعيم الروحي لتيمور " . وحسب عبد الكريم في بيان الواقعة ذكر بأن الحجر انقسم الى نصفين اثناء عملية ازالته لنقله الى مشهد . وكذلك قام الجنود الفرس بالاستحواذ على عدة صفحات كبيرة الحجم من القران الكريم ، حيث خطت بواسطة الخطاط الماهر باسنغهور غياث الدين بن شاهروخ المتوفى سنة ١٤٣٣ م ، الذي اودعها قبر جده تيمور . فريزر عندما كان في خبوشان شاهد عددا من تلك الصفحات في ضريح ابراهيم بن علي (كان قياسها ١٢ قدم * ٨ اقدام) . وفي ١٨٨٣ م ، امر ناصر الدين شاه بإزالة اثنين من تلك الصفحات من الضريح لعرضها في متحف طهران .

٤ – تاريخ نادري ص ٢١٩ . بير ابراهيم خان ذكر ان طهماسب خان ، وعند توجهه لإخماد تمرد داوود بوترا ، تعرض لهزيمة ثقيلة على يدهم تسببت بفقدان الجزء الاكبر من جيشه .

٥ – تاريخ نادري ص ٢٢١ . ذكر عبد الكريم في بيان الواقعة ان افراد قوات القزلباش عانوا من عطش شديد عند تلك المرحلة ، وعندما أُبلغ الشاه بذلك ، امر بمعاقبة اثنين من المسؤولين عن عملية تجهيز المياه بسبب تقصيرهما ، وكانت العقوبة هي قطع انف كل واحد منهما .

٦ – بعد اغراق الاراضي المحيطة بهزاراسب كانت الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذه المنطقة عبر طريق واحد ضيق .

٧ – نعني بالأيناق هم كبار القبيلة وقادة الجيش . وذكر فامبري ان ايناق خوارزم انقسموا الى اربعة افراد ، اثنان منهم كانا من اقارب الخان القريبين جدا (وجب ان يكون احدهما حاكما على هزاراسب) ، اما المتبقي منهم فكانا اما من اقارب الخان البعيدين او القريبين دون تمييز .

٨ – ميرزا مهدي تاريخ نادري ص ٢٢٣ . ووفقا لثومسون وهوغ ، حرر نادر من خيوة قرابة ٢٠ الف فارسي .

الفصل العشرون

١ - ذكر براتشييف ان نادر عامل ابنه بلطف كبير في طهران ، ولم يكلفه بأي مهمة ، وتركه هناك من اجل اراحته ليكون على اتم الاستعداد للحملة القادمة . لكن الشاه امر اثنين من الخصيان الموثوق بهم للبقاء مع الامير لغرض الاهتمام به ، وكذلك للتجسس عليه .

٢ – بازين الذي تواجد في دربند في اكتوبر ١٧٤١ م ذكر انه عندما وصل نادر الى هناك كان جيشه يتكون من ١٥٠ الف . وذكر ان جيشه تألف بصورة رئيسية من الهنود ، تتار الاوزبك والافغان واحتوى على عدد قليل من الفرس .

٣ – ذكر بازين ان اللزجيين في بادئ الامر ارادوا الخضوع لنادر ؛ لكنهم تراجعوا عن قرارهم وقرروا المقاومة (بجرأة اليائس من الحياة) ، لاعتقادهم ان الشاه سيأمر بنفيهم الى خراسان وتجريدهم من ممتلكاتهم ، او انه سيأمر الجيش الفارسي بقتل عوائلهم اذا ما حامت الشكوك حولهم .

٤ – ذكر بابونا اوربيليان ان ضريبة ثقيلة فُرضت على سكان كارتلي في ١٧٤١ م لذلك هرب العديد منهم الى تركيا ، اما الاخرون فدمروا اراضيهم عمدا .

٥ – من المحتمل ان تكون قرية اراكاني هي النقطة التي توقف عندها نادر وعجز بعدها على المضي قدما بسبب المقاومة العنيفة للسكان .

٦ – ذكر مالكوم في المجلد الثاني ص ٩٧ ، عن عدم امتلاك نادر لأي دليل واضح يثبت تورط رضا قولي في حادثة اغتياله سوى بعض الشكوك التي حامت حوله .

٧ – كل من هانوي ، عبد الكريم بخاري ، براتشييف ومحمد كاظم اعتقدوا بأن الامير كان مذنبا .

٨ – ذكر محمد كاظم ان نادر ، وبعد بقائه في عزلته لمدة يومين ، جلس على عرشه ، واستدعى النبلاء وقادة جيشه حيث وبخهم بشدة ، لعدم محاولتهم التشفع لأبنه . وقال وهو يبكي " لقد انتُزعت الرحمة من قلوب الفرس فهم قوم لا يخافون الله ولا يملكون اي خصلة حسنة " .

٩ – ذكر محمد كاظم ان نادر زار ابنه بعد حادثة تسميل عينيه وبعد لقاءهما انفجر الاثنان بالبكاء واخبر رضا قولي والده " يجب ان تعرف انه باقتلاعك عيني فقد اصبت نفسك بالعمى ودمرت حياتك " .

١٠ – بسبب المجاعة الشديدة التي ظهرت بعد ستة اشهر ، تم عزل نور علي من منصبه بواسطة حلفاءه التركمان وتم طرده الى خارج خيوة . نصر الله وبعد مروره بمرو توجه من هناك الى خيوة ، وبناء على اوامر نادر ، نصب ابن البارس ويدعى ابو الغازي ، البالغ من العمر ١٤ سنة

، على عرش خوارزم وعين له شخصا من الايناق يدعى ارتاق ايناق بمنصب كبير وزراءه .

الفصل الحادي والعشرون

١ – امر نادر حكام رشت ، لاهيجان ، فارس ، مازندران وغيرهم ارسال نجارين مهرة الى الخليج الفارسي بمهمة بناء سفن من نوع غراب وسفن اخرى مختلفة الانواع .

٢ – ذكر في مذكرات كامبرون ان نادر امر الشركة بتوفير ثلاث نجارين بارزين لغرض القيام ببناء السفن في بوشهر وطالبهم بتزويد اولئك الرجال بكافة الاحتياجات الضرورية لتسهيل مهمتهم تلك وامر البيكلربيك بدفع الاموال الى الشركة لكنه هدد الشركة اذا ما رفضت الاستجابة للأوامر " سيحل عليكم غضبي " كما وتم توجيه اوامر مماثلة للهولنديين .

٣ – يبدو ان هنالك خطأ واضح في هذه الارقام بسبب عدم قدرة احواض بناء السفن حتى الاوربية منها على بناء سفينة خشبية بهذا الطول .

٤ – وفقا لمحمد كريم فأن امام وردي خان كان قد فقد ٦,٥ رطلا من جسمه اثناء الانفجار .

٥ – يذكر اوثر هذه المعركة لكنه اخطأ عندما ذكر ان الادميرال الفارسي هو من قُتل في تلك الحادثة .

٦ – حامت بعض الشكوك حول طريقة مقتل سلطان بن مرشد فالبعض ايد هذه الرواية والبعض الاخر ذكر انه قتل اثناء محاولته شق طريقه عبر صفوف الجيش الفارسي .

٧ – جاء في مذكرات كامبرون " تسببت الامراض والاوبئة بحصد الكثير من ارواح الجنود الفرس المتواجدين في عمان فكانت الوفيات نتيجة لذلك السبب اكثر بكثير من الوفيات الناجمة عن المعارك الدائرة هناك " .

الفصل الثاني والعشرون

١ – اوثر المجلد الثاني ص ١٨٤ ؛ حيث نقل عن شخص فارسي كان قد ابلغه : انه في احد الايام سأل نادر بعضا من افراد حاشيته عن اعظم رجل عرفوه ، فأجابوه بأنهم لا يعرفون احدا مساويا للشاه بعظمته وذكاءه فرد عليهم نادر " انكم مخطئون ، احمد خان حاكم بغداد ، هو اعظم مني ، لأنه حافظ على نفسه ومنصبه لوقت طويل من عدوين قويين هما انا والسلطان محمود . وكان يعمل بما يرضي الطرفين " .

٢ – يذكر اوثر ص ٣٦٥ في المجلد الثاني ، نقلا عن كتخدا الموصل الذي التقى به في ١٧٤٣ م ، بأن احمد باشا كان هو نظام الملك الثاني (اي اتهمه بالخيانة) . كما ونقل له ايضا بأن احمد باشا كان المسبب الرئيسي للمشاكل التي كانت ستضرب البلاد .

٣ – يذكر سليمان الصائغ في كتابه تاريخ الموصل ص ٢٧٨ ، ان احمد باشا اتبع سياسة المكر والدهاء ، حيث بعث برسالة الى نادر تخبره باحتلال الموصل اولا ، وانه اذا ما فعل ذلك ، فسيجد ابواب بغداد مفتوحة امامه . وذكر فون هامر ان احمد باشا كتب الى احد مستشارين نادر يخبره انه اقترح على الباب العالي تعيين اثنين من الشخصيات البارزة لإيجاد حلول حول المسألة المتعلقة بقبول الاعتراف بالمذهب الجعفري . وان حصل ذلك فعلا مع معرفته المسبقة برفض اقتراحه فنستنتج من ذلك ان غرضه الحقيقي كان لكسب الوقت حتى يتم جمع الحصاد وتخزينه في المخازن .

٤ – لم يكن محمد كاظم شاهدا على الاحداث لذلك وقع ببعض الاخطاء خلال نقله لتلك الوقائع .

٥ – ذكر محمد كاظم تفاصيل اعداد الجيش الفارسي : ٦٥ الف من خراسان ، ٤٥ الف من عراق العجم ، ٥٠ الف من (لرستان ، البختياريين ،خوزستان وفارس) ، ٦٠ الف من (اذربيجان ، جورجيا ، ارمينيا و شيروان) ، ٢٥ الف من (همدان و كرمانشاه) ، ٦٠ الف من تركستان والسهول التركمانية ، ٧٠ الف من (غزنة ، كابل ،

بيشاور ، لاهور ، كشمير وملتان) . ويبدو ان الرقم ٣٧٥ الف (هو رقم مبالغ فيه طبعا) مالم يشتمل على الاشخاص الغير مقاتلين .

٦ – كان خالد باشا ينتمي لأسرة بابان المعروفة ؛ اما نادر فأمر بتعيين قريبه سالم بيك حاكما على شهرزور .

٧ – ذكرت بعض المصادر ان الحامية وقبل استسلامها تمكنت من الصمود ليومين منذ بدء القصف عليها .

٨ – بلغت اعداد كرات المدافع والقنابل التي اطلقت على الموصل خلال الحصار ٤٠ الف حسب نيبور ، ٦٠ الف حسب المصادر التركية الرسمية ولا تقل عن ١٠٠ الف حسب سليمان الصائغ .

٩ – بسبب افتقارهم للمهارة الكافية ، تسبب المهندسون الفرس بأضرار في صفوفهم اكثر مما تسبب به الاتراك ، حيث انفجرت اغلب الالغام الفارسية باتجاه خاطئ محدثة اضرار جسيمة بالجانب الفارسي . ويقال ان الاتراك استفادوا من خدمات مهندس بارع جاءهم من اسلامبول .

١٠ – ادعى انه من نسل الشاه سلطان حسين لكن محمد محسن لم يذكر عن وجود امير يدعى سام ميرزا ينتمي الى الاسرة الصفوية .

١١ – اشتملت تلك المواد المطلوبة على كميات كبيرة من الرصاص لصنع المقذوفات وعلى كميات من النحاس لصب المدافع والهاونات . وبسبب نقص الوقود في مرو تم جلب الفحم من مرغاب ، الواقعة في طاجكستان ، ومن ماروشاق .

١٢ – حسب ميرزا مهدي في تاريخ نادري ص ٢٤١ ، فإن حسين باشا هو اول من بادر بتقديم مقترح للسلام ، بسبب عدم قدرته على الصمود لفترة اطول ، وعلى ما يبدو فأن ما ذكر اعلاه كان بعيدا عن الصواب .

١٣ – هناك مصادر تقول بأن اعداد الفرس كانت ٣٠ الف .

الفصل الثالث والعشرون

١ – كان يُدعى سابقا محمد علي بيك لكن نادر غير اسمه الى ابراهيم تيمنا بشقيقه المقتول سنة ١٧٣٨ م . انظر تاريخ نادري ص ٢٤٧ .

٢ – مغانلي : هم قبيلة تسكن منطقة قانيق (او قانق) قرب جار وتالا .

٣ – يقول محمد كاظم انه وبعد تسميل اعين الرجال المتمردين قام محمد علي خان بأرسل تلك الأعين معهم ، والتي كانت تزن ٩١ رطلا ، كرسالة تحذير لرجال القبائل الاخرى بعدم التمرد .

٤ – احد قادة التمرد نجح بالوصول الى مازندران واستولى على بارفروش (حاليا بابل) ، لكن نجاحه هذا سرعان ما تبدد .

٥ – ذكر محمد كاظم ان علي قولي اراد تسميم احد قادة جيشه الذي يدعى الله وردي عندما كانا قرب مرو حيث قيل بأنه كان ينوي التمرد فطلب من الله وردي خان الانضمام اليه لكن وبعد رفض الإخير قرر قتله

الفصل الرابع والعشرون

١ – ذكر محمد كاظم في كتاب نادر نامه ص ٢٦٨ ، ان الاتراك قدموا الهدايا الى احمد خان ومحمد بن سورخاي خان وزعماء قبائل افار وتبرسران ، من اجل مساندة صافي ميرزا .

٢ – اعتقد فون هامر ان تلك السفارة الهندية القادمة الى اسلامبول ما هي الا نتاج لمقترح بونيفال ، حيث اقترح ، قبل ثلاث سنوات ، على السفير الفرنسي في اسلامبول بأن يسعى جاهدا لترتيب تحالف بين تركيا والهند ضد فارس .

٣ – ذكر محمد كاظم في نادر نامه ص ٢٩٥ بأن العبدليين هم من شنوا ذلك الهجوم العنيف على الجناح التركي .

٤ – بعد ان علم نادر بتقدم جيش تركي اخر من جهة الشرق عبر ديار بكر والموصل ، امر ابنه نصر الله بالتوجه فورا لصد ذلك الجيش ؛

حيث نجح الامير بتحقيق انتصار هائل على الجيش التركي قرب الموصل (انظر تاريخ نادري ص ٢٥٤ و ٢٥٥) .

٥ – ميرزا مهدي في تاريخ نادري ص ٢٥٥ ، ذكر ان يكن باشا مات مقتولا ؛ اما فون هامر فذكر انه مات بسبب مرارة الهزيمة او انه قُتل على ايدي المتمردين .

٦ – فون هامر ص ١١٧ و ١١٨ .

٧ – فون هامر ص ١١٩ و ١٢٠ .

الفصل الخامس والعشرون

١ – كان ذلك الامير من اقارب السفير الروسي لدى فارس ، للفترة من ابريل ١٧٣٤ م الى يونيو ١٧٣٥ م ، والذي يدعى الامير سيرجي غوليتزين .

٢ – ذكر محمد كاظم في نادر نامه ص ٤٩٥ ، عن سبب ثورة الاكراد حيث قال " امر نادر المحصلين بجمع مبلغ هائل قدره ٧ مليون تومان من خابوشان ونتيجة لذلك استعد الاكراد لإعلان التمرد ضده " ، وعلى ما يبدو فأن ذلك المبلغ الهائل الذي تم ذكره غير صحيح .

٣ – قالت مصادر اخرى بأن نادر اراد ارتكاب مذبحة بحق الضباط الفرس .

٤ – بازين ص ٣٢٣ ؛ لم يكشف بازين عن هوية الوزيرين المقتولين ؛ (من المتوقع ان يكون احدهما ميرزا زكي) . لكنه كشف عن هوية الوزير الناجي الذي اسماه بمعير خان ؛ (من المحتمل ان يكون حسن علي خان معير الممالك) .

*هنا نود ان ننوه بأن هانوي اشار في كتابه سابق الذكر بشأن حادثة قتل الشاه فقال :

" بسبب الضجيج الذي احدثه المتآمرون على باب الخيمة ، استيقظ نادر من نومه وصرخ بزوجته قائلا " ناوليني سيفي ودرعي " . ونتيجة لسماعهم صوت نادر وهو يطلب سيفه ودرعه ، خاف الجزء الاعظم من المتآمرين الدخول الى الخيمة ، الا اربعة اشخاص ممن امتلكوا الشجاعة الكافية للمضي قدما . استعد الشاه للدفاع عن نفسه ، وفعلا نجح بقتل اثنين من المتآمرين لكنه بعد ذلك تعثر بحبال الخيمة وقبل ان يتمكن من النهوض لمواصلة القتال استغل الرجلان الاخران تلك الفرصة وتمكنا من قتله " .

٥– بازين ص ٣٢٤ ؛ تاريخ نادري ص ٢٦٥ ؛ هنا توجب على احمد خان دراني ، عند شن ذلك الهجوم ، الاستيلاء على ماسة كوهي نور .

٦ – من المحتمل ان يكون جنكيز خان ابن البنت الكبرى لأبو الفيض خان .

المحتويات

الفصل السادس والعشرون :